



تعاليم

# رَمَنَّا مَهَارِيشِي

بکلماته

آرثر اوزبورن

© Sri Ramanasramam  
Tiruvannamalai

First Edition: 2011

Price: Rs.

*Published by*  
V.S. RAMANAN  
President, Board of Trustees  
Sri Ramanasramam  
Tiruvannamalai 606 603  
Tamil Nadu  
India

Tel: 91-4175-237292/237200  
Tel/Fax: 91-4175-237491  
Email: [ashram@ramana-maharshi.org](mailto:ashram@ramana-maharshi.org)  
Website: [www.ramana-maharshi.org](http://www.ramana-maharshi.org)

*Translated into Arabic by*  
Amar Hasan

*Printed by*  
All India Press  
Kennedy Nagar  
Pondicherry-605001  
India

3933

تعاليم بَجَوَان  
شِري رَمَنَا مَهَارِيشِي  
بِكَلِمَاتِهِ

THE Teachings of Bhagavan  
Sri Ramana Maharshi  
in His Own Words

حَرَّرَهُ:

آرثر أوزبورن

ARTHUR OSBORNE

نقله إلى العربية:

أمار حَسَن



SRI RAMANASRAMAM

Tiruvannamalai

2011

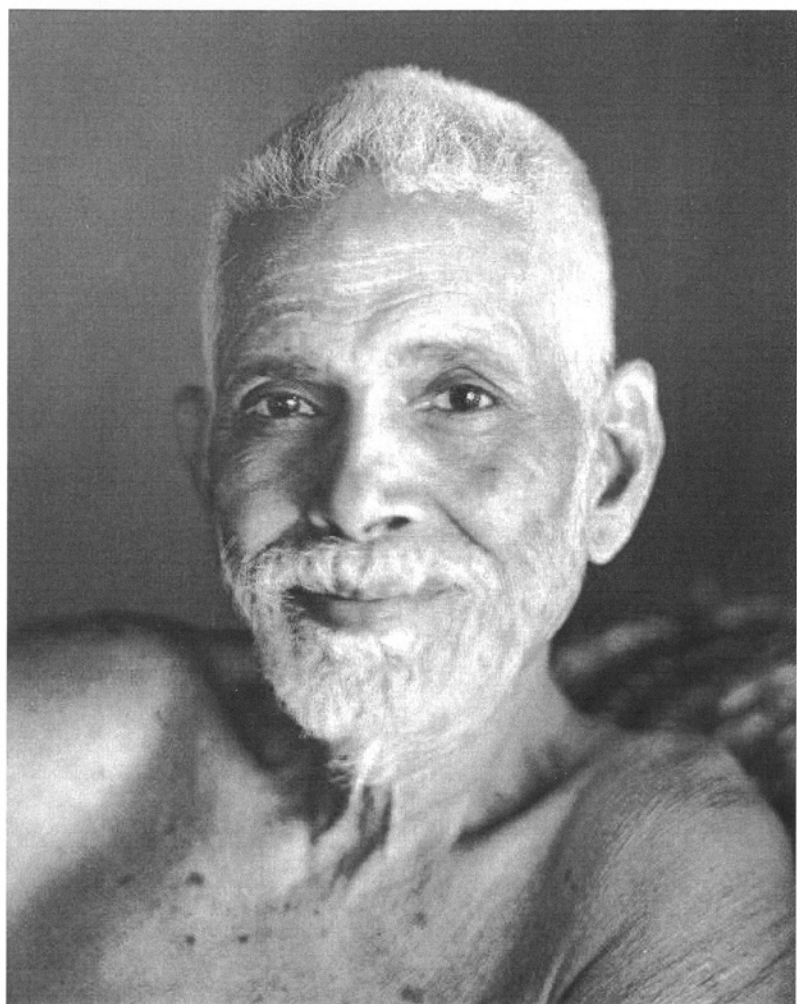
## الفصل الأول

### النظرية الأساسية

قد يجد القراء أصحاب العقول ذات النزعة الفلسفية الأمر غريباً عليهم بأن يُطالعهم الفصل الأول من هذا العمل تحت عنوان "النظرية الأساسية"، فقد يعترضهم شعور بأن جلّ هذا العمل لا بد وأن يكون مكرساً لنظرية ما، ولكن في الواقع فإن الـ مهاريشي وكأي معلمٍ روحي كان معنياً بالتطبيق العملي لتدريب المريدين أكثر من عرض نظرية ما، فللنظرية أهميتها ولكن فقط كأساسٍ للتدريب.

المريد: يُقال أن بوذا قد تجاهل الأسئلة المتمحورة عن الله.  
بجوان: أجل، ولهذا السبب كان يُدعى عَدَمياً. في واقع الأمر، فإن بوذا كان معنياً بإرشاد المريد لأن يُدرك النعيم هنا والآن، أكثر من الخوض في تلك النقاشات الأكاديمية عن الله وما إلى ذلك.

المريد: هل دراسة العلوم، علم النفس، الفيزيولوجيا، الخ. تساعد في بلوغ الخلاص-اليوغا أو في إحراز الفهم الحدسي عن وحدة الحقيقة؟  
بجوان: بشكل ضئيل جداً. بعض المعرفة النظرية ضرورية للـ يوغا وقد توجد بين طيات الكتب لكن التطبيق العملي هو المطلوب. إن القدوة والتعليمات الشخصية هي العون الأكثر ضرورة. فيما يتعلق بالفهم الحدسي، فقد يُقنع المرء نفسه بمشقةٍ بالحقيقة وبوظيفتها وطبيعتها لكي يستوعبها بالحدس، لكن الحدس الحقيقي مثله مثل الشعور، يتطلب تواصلًا عملياً وشخصياً. إن مجرد التعلم من الكتب ليس بذي فائدة، فبعد الإدراك تغدو كل الأحمال الفكرية عديمة النفع وينبغي أن تُطرح جانباً.



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الأنور وآله الطيبين الطاهرين

إلى قداسته

بَجَوَان شَرِي رَمْنَا مَهَارِيشِي

الذي أحاطني بعظيم بركاته والتي صيرتني أداةً لتعريب هذا الكتاب الجليل

Dedicated to

**Bhagavan Sri Ramana Maharshi**

Whose grace made me His instrument in the translation of this book.

وبالغ امتناني الأبدي لمُعلمي الأبدي وتاج روحي

شُري رادا ما

التي جُلَّ آمالها أن ترى تعاليم بَجَوَان وقد وصلت كل ركن في أرجاء المعمورة

And my eternal gratitude to my eternal Guru:

**Sri Radha Ma**

Whose vision is to see the Bhagavan's teaching reaching every corner  
of the world.

وكل الشكر والثناء لـ عطوفة كل من

السيد سُنْدَرَم والسيد ماني

لذلك البريق الذي كان يُشع في عينيهما فيغمرني كلما تحدثنا حول هذا الكتاب

And with special gratitude to:

**Mr. Sundaram & Mr. Mani**

For the light shining in their eyes whenever we talked about this  
project

## مدخل

خلال نصف قرن ونيف من حياته في تيروفنآمالاي، تدفق سيلٌ عارم من البشر لزيارة بجوان شري رَمْنَا مَهَارِيشِي من جميع أنحاء الهند ومن الغرب أيضاً، تهفو قلوبهم لسماع إرشادِ رُوحِي أو لسُلْوَانِ يَشْفِي مَا أَصَابَهُمْ مِنْ غَمٍّ وَهَمٍّ، أَوْ بِبَسَاطَةٍ لِيُعَايِشُوا حَضْرَتَهُ الْمُقَدَّسَةَ. كَتَبَ الْقَلِيلُ جَدًّا طَوَالَ تِلْكَ السَّنَوَاتِ وَلَكِنْ عِدَدًا مِنْ مَحَاضِرِ أَحَادِيثِهِ مَعَ الزَّوَارِ تَمَّ حِفْظُهَا وَرُوعِي نَشَرَهَا بِاسْتِمْرَارٍ مِنْ قِبَلِ الْأَشْرَمِ. مَعْظَمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَقَعَتْ فِي هَيْئَةِ مَذَكَّرَاتٍ يَوْمِيَّةٍ تَقْتَفِرُ التَّرْتِيبَ وَالِاتِّسَاقَ. لِهَذَا فَإِنَّ الْهَدَفَ مِنَ الْكِتَابِ الْحَالِيِّ هُوَ بِنَاءُ تَبْسِيطِ عَامِّ لَتَعَالِيمِ مَهَارِيشِي عِبْرَ مَقَاتِعِ مُتَنَاعِمَةٍ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ أُخْتِيرَتْ مِنْ تِلْكَ الْحَوَارَاتِ وَمِنْ كِتَابَاتِهِ (الَّتِي نُشِرَتْ كَ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ لـ شَرِي رَمْنَا مَهَارِيشِي، وَضَعَهُ السَّادَةُ رَايِدِرَ آند كُو فِي إِنْجِلْتْرَا وَمِنْ قِبَلِ شَرِي رَمْنَا أَشْرَمَ فِي الْهِنْدِ)؛ أَمَّا مَلَاخِظَاتُ الْكَاتِبِ فَقَدْ وُضِعَتْ ضَمْنِ حُدُودِهَا الْأَدْنَى فِي هَذَا الْكِتَابِ وَطُبِعَتْ فِي صَيْغَةٍ أَصْغَرَ لِيَتَمَّ تَمْيِيزُهَا بِوَضُوحٍ عَنِ كِتَابِ كَلِمَاتِ مَهَارِيشِي.

لَمْ يَتَمَّ تَحْدِيدُ الْأَزْمَانِ الَّتِي أُعْطِيَ فِيهَا مَهَارِيشِي أَحَادِيثَهُ، فَمَا مِنْ حَاجَةٍ لِنَدِّكَ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ فَيْلَسُوفًا يَحَاوِلُ ابْتِكَارَ نِظَامٍ مَا بَلْ كَانَ كِيَانًا مُدْرِكًا يَتَحَدَّثُ مُسْتَنْدًا عَلَى مَعْرِفَةٍ مُبَاشِرَةٍ. يَحْدُثُ أحيانًا لِلْمَرَّةِ الَّذِي يَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ رُوحِي أَوْ حَتَّى لِنَدِّكَ الَّذِي لَمْ يَبْدَأْ بَعْدَ رِحْلَةِ بَحْثِهِ الرُّوحِيَّةِ بِشَكْلِ وَاعٍ، أَنْ يَحْصَلَ عَلَى لَمَحَاتٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ، وَالَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يُعَايِشُ الْيَقِينَ الْمَطْلُوقَ لِذَاتِهِ الْلَاهُوتِيَّةِ وَاللَّامْتَعِيرَةِ وَالْكُونِيَّةِ. تَجْرِبَةُ كِهْذِهِ عَايِشِهَا الـ مَهَارِيشِي عِنْدَمَا كَانَ صَبِيًّا فِي السَّادِسَةِ عَشْرَ مِنْ عَمْرِهِ، وَقَدْ قَامَ هُوَ نَفْسَهُ بِوَصْفِهَا عَلَى النِّحْوِ الْآتِي:

عَصَف بي الحدث الأكبر في حياتي قبل ستة أسابيع من مغادرتي لـ مادوراي بلا رجعة، فخيّم الهدوء فجأة بينما كنت جالساً بمفردي في غرفةٍ في الطابق الأول من منزل عمي. بالنسبة لي فإنه من النادر أن يُهاجمني أي مرض، وفي ذلك اليوم بالتحديد لم يكن هناك أية علة في صحتي، ولكن خوفاً شديداً من الموت اعتراني على حين غرة. وحيث أنه لم يكن هناك من خلل في حالتي الصحية، لهذا فلم أحاول أن أعيرها الانتباه أو أحاول العثور على السبب الكامن وراء هذا الخوف. شعرت فقط بأني "على وشك الموت" وبدأت أفكر بالذي علي فعله. لم أَسْتَشِر طبيبياً ولا أي أحد من شيوخ العائلة أو الأصدقاء؛ شعرت بأنه علي حل المشكلة بنفسِي وعلى الفور.

سافرتُ صَدْمَةً الخوف من الموت هذه بعقلي إلى الباطن وقلت لنفسي بدون أن أضع الكلمات في أية أطر: 'والآن، ها هي سكرة الموت قد جاءت. ما الذي يعنيه ذلك؟ ما الذي يَحْتَضِرُ حَقِيقَةً؟ إن هذا الجسد يموت، وعلى الفور سَرَعْتُ بِمَسْرَحَةٍ تجربة الموت، فاستلقيت على ظهري ومددت أطرافي بِشِدَّةٍ حتى تَبَيَّست جَمِيعها مُحَاكِياً بذلك عَرَضُ الموت المعروف: ريكور مورتيز؛ ومن ثم أخذت أُلْقِدُ سَكَنَاتِ الجثة لكي أضفي مَزِيداً من الواقعية على البحث. حَبَسْتُ أنفاسي وأبقيت شفتي مُعْلَقَةً بِإِحْكام بحيث لا يفر أي صوت منهما، ولا حتى كلمة "أنا" أو أية كلمة يمكن أن يلفظها اللسان. عدت وقلت في قَرَارَةٍ نفسي: "والآن، هذا الجسد ميت، وسوف يُحْمَلُ مُتَبَيِّساً إلى المحرقة وتُضْرَمُ فيه النار ويُحَالُ إلى رماد؛ ولكن هل أنا ميتٌ بموت هذا الجسد؟ هل الجسد يكون أنا؟ الجسد خامل ولكنني أشعر بكامل حضورِي بل بصوت الـ "أنا" ينبعث قوياً في داخلي بمعزلٍ عن هذا الجسد. إذن فأنا رُوحٌ تتجاوز الجسد، الجسد يموت أما الروح التي تتخطاه لا يمكن أن يَمْسُها أي موت. هذا يعني أني روح خالدة". كل هذا لم يراودني كمجرد خاطرة باهتة، بل ومَضُ في داخلي بقوةٍ بالغة، فأدركتهُ بشكل مباشر على أنه حقيقة حَيَّةٌ بدون أية عملية تفكير. "أنا" كانت شيئاً حَقِيقاً للغاية، الشيء الحقيقي الوحيد فيما يتعلّق بحالتي الراهنة، وكل النشاط الواعي المتعلق



بجسدي كان مُرتكزاً على تلك الـ "أنا". ومنذ ذلك الحين فصاعداً، ركزت الـ "أنا" أو الذات انتباهها على نفسها بانجذابٍ عظيم القوة، فتلاشى الخوف من الموت للأبد، والاستغراق في الذات استمر بشكلٍ دائم.

إن للعبارة الأخيرة دلالةً على قدرٍ كبير من الأهمية لأن تجربةً كهذه عادةً ما تنتضي بسرعة، رغم أن الانطباع اليقيني الذي تخلفه في العقل بعد مرورها لا يُنسى أبداً، ولكن وفي حالات نادرة جداً تستقر التجربة مع من يُعاشها بشكلٍ دائم، مُحيلةً إياه في حالةٍ تطابقٍ مُتواصل مع الذات الكونية؛ وأحد هؤلاء كان الـ مهاريشي.

حالما حدث هذا التغيير، فإن الشاب الذي عُرف فيما بعد بإسم "مهاريشي" رحل عن منزله وأهله كـ سادو، وشقَّ طريقه نحو تيروفنامالاي، البلدة التي تقع عند أقدام الهضبة المقدسة أروناتشالا، وأقام هناك إلى بقية حياته.

لبعض الوقت فقد لبث مهاريشي غارقاً في النعيم الألوهي لا يَنبَسُ ببنتِ شفة، وبالكاد كان يأكل مُهملاً جسده، والذي لم يَعدَ يَحْتَاجه، إلى أبعد حد. على نحو تدريجي، تَجَمَّع المخلصون من حوله، ولأجلهم وكرمي لهم عاد مهاريشي ليعيش حياةً عادية. وبهذا بدأ العديد منهم والذين يَتَشَدُونَ تعاليمه الروحية بجلب الكتب إليه ليقراها ويُفسرها، وبالتالي أضحى مُتعلماً على سبيل الصدفة، فلم يسع خلف التعلم ولم يُعَوَّل عليه. فتعاليم عقيدة اللاثوية الموغلة في القدم والتي اكتسبها بالتعلم، شكَّلت ما أدركه هو ليس إلا، وكان أن شرح ذلك بنفسه قائلاً:

لم أقرأ مُسبقاً من الكتب سوى كتاب الـ بيريابورانام، الإنجيل وبعض من تايومانافر. تصوري عن إشوارا كان مُشابهاً لذلك الذي وجدته في الـ بُورناناز؛ ولم أسمع حينها عن برمان، سَمسارا وما إلى ذلك. لم أكن أعلم بعد بأن هناك ماهيةً أو حقيقةً لا جسمانية تُشكّل الأساس لكل شيء، وأني وإشوارا

متطابقين معها. لاحقاً وفي تيروفنامالاي، وغداة سَماعي الـ ريبو كيبينا وبعض الكتب المقدسة الأخرى، عرفت كل هذا ووجدت أن الكتب كانت تصف وتُسمي ذلك الذي شعرت به بشكل حدسي بدون أي وصف أو إسم.

ربما يجدر بنا قول شيء حول طريقة الـ مهاريشي في إجابته على الأسئلة، فلم تكن مُفخمة أو مُثقلة، تحدث بحرية وغالباً ما كانت ردوده يُخالطها ضحكٌ أو مزاح؛ وإذا لم يكن السائل راضياً بالجواب، كان بوسعه الاعتراض أو أن يطرح المزيد من الأسئلة. لقد قيل أن الـ مهاريشي قد علّم من خلال الصمت، ولكن هذا لا يعني أنه لم يقدم شروحات شفوية، إلا أن الصمت يظل هو التعليم الأساسي، وهذا تمت مُعايشته كتأثير يتغلغل في القلب. إن فيض حضرته كان عظيماً للغاية وبهاؤه فوق أي وصف، ومع هذا وفي نفس الوقت، فقد كان بسيطاً للغاية، طبيعياً للغاية، غير مُدّع ولا مُتكلف.

ولتحقيق الإتساق والتجانس، فقد تم الإشارة إلى السائل ضمن حوارات هذا الكتاب بكلمة المزيد ما عدا في حالات مُحددة حيث أُعطي فيها الإسم وذلك لأن استخدام كلمة مزيد لم يكن مُلائماً في ذلك الموضع. تدل كلمة بجوان في معناها على "الله" وفي حالات نادرة تُستخدم لتُطلق على المرء الذي يتم استشعار فيض اللاهوت الكامن فيه، وذلك كما قال المسيح: "واحد مع الأب"؛ إنه على غرار إسم بوذا والذي تُرجم إلى الإنكليزية بمعنى "المرء المُقدس".

تم تحاشي إدراج المفردات السنسكريتية، وذلك لجعل الكتاب أسهل قراءةً ولتجنب إعطاء الانطباع الخاطئ الذي يقول بأن إدراك الذات هو علمٌ مُعقد ويمكن فهمه فقط بمعرفة المصطلحات السنسكريتية. صحيح أن نمة علوم روحية لا بد من التعاطي مع مُصطلحاتها الفنية، ولكنها علوم غير مباشرة. سيّبين للقارئ أن الحقيقة الواضحة والبسيطة لللاثوية

والتي عَلمها بجوان، وكذلك طريق الاستفهام عن الذات المباشر الذي ألزم به، يمكن أن يُعرض بلغة بسيطة، وخصوصاً أن بجوان نفسه قد قام بتبسيطها للزوار الغربيين. ولكن وفي حالات محدودة حيث كان استخدام المصطلح السنسكريتي أمراً ضرورياً أو مُفيداً لرسالة الكتاب، فإن معناه التقريبي قد أُشير إليه ضمن قوسين، وبالتالي فلم يكن هناك من حاجة لتخصيص مَسردٍ مُستقل للمصطلحات الواردة في الكتاب. وقد يُلاحظ أيضاً أن المفردات: الإستنارة والخلص وإدراك الذات قد تم استخدامها للدلالة على ذات المعنى وبالتوافق مع المفردات السنسكريتية: نيانا، موكشا ومُوكتي.

يَجدر بالذكر أن الإجابات قد تم إعطائها باللغة التاميلية أو عبر بعض لغات جنوب الهند، ومن ثم صُيرت إلى الإنكليزية، إلا أن المعنى لم يتغير.

آرثر أوزبورن

## المحتويات

	الفصل الأول
11.....	النظرية الأساسية.....
	الفصل الثاني
77.....	من النظرية إلى التطبيق.....
	الفصل الثالث
92.....	الحياة في الدنيا.....
	الفصل الرابع
113.....	الـ جورو (المعلم الروحي).....
	الفصل الخامس
134.....	الإستفهام عن الذات.....
	الفصل السادس
172.....	الطرائق الأخرى.....
	الفصل السابع
215.....	الهدف.....

الإنشغال الكامل بالنظرية والعقيدة والفلسفة يمكن أن يكون مؤدياً حقيقياً، إلى درجة أنه يصرف المرء عن الاضطلاع بالرياضة الروحية المهمة حقاً وذلك عبر طرح بديلٍ أسهلٍ وهو ذهنيّ بحت، والذي لهذا لا يسعه تغيير طبيعته.

ما فائدة تعلمات أولئك الذين لا يسعون لمحو حروف القدر (من على جبينهم) عبر الاستفهام: "من أين ولدنا نحن من نعرف الحروف؟". لقد تدنوا إلى مستوى الفونوغراف، ما عساهم يكونون أيضاً، و  
أروناشالا؟

أولئك اللامتقفين هم في حرزٍ أكثر من أولئك الذين لم تخبو أنهم المغرورة رغم كل تعلماتهم. يجلس اللامتقفون في مأمنٍ من القبضة العديمة الشفقة لشیطان الافتتان بالنفس، فهم ناجون من علة إندفاع دَفَقِ الخواطر والكلمات التي لا تحصى، ناجون من اللهاث وراء الأطماع؛ إنهم في حمىٍ من أكثر من شيطانٍ واحد.

على نحوٍ مشابه، فلم يكن لدى بجوان مِيلٌ لخوض النقاشات النظرية.

نتيجة الوهم المتولد عن الجهل، يفوت الناس التعرف على ذلك الذي هو دائماً ولكل امرئٍ الحقيقة الفطرية التي تستوطن وتستقر في مقرها الطبيعي: القلب؛ و عوضاً عن ذلك تُبصرهم يتجادلون فيما بينهم أنراها توجد أم لا، ألدنيا شكل أم لا، ثنوية أم لا.

هل يمكن لأي شيء الظهور بمعزلٍ عن ذلك السرمدي والتام؟ إن هذا النوع من الجدال لا أفق له، إياك والانخراط فيه.

عوضاً عن ذلك، وجّه عقلك للداخل وَصَّغْ حدّاً لكل هذا، فلا نهائية للجدالات.

سيُتضح في نهاية المطاف بأن النصوص المقدسة أيضاً لا طائل منها.

يُمكن مغزى النصوص المقدسة في كونها تشير إلى وجود قوة أعلى أو ذاتٍ أعلى، كما أنها تدل على الطريق المؤدي إليها، وهذا هو الغرض الأساسي منها، وبمعزلٍ عن ذلك فلا فائدة تُرتجى منها. على كل حال، فإنها ملؤ مجلداتٍ وذلك للتأقلم مع درجة تطور كل مريد. ما أن يرتقي المرء في الميزان، سيجد أن المراحل التي تم إحرازها ليست سوى حصى الغاية منها السير عليها تجاه مراحل أعلى إلى أن يتم بلوغ الهدف بشكل نهائي. وعندما يتم هذا، فإن الهدف النهائي وحده يبقى وكل ما سواه، بما في ذلك النصوص المقدسة، تُسمى عديمة المنفعة.

صحيح أن بجوان قد قام في بعض الأوقات بتفسير فلسفة ما بكل تعقيداتها، ولكن فقط كنزولٍ منه إلى درجة أولئك المُدمنين على التفكير، ولكنه وضعها في قالب الاستفهام عن الذات. قد فكرت في الاستشهاد بإيضاح على هذا هنا، لكنني وجدت ذلك مُحتوىً ضمن هذا المقطع:

يُقال أن المتاهة المُتشعبة لفلسفة المدراس المتعددة توضح المسائل وتكشف الحقيقة، لكنها في الواقع تُسبب حيرةً لا داعٍ لها. لفهم أي شيء، فلا بد أن يكون هناك الذات. الذات بيّنة، لذا لم لا تبقَ على أنك الذات؟ ما الحاجة لشرح غير الذات؟

واستطرد من عنده قائلاً:

لقد كنتُ محظوظاً حقيقةً أنني لم ألجأ إليها (أي الفلسفة)، فلو كنت قد لجأت إليها— لما كنت ربما وصلت لأي شيء، لكن ميولي الفطرية قادتني بشكل مباشر إلى طرح الاستفهام "من أكون أنا؟" كم كنت محظوظاً!

## العالم - حقيقةً هو أم وهم؟

رغم ما سبق، فإن بعض التعاليم النظرية تظل ضرورية كأساس للشق العملي من الرياضة الروحية، وقد اتخذ هذا مع الـ مهاريشي طابعاً غير ثنوي بتوافق تام مع تعاليم الحكيم العظيم (شَنكرا). إن هذا الاتفاق لا يعني بأي حال أن بجوان كان كما يصوغ الفلاسفة مصطلحاتهم "متأثراً بـ" شنكرا، بل إن مَحَض تعاليم (شَنكرا) المُعترف بها تمثل إيضاحاً حقيقياً لما قد أدركه وعرفه بمعايشة مُباشرة.

المريد: هل تعاليم بجوان هي نفسها تعاليم شَنكرا؟

بجوان: تعاليم بجوان هي تعبيرٌ عن تجربته وإدراكه الخاص، والبعض يجد هذا مُطابقاً لتعاليم شري شَنكرا.

المريد: عندما نقول الـ أوبانشاذز أن الكل هو بَرَمَان، كيف لنا

أن نتفق مع شَنكرا الذي قال بوهمية هذا العالم؟

بجوان: شَنكرا أيضاً قد قال أن هذا العالم هو بَرَمَان أو الذات؛

كان ما اعترض عليه هو أن يتخيل المرء الذاتَ محدودةً بالأسماء والصور التي تُكوّن العالم، فقد قال فقط أن لا حقيقة للعالم بمعزلٍ عن

برّمان. إن برّمان أو الذات مثله مثل شاشة السينما، بينما العالم فهو مثل الصور التي تظهر عليها. يمكنك مشاهدة الصورة فقط طالما أن هناك شاشة، لكن عندما يغدو المشاهد نفسه هو الشاشة، فإن الذات وحدها تبقى. لقد انتقد سنكرا لفلسفته حول مايا (الوهم) بدون فهم ما عناه بهذا، فقد كانت له ثلاثة مواقف وهي: برّمان حقيقي، الكون حقيقي، وبرّمان هو الكون؛ لم يتوقف سنكرا عند المقولة الثانية، والمقولة الثالثة تُفسر المقولتين الأوليتين حيث تُشير إلى أنه عندما يتم إدراك الكون بمعزل عن برّمان، فهذا الإدراك زائف ووهمي. لهذا فهي تتلخص في اعتبار هذه الظواهر حقيقية عندما يتم مُعايشتها على أنها الذات، وهي وهمية عندما يتم رؤيتها بمعزل عن الذات.

وحدها الذات من يوجد وهي حقيقية، أما العالم والفرد والله فمثلهم مثل الظهور الوهمي للفضة في عروق الصدف، أي مخلوقات تخيلية ضمن الذات. تظهر وتختفي بشكل متزامن. في حقيقة الأمر، فالذات وحدها هي العالم والـ "أنا" والله، وكل ذلك الذي يوجد ما هو إلا مجرد تجلٍ للمطلق.

المريد: ما هي الحقيقة؟

بجوان: الحقيقة ينبغي أن تكون دائماً حقيقية، فلا أسماء ولا صور لها بل هي ما يُشكل الأساس لتلك الأسماء والصور. الحقيقة تُشكل الأساس لكل الحدود كونها هي ذاتها غير محدودة، وتُشكل الأساس للأوهام كونها هي ذاتها حقيقية. إنها ذلك الذي يكون، تكون على أنها تكون، تسمو فوق الكلام وأبعد من الوصف كالقول بأنها كائنة أو غير كائنة.

ما كان بجوان ليقع في شرك خلاقات ظاهرية راجعة إلى مجرد اختلاف في وجهة نظر أو طريقة تعبير.



المريد: يُنكر البوذيون وجود العالم في حين تُقرّ الفلسفة الهندوسية بوجوده ولكنها تسميه غير حقيقي، أليس الأمر كذلك؟  
 بجوان: إنه مجرد اختلاف في وجهة النظر.

المريد: يقولون أن الكون خُلِقَ بواسطة طاقة إلهية (شَاكْتِي). هل العلم بزيّف العالم عائدٌ إلى الحجاب المُلقى بالوهم (مَايَا)؟

بجوان: الجميع أقرّ بأن الخلق سببه طاقة الإلهية، لكن ما هي طبيعة هذه الطاقة؟ يجب أن تكون مُتماشبة مع طبيعة خلقها.  
 المريد: هل من درجات للوهم؟

بجوان: الوهم نفسه وهمي، فلا بد أن تتم رؤيته من طرف شخصٍ يقع خارجه، وبالتالي كيف يمكن لناظرٍ كهذا أن يكون خاضعاً له؟  
 وعليه كيف له أن يتحدث عن درجاتٍ للوهم؟

أنت تشاهد مشاهد متنوعة تمر على شاشة السينما: فتبدو النار وهي تحرق المباني وتُحيلها إلى رماد، والمياه تُحطم السفن، لكن الشاشة التي تُعرض عليها هذه الصور لا يُصيها حرقٌ ولا بَلل. لماذا؟ لأن الصور ليست حقيقية، أما الشاشة فهي حقيقية.

على نحو مشابه، فإن الانعكاسات تخترق المرآة لكن المرآة لا تتأثر على الإطلاق بأعداد هذه الإنعكاسات أو أنواعها.

بنفس الطريقة، فإن العالم ظاهرة تتجلى فوق قوام الحقيقة المفردة والتي لا تتأثر به، أي العالم، بأي طريقة. الحقيقة واحدة فقط.

إن الحديث عن الوهم سببه وجهة النظر فقط، فم بتغيير وجهة نظرك نحو وجهة نظر المعرفة وستدرك الكون على أنه برّمان فقط. لأنك غارق في العالم الآن، فأنت تراه عالماً حقيقياً، إذ هب إلى ما ورائه وعندئذٍ سيختفي، ووحدها الحقيقة ستبقى.

كما يُظهر المقطع الأخير، فإن مُسلمة الحقيقة الكونية الواحدة تستدعي وضع تصورٍ إما عن أسلوب الوهم أو الخلق، وذلك لشرح الحقيقة الظاهرية للعالم.

يتم إدراك العالم على أنه حقيقة موضوعية ظاهرية عندما ينبسط العقل للخارج وبذلك يهجر هويته مع الذات، وهنا فإن طبيعة الذات الأصلية لا يتم كشفها؛ وعلى العكس من هذا، فعندما يتم إدراك الذات يتوقف العالم عن الظهور كحقيقة موضوعية.

هذا الوهم هو من يدفع المرء لأن يتخذ الحاضر أبداً والمُنبت في كل شيء، الذي هو في مُنتهى الكمال والمستنير بذاته، والذي هو حقيقة الذات وصميم كينونة المرء، على أنه غير موجود وغير حقيقي. وعلى العكس من هذا، فإنه الوهم هو من يجعل المرء يتخذ ما هو غير موجود وغير حقيقي على أنه حقيقي وموجود بذاته، وبالتحديد: ثالث العالم والأنا المغرورة والله.

العالم في واقع الأمر حقيقي، ولكن ليس كحقيقة مستقلة موجودة بذاته، تماماً مثل إنسان تراه في حلم، فهو حقيقي ككائن حلمي لكن ليس كإنسان.

العالم حقيقي لأولئك الذين لم يدركوا الذات ولأولئك الذين أدركوها، ولكن بالنسبة للفئة الأولى فإن الحقيقة تنتطب مع صورة العالم، بينما بالنسبة للفئة الأخيرة فإن الحقيقة تُشع ككمالٍ هيولي يُشكّل قواماً للكون. هذا هو الفرق الوحيد بينهما.

ما أن استذكرت قول بجوان في بعض الأحيان بأن اللاحقيني (ميتيا، الوهمي) والحقيني (ستيام) يعينان ذات المعنى، وحيث أني لم أفهم تلك المسألة بدقة، سألته عن ذلك فأجاب: "أجل، أقول هذا في بعض الأوقات، لكن ما الذي تعنيه بالحقيني؟ ما هو ذلك الذي تسميه حقيقياً؟" أجبت: "بناءً على الـ فيديانتا، فوحده ذاك الدائم واللامتغير يمكن تسميته حقيقياً، هذا هو معنى الحقيقة."

ثم قال بجوان: "الأسماء والصور التي تُشكل العالم تتغير باستمرار وتندثر، لهذا فهم يسمونها غير حقيقية. إنه لأمرٌ (وهمي) غير حقيقي أن تُفيد الذات بهذه الأسماء والصور ومن ثم تعتبر الكل على أنه الذات. يقول اللاثنوي أن العالم غير حقيقي، ولكنه يقول أيضاً أن "كل هذا هو برمان". لذا فمن الواضح أن اعتبار العالم حقيقياً بشكل متجرد هو ما ينكره، ولكنه لا ينكر اعتباره على أنه برمان. ذلك الذي يبصر الذات فهو يبصر الذات بمفردها في العالم أيضاً. ظهر العالم أم لم يظهر فالأمر سيان عند المرء المُستنير؛ وفي أي من الحالتين، فإن انتباهه مُنصرف نحو الذات. الأمر مثل الأوراق والحروف التي تُطبع عليها، فأنت مُهمك للغاية في الحروف لدرجة أنك نسيت الأوراق؛ أما المُستنير فيرى الأوراق كقوامٍ سواءً ظهرت الحروف عليها أم لم تظهر.

تم تفسير هذا بكلامٍ أكثر إيجازاً على النحو الآتي:

الـ فيديانتيون لا يقولون بوهمية العالم، هذا سوء فهم؛ فإذا ما قالوا هذا، ماذا سيكون معنى النص الـ فيدينتي: "كل هذا هو برمان"؟ كل ما يعنونه أن العالم غير حقيقي كعالم لكنه حقيقي كذات. إذا ما اعتبرت العالم على أنه غير الذات، فهو غير حقيقي. كل شيء، سواءً سَمِيته وهماً

(مايا) أو لُعبة إلهية (بيلا) أو طاقة (شاكستي)، فلا بد له أن يكون ضمن الذات وليس بمعزل عنها.

قبل الانصراف عن النظرية القائلة بأن العالم هو تجل للذات وأنه خالٍ من الحقيقة المتجردة، يجب التشديد مجدداً على أن للنظرية أهميتها عند الممارشي إلى القدر الذي تساعد فيه المرء في تطوره الروحي فقط، وليس لذات النظرية. إن علم الكون كما تم فهمه بواسطة العلم الفيزيائي العصري لم يكن ليعنيه مطلقاً.

المريد: تحتوي الـ فيداز على روايات متناقضة حول نشأة الكون، فيقال أن الأثير هو المخلوق الأول في موضع ما، وأن الطاقة الحيوية هي المخلوق الأول في موضع آخر، الماء في موضع آخر، شيء ما آخر في موضع آخر، كيف يمكن التوفيق بين كل هذا؟ ألا يُوهن هذا من مصداقية الـ فيداز؟

بجوان: أبصر المبصرون على اختلاف أشخاصهم جوانب مختلفة للحقيقة في أوقات متفاوتة، فكل منهم يؤكد على وجهة نظر ما؛ ولكن لم القلق حول شهاداتهم المتباينة؟ فالغاية الرئيسية من الـ فيداز تعليمنا طبيعة الذات غير الفانية وأن ترينا أننا تلك الذات.

المريد: فيما يتعلق بهذا الخصوص فأنا راضٍ.

بجوان: إذن أنظر إلى كل ما تبقى على أنه حوارات أو شروحات إضافية للمرء الجاهل الذي يريد أن يعرف طبيعة الأشياء.

بينما كان النقيب شادوك يقوم بنسخ الترجمة الانجليزية لكتاب *كايغالا نافاتيبيتا* التاميلي، أتى على بعض المصطلحات الفنية والتي واجه صعوبة في فهمها؛ قام مستوضحاً بسؤال بجوان عنها، فجاء جواب بجوان على النحو الآتي: "هذه الأجزاء تتعاطى مع نظريات الخلق، وهي ليست

أساسية لأن الغرض الحقيقي من النصوص المقدسة ليس وضع نظريات كهذه. قامت النصوص بسرد النظريات بشكل عَرَضِي، بالتالي فإن أولئك القراء الذين يصبون إليها، قد يجدون فيها المَنفعة. الحقيقة هي أن الكون يظهر كظلٍ عابر في فيض نور، فالنور ضروري لرؤية الظل حتى، أما الظل فليس جديراً بأي دراسة أو تحليل أو نقاشٍ خاص. الغرض من الكتاب هو التعاطي مع الذات وما قيل عن الخلق يمكن وضعه جانباً في الوقت الراهن."

ثم أردف شري بجوان قائلاً: "تقول الـ *فيداننا* أن الكون ينبثق للوجود بالتزامن مع ذلك الذي يراه، وليس هناك من عملية مُفصلة للخلق. الأمر أشبه بِحلمٍ، فذلك الذي يعيش الحلم يظهر للوجود بالتزامن مع الحلم الذي يعيشه. على كل حال، فإن بعض الناس سريعو التعلق بالمعرفة الموضوعية بحيث تجدهم غير راضين عندما يتم إخبارهم بما سبق، فهم يريدون أن يعرفوا كيف من الممكن حدوث خلق بشكلٍ مُفاجيء، ويُجادلون بأن النتيجة لا بد وأن تكون مَسبوقةً بسبب. في حقيقة الأمر، هم يرغبون في سماع تفسيرات عن العالم الذي يرونه من حولهم، لهذا فإن النصوص المقدسة تحاول إشباع فضولهم عبر نظريات كهذه. هذه الطريقة من التعاطي مع الموضوع تُسمى نظرية الخلق التدريجي، أما المريد الحقيقي فهو راضٍ بمبدأ الخلق الفوري."

## طبيعة الإنسان

نأتي الآن على جوهر النظرية، طبيعة الإنسان نفسه. أياً كان ما قد يعتقد الإنسان حول حقيقة العالم أو الله، فهو نفسه يعلم أنه موجود، والمرء يَجِدُ في طلب العلم والإرشاد كي يفهم وكي يبلغ الكمال في ذات الوقت.

إن الكينونة الفردية التي تماهي وجودها مع تلك الحياة السارية في الجسد المادي على أنها "أنا"، تُسمى الأنا المغرورة. أما الذات والتي هي وعي خالص، فلا حس بالأنا المغرورة لديها ولا حتى الجسد المادي الذي هو خاملٌ بطبيعته لديه هذا الحس بالأنا المغرورة. بين هذين الاثنين، أي بين الذات أو الوعي الخالص والجسد المادي الخامل، تنهض بشكل مُبهم حاسة الأنا المغرورة أو مفهوم الأنوية، الهجين الذي ليس من هذا أو ذلك، وهذا المفهوم يترعرع وينمو ككيانٍ فردي. هذه الأنا المغرورة أو الكينونة الفردية تكمن في جذر كل ما هو عديم الجدوى وغير مرغوبٍ به في الحياة؛ لهذا يجب أن يتم القضاء عليها بكل وسيلة ممكنة، ومن ثم فإن ذلك الذي هو وحده للأبد، يبقى مُتوهجاً. هذا هو الخلاص أو الاستتارة أو إدراك الذات.

المريد: غالباً ما يقول بجوان: "العالم لا يوجد خارجك"، أو "كل شيء يعتمد عليك"، أو "ما هو ذلك الذي يقع خارجك؟"، أرى كل هذا مُحيراً، فالعالم وُجد قبل أن أُولد وسيستمر في الوجود بعد موتي، حيث أنه صمد أمام موت الكثيرين الذين قد عاشوا فيه ذات مرة كما أعيش فيه أنا الآن.

بجوان: وهل قلت يوماً أن العالم يوجد بسببك؟ لقد قمتُ فقط بسؤالك "ما الذي يوجد بِمَعزِلٍ عن ذاتك؟" عليك أن تعي أنه لا الجسد الكثيف ولا اللطيف هما المعنيان حين تُذكر الذات.

ما قيل لك هو أنه حالما تعرف الذات في الداخل حيث توجد كل الخواطر، بما في ذلك خاطرة نفسك والآخرين أمثالك والعالم، عندئذٍ يمكنك إدراك الحقيقة بأن هنالك حقيقة، حقيقةً مطلقة والتي هي الذات لكل العالم الذي تراه الآن، ذات كل الذوات، الذات الحقيقية الواحدة والأسمى

والخالدة، ويمكنك إدراكها مُتمايزة عن الأنا المغرورة أو الكيان الفردي الفاني. ينبغي عليك أن لا تحسب الأنا المغرورة أو خاطرة الجسد أنها الذات.

المريد: إذن فـ بجوان يعني بأن الذات هي الله؟

في جوابه الآتي فإن بجوان وكما كانت عادته، أدار وجهة النقاش من النظرية إلى التطبيق. رغم أن الفصل الحالي مُكرسٌ بكليته للنظرية، فإنه يبدو من المناسب مواصلة الحوار لنعرض كيف تم وضع النظرية موضع الاستخدام العملي.

مهاريشي: إنك ترى الصعوبة. الاستفهام عن الذات "من أكون أنا؟" هو تقنية مختلفة عن التأمل في "أنا أكون شيئاً" أو "أنا أكون هو"، فأنا أفضل التأكيد على معرفة الذات لأنك أولاً مهتم بذاتك قبل أن تُباشر في معرفة الكون أو ربه. إن التأمل في "أنا أكون هو" أو "أنا أكون برّمان" ذهنيّ نوعاً ما، لكن طريقة البحث عن الذات التي أتحدث عنها طريقة مباشرة وأعظم شأنًا منها، لأنه في اللحظة التي تنخرط فيها في البحث عن الذات وتبدأ في المُضي عميقاً، فإن الذات الحقيقية تنتظر هناك لاستقبالك ومن ثم فإن أياً ما يجب فعله يتم بواسطة شيء آخر، وأنت كفرد ليس لك يدٌ فيه. ضمن هذا السياق، فإن كل الشكوك والنقاشات يتم التخلي عنها تلقائياً، تماماً كأحدهم ينام فينسى كل أعبائه في ذلك الوقت.

يبين النقاش التالي حرية الجدل التي سمح بها بجوان لأولئك الذين لم يكونوا على قناعة كافية بجواب ما.

المريد: ما الضمان بأن شيئاً ما ينتظر هناك لاستقباله؟

بجوان: عندما يكون المرء ناضجاً بما فيه الكفاية، يصبح مقتنعاً بشكل طبيعي.

المريد: كيف يمكن بلوغ هذا النضج؟  
 بجوان: تم وصف العديد من الطرق، ولكن أياً يكن التقدم القائم سلفاً هناك، فإن الاستفهام الجاد عن الذات يُسرّع من سيرورته.  
 المريد: أرى هذا جدالاً في حلقة مُفرّغة؛ فأكون قوياً بما يكفي للنهوض بالبحث في حال كنت ناضجاً، ولكنه البحث هو من يُصيرني ناضجاً!

هذا اعتراضٌ غالباً ما كان يتم طرحه في صورة ما أو أخرى، وكان الرد عليه يأتي ليؤكد من جديد على أن النظرية ليست هي المطلوبة فعلياً، بل التطبيق.

بجوان: يكتنف العقل هذا النوع من الصعوبة، فالعقل يريد نظرية ثابتة لإرضاء نفسه بها. ولكن في الواقع، فإنه ما من ضرورة لأي نظرية للمرء الذي يسعى بإخلاص للتقرب إلى الله أو إلى ذاته الحقيقية.  
 كل امرئ هو الذات وغير محدود فعلياً، ولكن في المقابل، فإن كل شخص يحسب جسده هو ذاته. لإدراك أي شيء فإن الوعي ضروري، وهذا الوعي يمكن أن يكون من طبيعة النور فقط. على كل حال، فالذات تضيء النور والظلام المادي كليهما، ما يعني القول بأنها تكمن وراء النور والظلام الظاهريين، هي نفسها ليست أياً منهما، ولكن يُقال أنها نور لأنها تثير كليهما، إنها شيء لا متناهٍ، وهي الواعي. الواعي هو الذات والتي كل امرئ هو واعٍ بها، فلا أحد على الإطلاق بمنأى عن الذات، ولهذا فإن كل فرد في الحقيقة هو مُدرك لـ



الذات، وحدهم الناس - وهذا هو الغموض العظيم - لا يعرفون هذا ويريدون أن يدركوا الذات. الإدراك هو عبارة عن التخلص من الفكرة الزائفة التي مفادها بأن المرء غير مُدرك، فهي ليست أي شيء جديد ليتم اكتسابه، لا بد وأنها موجودة بالأصل وإلا فلن تكون سرمدية، ووحده ما هو سرمدي يستحق السعي لأجله.

حالما يتم إقصاء الاعتقاد الزائف: "أنا أكون الجسد" أو "أنا لست مُدركاً"، فإن الوعي المطلق أو الذات وحدها تبقى، وضمن حدود المعرفة الراهنة للناس فإنهم يسمون هذا بـ: "الإدراك"، ولكن هذا الإدراك في الحقيقة أبديٌّ وموجود أصلاً هنا والآن. الوعي معرفةٌ خالصة، والعقل ينبثق عنه وهو مُكوّن من خواطر.

إن جوهر العقل وعي فقط، ولكن عندما يكون مُلبداً بغيوم الأنا المغرورة، فهو يعمل كآلة استنتاج وتفكير وإدراكٍ حسي. أما العقل الكوني، وكونه غير محدود بالأنا المغرورة، فلا شيء يوجد خارجه، ولأجل هذا فهو واعٍ فقط. هذا هو ما يعنيه الإنجيل بمقولة "أنا أكون تلك الأنا أكون".

قوة العقل المقود بالأنا المغرورة مقوّضة وخائرة للغاية لأن يقاوم الخواطر المُضطربة؛ أما العقل الخالي من الأنا المغرورة فيقرّ سعيداً وذلك كما نرى أثناء النوم العميق أو الحالم. لهذا وبكل وضوح، فإن السعادة والشقاء هما مجرد نَمطين يَتبعان للعقل.

المريد: عندما أسعى خلف الـ "أنا"، لا أرى شيئاً.

بجوان: أنت تقول هذا لأنك مُعتاد على مُماهة نفسك مع الجسد والإبصار بالعينين، لكن ماذا هنالك لكي يتم إبطاءه؟ وبواسطة من؟ وكيف؟ هنالك وعيٌ واحد، إلا أنه عندما يُماهي نفسه مع الجسد، فهو

يتصور نفسه بعينين ويبصر الموجودات المحيطة به. الفرد مُقيد بحالة اليقظة، فهو مُسلماً بِسُلطة حواسه يتوقع أن يُبصر شيئاً مختلفاً، ولن يعترف بأن المُبصر والمُبصَّرات وفعل الإبصار ذاته هي جميعها تجليات لذات الوعي: الـ "أنا - أنا". يساعد التأمل في تخطي الوهم القائل بأن الذات شيء يتم إبصاره؛ حيث أنه في حقيقة الأمر لا شيء هناك لإبصاره. كيف تدرك نفسك الآن؟ هل تمسك بمرآة أمام نفسك كي تدرك نفسك؟ الوعي نفسه هو "أنا"، قُم بإدراكه وهذه هي الحقيقة.

المريد: عندما أستفهم عن منشأ الخواطر، ألامس إدراكاً ما

لـ "أنا" لكنه لا يرضيني.

بجوان: تماماً، لأن هذا الإدراك لـ "أنا" مُقترن ببيئة ما، ربما بالجسد المادي، بينما لا شيء يجب أن يكون مقترناً بالذات الخالصة. الذات هي الحقيقة الخالصة التي في نورها يبرز الجسد والأنا المغرورة وكل شيء آخر. عندما تَسْكُن كل الخواطر، فإن الوعي الخالص يبقى.

المريد: كيف تنبعث الأنا المغرورة؟

كان هذا سؤالاً يستدعي الانجرار في تفلسفٍ لا سقف له، ولكن بجوان بتمسكه الوثيق بالحقيقة اللاثنوية، رفض أن يُقرّ بوجود الأنا المغرورة.

بجوان: ليس هنالك أنا مغرورة، فلو كان هناك أنا مغرورة لكأن عليك أن تُقرّ بوجود ذاتين في داخلك؛ عليه، فليس هناك جهالة. إذا ما استفهمت عن الذات، ستلقى أن الجهالة التي لا وجود لها أصلاً غير موجودة وستقول أنها قد لاذت بالفرار.

قد يبدو للمستمع في بعض الأحيان بأن غياب الخاطرة لا بد وأن يعني حدوث مجرد فراغ، ولكن لا بد أن يوجد هناك شخص ما ليكون واعياً بهذا الفراغ، لهذا فإن بجوان حذر من هذا بالتحديد.

غياب الخاطرة لا يعني فراغاً، فلا بد أن يوجد هناك شخص ما ليكون واعياً بهذا الفراغ. المعرفة والجهالة كلاهما يندرجان ضمن العقل وهما موجودان ضمن عالم الثنوية، لكن الذات فوق كليهما، إنها نور خالص. لا حاجة لذات لأن ترى الأخرى، فليس هنالك ذاتان، وما هو ليس الذات فهو مجرد لا ذات، ولا يمكنه بدوره رؤية الذات. الذات لا بصر ولا سمع لها، فهي تكمن ورائهما وحدها دون أحد، كوعي خالص.

لطالما استشهد بجوان بمثال الإنسان الذي يستمر وجوده أثناء النوم العميق والحالم كليهما وذلك كبرهان على أنه موجود بشكل مستقل عن الأنا المغرورة وحواس الجسد. كما أشار أيضاً إلى حالة النوم العميق كحالة متحررة من الجسد وخالية من الأنا المغرورة.

المريد: لا أعلم ما إذا كانت الذات مختلفة عن الأنا المغرورة.

بجوان: ما الحالة التي كنت فيها أثناء النوم العميق؟

المريد: لا أعلم.

بجوان: من هو ذا الذي لا يعلم؟ الذات اليقظة؟ لكنك لا تنكر أنك

كنت موجوداً أثناء النوم العميق؟

المريد: لقد كنت وأكون، لكني لا أعلم من ذا الذي كان في نوم

عميق.

بجوان: بالضبط. المرء المستيقظ يقول أنه لم يكن على دراية بأي شيء خلال حالة النوم العميق، أما الآن فهو يرى موجوداتٍ ويعلم أنه يوجد، بينما أثناء النوم العميق فلم يكن هنالك موجودات ولا مُشاهد، إلا أن نفس الشخص الذي يتكلم الآن كان موجوداً أثناء النوم العميق أيضاً، ما الفرق بين كلا الحالتين؟ الآن ثمة محسوسات توجد والحواس في حالة حركة، بينما أثناء النوم العميق لم يكن هنالك شيء من هذا القبيل. لقد انبعث كيان جديد، إنه الأنا المغرورة والتي تعمل من خلال الحواس، فترى الموجودات وتماهي نفسها بالبدن وتدعي أنها الذات. بينما في الحقيقة، فإن ذلك الذي كان موجوداً أثناء النوم العميق، يستمر في الوجود الآن أيضاً؛ الذات غير متغيرة، وإنما هي الأنا المغرورة التي تحل بينهما. إن ذلك الذي ينهض ويرقد هو الأنا المغرورة، أما ذلك الذي يظل غير مُتغير فهو الذات.

أمثلة كهذه كانت تستدعي في بعض الأوقات استحضر التصور الخاطئ القائل بأن مقام الإدراك أو الاستيطان في الذات الذي أوصى به بجوان، كان عبارة عن حالة جهالة مثله مثل النوم الجسدي، ولهذا فقد حذر بجوان من مغبة الوقوع في هذا التصور أيضاً.

بجوان: اليقظة والحلم والنوم، هي مجرد مراحل يمر بها العقل وليس الذات؛ الذات هي الشاهد على هذه الحالات الثلاث. إن طبيعتك الحقيقية توجد في النوم.

المريد: ولكننا نصحنا بعدم الوقوع في النوم خلال التأمل.

بجوان: إنه السُّبَات الذي يجب أن تتلافاه، أما ذلك النوم الذي يتبدل باليقظة فليس نوماً حقيقياً، وتلك اليقظة التي تتبدل بالنوم ليست يقظة

حقيقية. هل أنت يقظ الآن؟ كلا. لهذا فإن ما عليك فعله هو الاستفاقة لحالتك الحقيقية، عليك أن لا تقع في نوم زائف وأن لا تبقى يقظاً بشكل زائف.

بجوان: رغم أنها حاضرة حتى أثناء النوم، فإن الذات لم تُدرك بعد. لا يمكن معرفتها خلال النوم بشكل فوري، فلا بد وأن يتم إدراكها أولاً في حالة اليقظة كونها طبيعتنا الحقيقية الأساس لكل الحالات الثلاث. يجب بذل الجهد في حالة اليقظة وإدراك الذات هنا والآن، وعندئذ سيتم إدراكها على أنها الذات المستمرة التي لا تنقطع بتبدل حالات اليقظة والنوم الحالم والنوم العميق.

في الواقع، فإن ثمة نعتٌ يطلق على المقام الحقيقي الذي يتبوأه المرء المدرك وهي: "الحال الرابعة" التي توجد ما وراء الحالات الثلاث بشكلٍ سرمدى: اليقظة والحلم والنوم العميق. يتم تشبيه هذه الحال بحالة النوم العميق حيث أنها مثلها هيولية وغير ثنوية. ولكن، وكما نرى في الاقتباس أعلاه، فإنها بعيدة عن أن تكون مثلها حيث أن الأنا المغرورة في الحال الرابعة تندمج في الوعي، بينما تندمج أثناء النوم في اللاوعي.

## الموت والبعث في خلق جديد

لم يقم بجوان في أي موضع بتوضيح مدى وجوب أقلمة النظرية مع فهم كل مرید كما فعل في إجابته على السؤال المتعلق بالموت والولادة الجديدة. بالنسبة لأولئك الذين كانوا قادرين على استيعاب النظرية اللاثنوية الصرفة، فقد

قام بجوان بمجرد القول أن السؤال لا يتبادر، لأنه إذا كانت الأنا المغرورة لا وجود حقيقي لها الآن، فإنه لا وجود لها بعد الموت كذلك.

المريد: هل أفعال المرء في حياته الحالية تؤثر عليه في الولادات

المستقبلية؟

بجوان: وهل أنت مولود الآن؟ لم تفكر في الولادات المستقبلية؟ الحقيقة هي أنه ليس هناك ولادة ولا موت، دعه ذلك المولود يفكر في الموت وفي مسكن لهذا.

المريد: هل العقيدة الهندوسية القائلة بتناسخ الأرواح صحيحة؟

بجوان: ليس بالإمكان إعطاء جواب قطعي، فحتى التناسخ الحالي قد تم إنكاره وذلك في بكفاد كيبتنا على سبيل المثال.

المريد: أليست شخصيتنا أزلية؟

بجوان: جد أولاً ما إذا كانت موجودة بالأساس، وبعد أن تحل تلك الإشكالية فم بطرح ذلك السؤال. نَمالوار يقول: "خلال الجهالة، حَسِبْتُ الأنا المغرورة أنها الذات، ولكن عبر المعرفة الصحيحة تبين لي أن الأنا المغرورة ليست كذلك، ووحده أنت فحسب تبقى على أنك الذات".

اللاثويون والثويون كلاهما يُقرون بضرورة إدراك الذات؛ أحرز هذا أولاً ومن ثم قم بطرح أسئلة أخرى. لا يمكن البت في اللاثوية والثوية وفق أساسات نظرية فقط. إذا ما تم إدراك الذات، فإن السؤال لن يتبادر.

كل ما يُولد يجب أن يموت، وكل ما يُكتسب يجب خسرانه، ولكن هل وُلدت؟ أنت موجود بشكل خالد، لا يمكن خسران الذات.

في الواقع فإن بجوان لم يُحبذ الانشغال في أسئلة كهذه حيث أنها تُشتت المرء لا غير عن المهمة الحقيقية لإدراك الذات هنا والآن.

المريد: يقولون أنه لدينا خيار لتذوق طعم الحسنات والسيئات بعد موتنا، وهذا يعتمد على ما نختاره. هل الأمر كذلك؟

بجوان: لمَ السؤال عما يحدث بعد الموت؟ لمَ السؤال عما إذا وُلدت، عما إذا كنت تجني ثمار الـ كارما الماضية، وإلى ما ذلك؟ أنت لن تقوم بطرح أسئلة كهذه عما قليل عندما تأوي للنوم، لماذا؟ هل أنت شخص مختلف الآن عن ذلك الذي أنت عليه أثناء النوم؟ كلا أنت لست هذا. جد لماذا لا تتبادر إليك أسئلة كهذه عندما تكون نائماً.

أحياناً وعلى أية حال، قام بجوان بإقرار وجهة نظر عَرَضِيَّة في سبيل أولئك الذين لم يتمكنوا من فهم عقيدة اللاتنوية المَحْضَة.

يقول شرري كرشنا مخاطباً أَرَجُونَا في الفصل 2 من الكتاب المقدس **بِكفاد كيبنا** بأنه لم يُولد أحد، ومن ثم في الفصل 4: "قد وقعت تناسخات عديدة لكلينا أنا وأنت، إلا أنني على دراية بهم جميعاً أما أنت فلا." أي من هاتين المقولتين حقيقي؟ إن فالتعاليم تتباين وفق فهم كل مستمع.

عندما اعترف أَرَجُونَا مُفْصِحاً بأنه لن يقابل أقربائه وشيوخ عائلته فيقتلهم ويؤول إليه زمام المملكة، قال له شرري كرشنا: "هذه الأنت أو أنا لم توجد قبلاً، كما أنها لا توجد الآن ولن تكون بعد الآن، فلا أحد قد وُلد ولا أحد قد مات، ولن يكون هناك شيء كهذا بعدئذٍ". من ثم قام شرري كرشنا بصقل هذا الطرح قائلاً أنه قد أصدر تعليماته لـ الشمس ومن خلالها لـ **إكشواكو**، فتساءل أَرَجُونَا مُسْتَهْجِئاً: أنى لهذا أن يحدث وقد وُلدت فقط منذ سنوات قليلةٍ خلت، بينما الشمس وإكشواكو قد عاشا في

قرون خَلت، فأيقن شرّي كرشنا وجهة نظره وقال: "نعم، لقد وقعت هناك تناسخات كثيرة لي ولك، ولكني على دراية بهم جميعاً، أما أنت فلا." مقولات كهذه تبدو متناقضة ولكنها حقيقية من وجهة نظر

السائل. لقد قال المسيح أيضاً "قبل أن يكون إبراهيم، كنت أنا." تماماً كما في الأحلام، فتستيقظ بعد تجارب عديدة وجديدة قد عشتها؛ كذلك الأمر بعد الموت حيث يتم تبني جسد جديد.

تماماً كما الأنهار تفقد شخصيتها الفردية عندما تَلْفُظ مياهها في المحيط، إلا أن المياه تتبخّر وتعود مطراً يتساقط فوق التلال، ومن جديد تجري عبر الأنهار إلى المحيط؛ كذلك الأفراد، فهم يفقدون شخصياتهم الفردية عندما يخلدون للنوم ولكنهم يعودون مجدداً وذلك تبعاً لنوازعهم الكامنة السابقة. على نحو مشابه، فإن الكيان الفردي لا يتم فقدانه أثناء الموت أيضاً.

المريد: كيف هذا؟

بجوان: أنظر كيف تنمو من جديد شجرة قُطعت فروعها، فطالما أن مصدر الحياة لم يُزْهَق فإنها ستتمو. على نحو مماثل، فإن الكُمُونيات تتكفيء إلى القلب عند الموت لكنها لا تَفنى، وعلى هذا النحو تُولد الكائنات من جديد. 3

رُغم ما سبق، فقد كان يتحدث من وجهة نظر أعلى شأواً قائلاً:

في الحقيقة فإنه لا وجود لبذرة ولا لشجرة، هنالك فقط كينونة.



بين حين وآخر كان يشرح بكلامٍ أكثر إسهاباً، ولكن مع التحفظ على أن الذات اللامتغيرة فحسب توجد في الحقيقة.

المريد: ما طول المدة الفاصلة بين الموت والولادة من جديد؟  
 بجوان: قد تكون طويلة أو قصيرة، لكن المرء المُدرك لا يتأثر بتغير كهذا، فهو يمتزج بـ الكينونة اللامحدودة كما يُقال في الـ بريهاد أرتياكا أوبانشاد. البعض يقول بأن أولئك الذين يسلكون بعد الموت صراط الظلام يُولدون بعد أن يكونوا قد حصدوا بأجسامهم اللطيفة ثمار الـ كارما خاصتهم (قدر ذاتي الصنع).

إذا ما كانت حسناته وسيئاته متساوية، فإن المرء يُولد مباشرة من جديد على الأرض؛ أما إن كانت الحسنات تفوق السيئات، فإن جسده اللطيف يدخل أولاً الجنة، بينما إذا كانت السيئات تفوق الحسنات فيُلقي به أولاً في الجحيم؛ ولكن في أي من هاتين الحالتين، فإنه يُولد لاحقاً على الأرض. كل هذا تم سرده في النصوص المقدسة، ولكن في الحقيقة، ليس هنالك ولادة ولا موت، المرء بكل بساطة يبقى على ما هو عليه، هذه فقط هي الحقيقة.

من جديد، فقد كان بجوان يقوم بالشرح من مُنطلق رحمة الله.

بجوان: إن الله برحمته يَضمنُ بهذه المعرفة عن الناس، فهم إذا ما عرفوا بأنهم كانوا قوماً صالحين فإنهم سيغدون مُتفاخرين، وفي الحالة الأخرى فإنهم سيؤولون قانطين، وكلا الحالتين مُضرتين. يكفي أن تعرف الذات.

على كل حال، فقد أشار أحياناً إلى جهوزية المرء أو نضجه ككائن حسب إنجازات تجسده الماضي.

إن الشخص الكفو الذي ربما يكون - في تجسد سابق - قد أهلك نفسه، يدرك الحقيقة ويستوطن في طمأنينة حالما يُنبؤ بالحقيقة ولو لمرة واحدة؛ بينما يتعين على المرء غير المؤهل كما ينبغي، بأن يجتاز مراحل عديدة قبل إدراك مقام الـ سمادي (الوعي المباشر والخالص للكينونة).

هذا يعني بأن عمراً بأكمله قد يُحتسب كيومٍ واحد في رحلة الحج إلى إدراك الذات. كم يبعد المرء عن الهدف الذي يشد الرحال إليه، فإن هذا يعتمد على قدر الجهد المبذول في الأيام الخالية؛ أما مدى تقدم المرء، فهذا يعتمد على جهد اليوم.

قام مُحاضر علومٍ جامعي بالسؤال عما إذا كان الفكر يبقى على قيد الحياة بعد موت المرء، فقليل له:  
"لمّ التفكير في الموت؟ تمعن فيما يجري أثناء نومك، ما هي تجربتك لهذا؟"

المريد: لكن النوم مؤقت بينما الموت ليس كذلك.  
بجوان: النوم حالة متوسطة بين حالتَي يقظة؛ وعلى نفس الشاكلة، فإن الموت حالة متوسطة بين ولادتين اثنتين، كلاهما مؤقت.  
المريد: أعني القول، هل تحمل الروح الفكر معها عندما تكون غير متجسدة؟

بجوان: لا يمكن للروح أن تكون غير متجسدة، إلا أن الأجسام تختلف؛ فإذا لم يكن هناك جسد كثيف، فهناك جسد لطيف، كما في النوم والحلم أو حلم اليقظة.

لم يُقرّ بجوان أبدأ بالمقولة القائلة بأن الاختلافات في أنماط التعبير أو التركيبية العقائدية بين الأديان المختلفة قد دلت على تناقض حقيقي فيما بينها، لأن الحقيقة التي يشيرون إليها واحدة وغير قابلة للتغير.

المريد: هل وجهة النظر البوذية القائلة بأنه لا كينونة متواصلة والتي تأتي كرد على فكرة الروح الفردية صحيحة أم لا؟ هل يتناغم هذا مع العقيدة الهندوسية القائلة بتناسخ الأنا المغرورة؟ هل الروح كيان مستمر بحيث أنها تتناسخ من جديد وجديد وفق العقيدة الهندوسية، أم أن الأمر مجرد تجمع لنوازع ذهنية؟

بجوان: الذات الحقيقية متواصلة وغير متأثرة. الأنا المغرورة المتناسخة تخص سماءً أدنى، سماء الخاطرة، ويتم السمو فوقها عبر إدراك الذات.

تناسخات الروح راجعة إلى ذلك النسب الملق على الـ كينونة، ولهذا فإن البوذيين يحضونها. إن حالة الإنسان عائدة إلى إختلاط الحسّاس بعديم الحس.

في بعض الأحيان لم يكن الأمر مسألة تناسخ روح، بل الحزن على فقد أحد الأحبة. سألت سيدة كانت قد قَدِمَت من شمال الهند بجوان عما إذا كان ممكناً معرفة حالة المرء بعد وفاته.

بجوان: الأمر ممكن، لكن لم المحاولة؟ حقائق كهذه هي حقيقة فقط كحقيقة الشخص الذي يطلبها.

السيدة: لكن ولادة شخص وحياته وموته حقيقة بالنسبة لنا.

بجوان: لأنك تماهين نفسك بشكل خاطيء مع الجسد، فأنت تعتقدين أن الآخر هو جسد أيضاً؛ ولكن لا أنت ولا هو جسد. السيدة: لكن حسب درجة فهمي، فأنا أعتبر نفسي وابني حقيقيين. بجوان: إن ولادة خاطرة "أنا" هي ولادة الشخص وموتها هي موته، فما أن تتبادر خاطرة "أنا" حتى يتبادر التماهي الخاطيء بالجسد. إن مطابقة نفسك بالجسد تجعلك تماهين الآخرين بشكل خاطيء بأجسادهم، فكما أن جسدك قد ولد وينمو وسوف يموت، لذا فأنت تعتقدين أن الآخر قد وُلد ونما ومات، ولكن هل فكرت في ولدك قبل أن يولد؟ لقد راودتك الخاطرة بعد ولادته وهي تستمر حتى بعد موته، فهو ولدك فقط طالما أنك تفكرين فيه، ولكن أين ذهب؟ إلى المصدر الذي خرج منه. طالما أنك تستمرين في الوجود، فسيستمر هو أيضاً، لكن إذا توقفت عن مماهة نفسك بالجسد وأدركت الذات الحقيقية، فإن الحيرة ستتلاشى. أنت خالدة وستجدين الآخرين خالدين أيضاً، وإلى أن يتم إدراك هذا سيخيم هناك دائماً حزن نتيجة القيم الزائفة الناجمة عن المعرفة الخاطئة والمماهة الخاطئة.

إثر شيوع نبأ وفاة الملك جورج الخامس، كان يجلس في القاعة نصيرين لـ بجوان يتناقشان حول الموضوع وبدا عليهما الانزعاج. فقال بجوان مخاطباً إياهما: ما شأنك من يموت أو يضيع؟ أمت نفسك واغذ ضائعاً ما أن تصبح واحداً مع ذات الكل (فناء الأنا المغرورة).

وأخيراً، فيما يتعلق بأهمية الموت، فإن الدين يشدد على أهمية إطار العقل الذي يموت الشخص فيه وعلى آخر خواطره التي تراوده عند الموت، لكن بجوان ذكّر الناس بأنه من الضروري أن تكون مستعداً جيداً سلفاً، وإلا فإن النوازع غير المرغوب بها سوف تتبعث عند الموت بشكل أقوى بكثير من أن يمكن لجمها.

خاطرة الـ "أنا" وتندمج من جديد. ينبغي أن يكون القلب في الجانب الأيمن للمصدر حيث أن كل امرئ أياً كان عرقه ودينه وأياً كانت اللغة التي ربما يتحدث بها، تراه يشير بإصبعه إلى الجانب الأيمن من الصدر ليدل على نفسه عندما يقول "أنا"، والأمر يقع على هذا النحو في جميع أنحاء العالم، لذا ينبغي أن يكون هذا هو موضعه. وعبر المشاهدة بتبصرٍ نهوض خاطرة الـ "أنا" عند اليقظة وهجوعها عند الخلود للنوم، يمكن للمرء رؤية أنها توجد في القلب في الجانب الأيمن.

عندما تكون الغرفة مظلمة فإنك تحتاج لضوء لإنارتها، لكن عندما تشرق الشمس ليس هناك حاجة لأي ضوء، حيث يمكن مشاهدة الموجودات بدونه. ولرؤية الشمس ذاتها فإنه لا حاجة لضوء لأنها مُشعة بذاتها. الأمر على نحو مشابه مع العقل، فالنور المنعكس على العقل ضروري لإدراك الموجودات، لكن لرؤية القلب يكفي للعقل أن يُوجه باتجاهه، ومن ثم فإن العقل يفقد نفسه ويُشرق القلب قُدماً.

إن التركيز على إحدى الـ *تشاكراز* أو المراكز الروحية للجسد، وغالباً على الموضع الذي بين الحاجبين، هو تمرين تانترِيّ بامتياز. وكما سيظهر في الفصل اللاحق، فإن القلب المتموضع على الجانب الأيمن ليس واحداً من هذه الـ *تشاكراز*. رغم هذا، فإن بجوان في المقطع القادم يشرح بإيجاز تعاليمه التي تقول بأن التركيز على مركز القلب ذي فعالية أكثر من أي موضع آخر، لكنه أقل فعالية من الاستفهام المحض.

المريد: يُقال أن هناك ست أعضاء (لطيفة) ذات ألوان مختلفة في الصدر وأن القلب الروحي هو ذلك المتمركز بعرض إصبعين إلى الجانب الأيمن من المركز! لكن يقال أيضاً بأن القلب هيولي. هل يعني هذا بأنه يتوجب علينا تخيله على صورة ما وتأمله عليها؟

بجوان: كلا، وحده السؤال - "من أكون أنا؟" ضروري. ذلك الذي يستمر في الوجود أثناء النوم واليقظة هو الكيان ذاته في كليهما، لكن أثناء حالة اليقظة ينتاب المرء حُزنٌ وغمٌ ولهذا يتم بذل جهد لإجلائه. عندما يسألك أحدهم: من استيقظ من النوم؟ تجيب: "أنا"، إقبض بسرعة على هذه الـ "أنا"، فإذا ما تم هذا ستكشف لك الكينونة السرمدية ذاتها. الشيء الأكثر أهمية هو التحري عن الـ "أنا" وليس التركيز على مركز القلب. ليس هنالك شيء "داخلي" و"خارجي"، كلا الكلمتين تعنيان ذات المعنى أو لا شيء على الإطلاق. رغم هذا، فإن التمرن على التركيز على مركز القلب يُعد شكلاً من أشكال الرياضة الروحية، ووحده ذلك الذي يركز على القلب يمكن أن يظل واعياً عندما يتوقف العقل عن الدوران ويظل ساكناً بلا خواطر، في حين أن أولئك الذين يركزون على أي مركز آخر لا يمكنهم استبقاء الوعي بدون خاطرة، ولكن فقط الاستدلال بعد أن أصبح العقل نشطاً من جديد بأن العقل كان ساكناً.

في المقطع الآتي تُبدي سيدة إنكليزية ملاحظة حول هذا الوعي عديم الخواطر ويوافقها بجوان الرأي.

المريد: تتوقف الخواطر على حين غرة وإذ بـ "أنا-أنا" تنهض على حد سواء وتتواصل، الأمر مجرد شعور وليس خاطرة. هل هذا صحيح؟

بجوان: نعم صحيح تماماً، فعلى الخواطر أن تتوقف وأن يخنفي العقل كي تنهض الـ "أنا-أنا" ويتم الشعور بها. الشعور هو الشيء الأساسي، وليس الفهم.

المريد: علاوة على هذا، فالأمر ليس في الرأس بل في الجانب الأيمن للصدر.

بجوان: هذا حيث ينبغي أن يكون، لأن القلب يوجد هناك.

المريد: ما أن أنظر للخارج فإن هذه الـ "أنا-أنا" تختفي، ما الذي علي فعله؟

بجوان: أمسكي بها بسرعة.

هذا لا يعني أن تبادر الخاطرة أمر مستحيل أثناء حال الوعي بـ "أنا"، حيث أنه في الحقيقة يمكن للمرء أن يرى من خلال مثال بجوان نفسه الذي كان دائماً في هذه الحال. أما بالنسبة للشخص الجاهل، فإن الخاطرة بمثابة غيمة كثيفة تلبد فوق الرأس وتحجبه عن نور الشمس. عندما يتم تبديد الغيمة وطويها، مُفسحاً المجال للنور، يمكن للمرء حينها أن يستخدم الخاطرة بدون أن يكون مُحْتَجِزاً من قبلها. لتغيير المقاربة، قام بجوان في بعض الأوقات بمقارنة عقل المرء المدرك بالقمر المائل في سماء وضح النهار - إنه موجود هناك لكن لا حاجة لضوءه - فالمرء يمكنه الرؤية بدون، بواسطة النور المباشر للشمس.

## المُعَانَاة

لطالما كانت المعاناة هي أحد المشاكل التي سُئِلَ عنها بجوان، وغالباً ما كان السؤال يتخذ طابعاً شخصياً أكثر منه أكاديمياً، وحيث أن مُكَايِدَةَ الحزن كانت غالباً السبب الذي يقود الناس إلى طلب السلوان منه، فإن العزاء الحقيقي إنسابَ عليهم كفيضٍ صامتٍ منه لكنه أجاب أيضاً على الأسئلة النظرية، وكان الجواب المعتاد دعوته السائل بأن يعثر على ذلك الذي يعاني، تماماً كما كان يدعو المشكك لأن يجد ذلك الذي يُشكك، وذلك لأن الذات فوق أي شقاء كما أنها

فوق الشك. من ناحية أخرى، كان يُبين في بعض الأوقات وبشكل عَرَضِي، أن أياً كان ذلك الذي يجعل المرء غير راضٍ عن حالته الجاهلة ويصرفه إلى البحث عن الذات، فهو أمر مفيد والمعاناة هي الأداة لفعل هذا.

بجوان: نعيم الذات دائماً لك وسوف تجده إذا ما ابتغيته بصدق. إن سبب تعاستك لا يكمن في حياتك الخارجية، إنه في داخلك، أنك المغرورة؛ فأنت تكبل نفسك بالقيود ومن ثم تقوم بكفاح عقيم للسمو فوقها. إنها الأنا المغرورة سبب كل تعاسة، وبها تأتي جميع مشاكلك. ماذا يفيدك بأن تعزو سبب التعاسة لأحداث الحياة بينما العلة حقاً تكمن في داخلك؟ ما هي السعادة التي يمكن أن تجنيها من الأشياء الخارجية عن نفسك؟ وعندما تحصل عليها، يا ترى كم تدوم؟

إذا ما أنكرت الأنا المغرورة وأحرقتها بتجاهلك لها، فستكون حراً؛ أما إذا قبلت بها، فستفرض قيوداً عليك وستلقي بك في كفاح عقيم للسمو فوقها. هكذا سعى "اللس" لإهلاك الملك جَنَكا.

أن تكون الذات التي هي أنت حقاً هو الوسيلة الوحيدة لإدراك النعيم الذي هو أبداً لك.

وصل في اليوم التالي إلى الأشرم بصحبة عائلته أحد الأتباع البُسطاء ولكنه مؤمن بشدة بـ بجوان وكان قد فقد ابنه الوحيد من بين ثلاثة أطفال له. تحدث بجوان مشيراً إليهم: "إن تدريب العقل يساعد المرء على تحمل الأحزان والفقْد بشجاعة، لكن فقدان المرء لطفله يقال أنه الأسوأ بين كل اللوعات، ولكن الأسى يوجد فقط طالما أن المرء يعتبر نفسه بأن لديه صورة محدودة، أما إذا سمى المرء فوق الصورة، فسيعرف أن الذات الواحدة خالدة، وليس هنالك موت ولا ولادة جديدة. إن ما يولد هو الجسد فحسب وهذا كله من خلق الأنا المغرورة، لكن الأنا المغرورة



لا يتم إدراكها حسيّاً على نحو عادي بدون الجسد، لذا فهي تتماهى به. إنها الخاطرة هي الأساس، دَع المرء الواعي ينفكر فيما إذا كان قد عرف جسده بينما كان يغط في نوم عميق. لماذا إذن هو يشعر به في حالة اليقظة؟ رغم أنه لم يتم الشعور بالجسد أثناء النوم، ألم توجد الذات؟ ما الذي كانت عليه حالته أثناء النوم العميق وما هي عليه الآن بينما هو يقظ؟ ما هو الفرق؟ إن الأنا المغرورة تنهض ومعها تنهض الخواطر وهذه هي اليقظة. جد من هو ذا الذي تتبادر إليه الخواطر، من أين تتبادر؟ لا بد أنها تتبعث من الذات الواعية. إن فهم هذا الأمر - ولو بشكل ضبابي - يساعد في فناء الأنا المغرورة، ويصبح إدراك الوجود الواحد اللامحدود أمراً ممكناً، وبالتالي لا تعود هناك خاطرة عن موتٍ أو لوعة.

"إذا اعتقد الرجل أنه مولود فلن يستطيع الفرار من خشية الموت. دعه يجد إذا ما كان مولوداً أو إذا ما كانت الذات تتخذ ولادة، وسوف يكتشف أن الذات توجد دائماً وأن الجسد المولود يحل نفسه إلى خاطرة، وأن هذا الانبعاث للخاطرة هو جذر كل الإشكال. جد من أين تتبعث الخاطرة، ومن ثم ستستوطن في صميم الذات الحاضرة أبداً وتغدو حراً من فكرة الولادة وخشية الموت".

المريد: إذا ما مات أحدٌ نحبه، فإن الأمر يتسبب بلوعة. هل ينبغي علينا تجنب لوعة كهذه عبر حب الجميع بنفس القدر أو عدم الحب على الإطلاق؟

بجوان: إذا ما مات أحد نحبه فالأمر يُسبب لوعة للمرء الذي لا يزال على قيد الحياة، والطريقة للتخلص من هذا الحزن تكمن في عدم مواصلة الاستمرار على قيد الحياة. قم بقتل الملتاع، وعندئذ من سيبقى للحزن؟ يجب أن تموت الأنا المغرورة، هذه هي الطريقة الوحيدة، أما

البديلين اللذين اقترحتهما فإنهما يصبان في ذات الشيء، لأنه عندما يتم إدراك الكل على أنه الذات الواحدة، من سيكون هناك لتحب أو تكره؟

في بعض الأوقات كانت الأسئلة تتخذ قالباً موضوعياً فلا تشير إلى مأساة شخصية بعينها، بل إلى حجم الشر والشقاء الموجودين في العالم. وفي هذه الحالات، كانت الأسئلة تُطرح عادةً من قبل زوار لم يفهموا عقيدة اللاهوتية أو لم يسلكوا طريق الاستفهام عن الذات.

الزائر: هذا البؤس الواسع الانتشار كالمجاعات والأوبئة التي تعيثُ فساداً في الأرض، ما سببه؟

بجوان: لمن يظهر هذا كله؟

الزائر: هذا لن يجدي نفعاً، فأنا أرى التعاسة في كل مكان.

بجوان: لكنك لم تكن واعياً بالعالم وآلامه بينما كنت نائماً، إلا أنك واعٍ به الآن لأنك مستيقظ. إيق في تلك الحالة التي لا تكون فيها متأثراً بأشياء كهذه. عندما لا تكون واعياً بالعالم، أي عندما تبقى في حالة النوم كـ الذات، فإن أوجاع العالم لا تعود تؤثر فيك. لهذا إسندر للداخل وابتغِ الذات وحينها سيكون هناك نهاية للعالم وآلامه معاً.

الزائر: لكن هذه أنانية.

بجوان: العالم ليس شيئاً خارجياً عنك. أنت ترى العالم خارجياً عنك وآلامه تصبح جلية لك لأنك تماهي نفسك بشكل خاطيء مع الجسد، لكن العالم وآلامه ليسوا حقيقة. إسع وراء الحقيقة وتخلص من هذا الشعور غير الحقيقي.

لم يكن الزائر على ما يبدو مستعداً لفعل هذا، وعوضاً عن ذلك أشار من جديد إلى المعاناة وإلى أولئك الذين يعملون بلا جدوى لإزالتها.

بجوان: نعم.

المريد: إذن لمَ لا أستطيع أن أتخيل بأنه لا يوجد ألم وبالتالي أشفي نفسي؟

بجوان: لا يستطيع المرء الشعور بالألم عندما يكون غارقاً في خواطر أخرى أو نائماً.

المريد: لكن الألم يظل قائماً.

بجوان: قوية جداً هي قناعة الرجل بحقيقة العالم بحيث أن الأمر ليس من السهل التخلص منه. لكن العالم ليس بحقيقي أكثر من ذلك الذي يراه.

ثم كان تبادل للمزاح والذي أظهر صعوبة الفكرة.

المريد: تتدلع في الوقت الحالي حرب صينية - يابانية؛ في حال أنها تجري فقط في المخيلة، هل يستطيع بجوان أو هل له أن يتخيلها على أنها غير قائمة وبالتالي يضع حداً لها؟

بجوان: (بضحك) إن بجوان الذي يقصده السائل (الذي يراه السائل ككيان خارجي) هو مجرد خاطرة مثله مثل الحرب الصينية-اليابانية!

وأخيراً، ثمة اقتباس يُظهر كيف كان بجوان يجيب في بعض الأوقات بشكلٍ عَرَضِيٍّ، مُوضِحاً بأنها المعاناة هي من يجعل المرء غير راضٍ عن حياة الأنا المغرورة، وتحثه بالتالي على طلب إدراك الذات.

المريد: لكن لمَ يجب أن يكون هناك معاناة الآن؟

بجوان: إذا لم يكن هناك معاناة، أُنَى للرجبة لأن تكون سعيداً أن تتبادر؟ وإذا لم تتبادر هذه الرغبة، كيف للبحث عن الذات أن يتبادر؟  
 المرید: إذن هل كل المعاناة خير؟  
 بجوان: أجل. ما هي السعادة؟ أهي جسدٌ مُعافىٌ وجميل، تناولُ وجبات منتظمة، وهلمَّ جره؟ حتى الإمبراطور لديه مشاكل لا حد لها رغم أنه قد يتمتع بصحة موفورة، لذا فإن كل الآلام مرَدّها إلى المفهوم الخاطيء "أنا أكون الجسد". تخلص من هذه المعرفة.

## الخطيئة

الخطيئة والإثم من كل نوع ما هما إلا نتيجة الأنوية الطليقة بالنظر إلى الضرر المسبب للآخرين أو أثرهما المؤذي والذي يلحق بشخص الآثم. إن الديانات تتحاشى الخطيئة والإثم بشرائع أخلاقية وتهذيبية ووسائل عاطفية، ساعية أن يتم إبقاء الأنا المغرورة ضمن قيود محددة ومنع إنتهاكاتها في أماكن محرمة. على كل حال، فإن الطريق الروحي الفطري والمباشر لإنكار الأنا المغرورة نفسها لا يحتاج للوقوف على جموح الأنوية، فكل الأنوية يجب التخلي عنها، لهذا فإن اللاثنوية تدير الهجوم على الأنا المغرورة نفسها، لا على تجل لها بعينه.

على نحو مشابه، فإن الانضباط الذي يرمي إلى إلى تجاوز الخاطرة بشكل كلي في سبيل إدراك الذات الواعية للغاية، لا يحتاج لمهاجمة الخواطر الشريرة بعينها، فكل الخواطر بلبله. سألت سيدة أوروبية عما إذا كانت الخواطر الخيرة تساعد في إدراك الذات، وفي أي درجة يتم تصنيفها ضمن المراحل الأولية، كالدرجات الدنيا من السلم، فقيل لها:

نعم، إلى الدرجة التي يُبعدون فيها الخواطر السيئة، لكنها نفسها، أي تلك الخواطر، يجب أن تتلاشى قبل مرحلة الإدراك.

حيث أن خاصية الصفاء (ساتفا) هي الطبيعة الحقيقية للعقل، فإن صفاءً كصفاء السماء بلا غيوم هو خاصية حيز العقل. إن العقل يتحركه عبر خاصية الحركة (راجاز) يؤول ضجراً، وبتأثره بظلام خاصية (تمس) يتجلى على أنه العالم المادي. وهنا يصبح العقل ضجراً من جهة، ومن جهة أخرى يظهر كشيء جامد، وعليه فإنه لا يتم إدراك الحقيقي. الأمر أشبه بخيوط الحرير الفاخر التي لا يمكن حياكتها باستخدام وشيعة مكواة ثقيلة، أو تمييز الظلال الدقيقة لعمل فني في ضوء نور يخفق في الريح؛ كذلك هو إدراك الحقيقة، فإنه مستحيلٌ بواسطة العقل المُحال مادةً كثيفةً بفعل خاصية الظلام (تمس) وبرماً بالحركة (راجاز). لأن الحقيقة دقيقة وهادئة إلى أقصى الحدود، يمكن تطهير العقل من الخبائث عبر القيام بالواجبات الخالية من كل مَطْمَح خلال الحيات المتعددة، وبواسطة اتخاذ معلمٍ معصوم والتعلم منه والمواظبة على تأمل المطلق. وعليه فإن تحول العقل إلى عالم المادة الخاملة الراجع إلى خاصية الظلام (تمس)، وضجره الراجع إلى خاصية الحركة (راجاز)، سوف يتوقف، ومن ثم فإن العقل يستعيد حدته واتزانته. يمكن لنعيم الذات أن يتجلى فقط في عقلٍ صيرٍ دقيقاً وراسخاً عبر التأمل المُجد. إن ذلك الذي يعايش النعيم هو حرٌ حتى وهو لا يزال حياً.

لقد أصر بجوان بالطبع على الحاجة للعفاف. كان يحدث في بعض الأوقات أن يشكو زائر ضعفه الشديد أمام النوازع الدنيا، فيخبره بكل بساطة لأن يحاول بشكل أقوى. وبناءً على طبيعة السائل، فقد يُقال له أن يعثر على ذلك الذي تتقاذفه النوازع الدنيا، أو أن يثق بالله.

المريد: أنا آثمٌ ولا أؤدي أية فروض دينية، هل سأجازى بولادة جديدة شقية بسبب هذا؟

بجوان: لمَ تقول أنك آثم؟ حسبك الإيمان بالله لإنقاذك من ولادة جديدة. ألق بكل أعباءك عليه. يُقال في الـ *تيروفاشاكام*: "رغم أنني أسوأ من كلب، فقد قُمتَ بالفضل لحمايتي. وهم الموت والولادة تصونه أنت. هل أنا من يجلس ويحكم؟ هل أنا المولى هنا؟ أيها الإله العظيم، الأمر لك أن تطويني في أجساد عديدة، أو تبقيني مُثبِتاً على قدميك." لهذا تحلى بالإيمان، وهذا سيكون كفيلاً بإنقاذك.

المريد: ثمة متعة توجد أثناء ممارسة التأمل أكبر من المتع الحسية، ومع هذا فإن العقل ينشد الأخيرة لا الأولى، لماذا؟

بجوان: المتعة والألم كلاهما مجرد جانبين للعقل، بينما طبيعتنا الأساسية هي السعادة، لكننا قد نسينا الذات ونخيل أن الجسد أو العقل هو الذات. إنه هذا التماهي الخاطيء الذي ينفخ الحياة في الشقاء. ما الذي يجب فعله؟ إن هذه النزعة مُتجذرة للغاية وقد استمرت لحيوات ماضية عديدة، وبالتالي فقد نمت قوية متينة، ولكن عليها أن تولي قبل أن يتم إدراك الطبيعة الأصلية والتي هي السعادة.

علوةً على كل هذا، يجب أن لا نخلق *فَسَنَار* أو نوازع كامنة جديدة.

المريد: سوامي، كيف يمكن حلحلة قبضة الأنا المغرورة؟  
 بجوان: بعدم إضافة فُسنَاز جديدة (عادات سيئة) عليها.

إذا ما كانت الحقيقة الموضوعية للعالم وهمية، فإن الشر القائم فيه وهمي أيضاً، ووصفة العلاج تكمن في أن نستدير للباطن لحقيقة الذات. قام زائر أميركي، سكرتير سوامي يوغاناندا، بالسؤال عن السبب الكامن وراء وجود خير وشر في العالم، فقبل له:

إنهما مصطلحان مُتصلين ببعضهما البعض، فلا بد أن يكون هناك فاعل لمعرفة الخير والشر، هذا الفاعل هو الأنا المغرورة، وهي تصب في الذات؛ أو يمكنك القول أن مصدر الأنا المغرورة هو الله، ربما يكون هذا التعريف أكثر حتميةً ووضوحاً لك.

## الله

ظاهرياً، فقد تبدو مقولات مهاريشي حول الله غير مترابطة، حيث أنه كان تارةً يوصي بإيمانٍ واستسلام كاملٍ لله، وتارةً أخرى كان يتحدث عن الله كشيء غير حقيقي، ولكن في حقيقة الأمر ليس هناك من تعارض. يجب التذكر دائماً بأن الغرض من شروحاته لم يكن لتقديم فلسفةٍ ما، بل لإعطاء إرشادٍ عملي على الطريق الروحي. إن الشخص الذي يستطيع تصور الذات اللاتنوية يمكنه فهم أنها كانت ذاته وذات الله والعالم أيضاً، بينما المرء الذي التحم بالحقيقة الظاهرية لأناه المغرورة فقد يستطيع فقط فهم الذات على أنها الله الذي قد خلقه، وعليه فقد شرح لكل فرد وفق احتياجاته. ضمن هذا الموضوع، وكما في

مواضيع أخرى، فقد بيّن بجوان بأنه لا جدوى من النقاش وأن اتباع أي من الطريقتين أمر مفيد، أما التنظير حولهما فلا.

كل الديانات تتفق على أركان ثلاثة: العالم والروح والله، لكنها الحقيقة الواحدة التي تتجلى على أنها هذه الثلاث. بوسع المرء أن يقول: "الثلاثة هم حقاً ثلاثة" وذلك فقط طالما أن الأنا المغرورة تستمر في الوجود. لهذا ولكي تتأصل في كينونة المرء، فإن الحال التامة تكون بموت الأنا المغرورة.

"العالم حقيقي"، "لا، إنه مجرد ظهور وهمي"، "العالم واعٍ"، "لا"، "العالم هو السعادة"، "لا"، - ما هي فائدة الجدل حول هذا؟ إن هذه الحال مُتَّفَقٌ عليها من قبل الجميع والتي من خلالها، بالتخلي عن الرؤية الموضوعية، يعرف المرء ذاته ويفقد كل المفاهيم الوحدوية أو الثنوية لنفسه أو الأنا المغرورة.

إذا كان للمرء صورة بعينه، فالكون والله سيظهران على أن لديهما صورة؛ إما إذا كان المرء بلا صورة، فمن هناك لرؤية هذه الصور وكيف؟ بدون العين هل يمكن إبصار أي جسم؟ إن الذات المُبصرة هي العين، وتلك العين هي عين الخلود.

إن برّمان لا يرى ولا يُعرف، فهو فوق العلاقة الثلاثية للرائي والرؤية والمرئي، أو العارف والمعرفة والمعروف. الحقيقة تبقى كما هي للأبد، ووجود الجهل أو العالم راجع لوهمننا. إن المعرفة والجهل غير حقيقيين، بل ما يكمن ورائهما فوق كل الأزواج الأخرى للمتضادات هو الحقيقة. هي ليست النور ولا الظلام ولكن فوق الاثنين رغم أننا نتكلم في بعض الأوقات عنها على أنها نور وبأن الجهل هو ظلها.



عندما كان يجد أمامه بحثاً أصيلاً يسعى إلى الفهم، فإن بجوان كان يشرح ببعض التفصيل، ودائماً يعود بالمريد إلى عقيدة الذات الواحدة.

قام السيد ثومبسون، وهو رجل شاب نسبياً كان قد أقام في الهند لبعض سنوات ودرس الفلسفة الهندوسية كتلميذٍ مخلص، بطرح السؤال الآتي: تقول الـ *سَريماد بَكرَفاذ كَبييتا*: "أنا الدعامة لـ *بَرمَان*"، وفي مواضع أخرى تقول: "أنا في قلب كل فرد". وبهذا يكون قد تم كشف الجوانب المختلفة للعقيدة المطلقة، والتي أخذها على أنها ثلاثة وبالتحديد: (1) الفائق (2) الباطني و(3) الكوني. هل الإدراك يكمن في أي من هؤلاء أو فيهم جميعاً؟ مُعرجاً على الجانب الفائق قادماً من الجانب الكوني، فإن الـ *فيدانتا* تلغي الأسماء والصور كونها *مايا*. ومن جديد تقول الـ *فيدانتا* أيضاً بأن الكل هو *بَرمَان* كما هو مبين في مثال الذهب والحلي المصوغة من الذهب. كيف لنا أن نفهم الحقيقة؟

بجوان: تقول الـ *كبييتا*: *بَرمَانو هي براتِشتاهام*؛ إذا ما عُرِفت هذه الـ *أهام*، فإن الكل يُعرف.

المريد: هذا هو الجانب الباطني فقط.

بجوان: أنت الآن تظن أنك فرد، يقع خارجك الكون وما بعد الكون هنالك الله. هنا إذن فكرة الانفصال، هذه التصور يجب أن يولي الأدبار، لأن الله ليس منفصلاً عنك أو عن الكونيات. الـ *كبييتا* تقول أيضاً:

"أنا الذات، أوه *جود/كيشا*، مُتربع في قلب جميع الكائنات. أنا البداية والوسط وأيضاً نهاية كل الكائنات".

بالتالي فإن الله ليس فقط في قلب الجميع، بل هو دعامة الجميع، منشأ الجميع، موطنهم ونهايتهم. الكل يصدر عنه، يُقيمون فيه وفي النهاية يتحللون فيه. لهذا فهو ليس بمنفصل.

المريد: كيف لنا أن نفهم المقولة التي وردت في الـ **كيبينا**: "هذا الكون بأسره يُشكل متقال ذرة مني".

بجوان: هذه المقولة لا تعني بأن ذرة صغيرة انفصلت عن الله وشكلت الكون. حيث أن الـ **شاكتي** خاصته قي حالة حركة، وكنتيجة لجانب واحد من هذه الحركة فإن الكون أصبح جلياً. على نحو مشابه، فإن المقولة في **بوروشا سوكتا**: **برادو فيشوا بوتاني** (كل الكائنات تُشكل جزءاً من أجزائه)، لا يعني أن برّمان يقع في أربعة أجزاء.

المريد: أنا أفهم هذا، برّمان بشكل يقيني غير مجزأ.

بجوان: لذا فالواقع هو أن برّمان هو الكل ويبقى غير مجزأ، هو دائماً مُدرّك. على كل حال، المرء لا يعلم هذا، والأمر يكمن فقط في ما يجب أن يعلمه. لهذا فإن المعرفة تعني تخطي العقبات التي تحجب انكشاف الحقيقة الخالدة بأن الذات هي نفسها برّمان، وهذه العقبات قد تم تشكيلها نتيجة تصورك القائل بالانفصال كفرد، لهذا فإن المحاولة الحالية سوف تؤدي إلى كشف الحقيقة التي مفادها أن الذات ليست منفصلة عن برّمان.

يتمسك المسيحيون، عدا القديسين منهم، بمفهوم الأنا المغرورة الحقيقية دائماً والمستقلة. ناقش شري بجوان هذه النقطة مع أب مسيحي، ولكنها بقيت غير محسومة، حيث أن بجوان كان يحاول أن يوجه عقل الأب إلى الباطن نحو الاستفهام عن الذات، بينما الأب أخذ يُطالب بشرح نظري عوضاً عن هذا.

قام د. إيميل غاثيير، إسز ج.، بروفييسور فلسفة في كلية ساكرد هارت، شينباغانور، كودايكانال بالسؤال: هل لك أن تعطيني لو تكرمت مُوجزاً عن تعاليمك؟  
 بجوان: بإمكانك أن تجدهم في الكتيبات، خصوصاً في كُتيب "من أكون أنا؟".

المريد: يتوجب علي أن أقرأها إذن، ولكن هل بوسعي الحصول على النقطة المركزية لتعاليمك من فمك؟

بجوان: النقطة المركزية هي بالضبط المسألة.

المريد: الأمر ليس واضحاً لدي عما تعنيه بهذا.

بجوان: عليك أن تجد المركز.

المريد: لقد أتيت من الله. أليس الله كائناً متميزاً عني؟

بجوان: من يسأل هذا السؤال؟ الله لا يسأل، بل أنت من يسأل.

لذا جد من أنت ومن ثم قد تجد إذا ما كان الله متميزاً عنك.

المريد: لكن الله كامل وأنا غير كامل. كيف لي أن أعرفه بشكل

كلي؟

بجوان: الله لا يقول مثل هذا، إنه أنت الذي يسأل السؤال. بعد أن

تجد من تكون أنت، قد تعرف من يكون الله.

المريد: لكنك قد وجدت ذاتك. أرجوك دعنا نعرف إذا ما كان

الله متميزاً عنك.

بجوان: إنها مسألة تجربة، وكل فرد يجب أن يعايشها بنفسه.

المريد: أوه! أنا أرى. إن الله كيان غير محدود وأنا كائن محدود،

فلدي شخصية لا تستطيع الامتزاج أبداً بالله، هل الأمر كذلك؟

بجوان: اللامحدودية والكمال لا يعترفان بأية أجزاء. إذا ما كان الكائن المحدود مُستقلاً عن اللامحدود، فإن كمال اللامحدود باطل، وبالتالي فإن جملتك تُعبر عن تناقضٍ في المصطلحات.

المريد: لا، أنظر، فهناك اثنان: الله والخلق.

بجوان: كيف تكون واعياً بشخصيتك؟

المريد: لدي روح. أعرفها بحركاتها.

بجوان: هل تعرفها أثناء النوم العميق؟

المريد: الحركات تُعلق في النوم العميق.

بجوان: لكنك توجد في النوم وتوجد الآن أيضاً. أي من هذين

الاثنتين هو حالتك الحقيقية؟

المريد: النوم واليقظة هما مجرد حوادث عَرَضية، أما أنا

الجوهر فوراء هذه الحوادث.

(ثم نظر أعلى إلى الساعة وقال أنه قد حان الوقت للإمساك

بالقطار، فرحل بعد أن شكر شري بجوان، وعليه فإن الحوار قد انتهى بشكل فجائي).

تناول الحديث التالي مشاكل عديدة تقض مضاجع الفلاسفة والمنظرين

– الألوهمية الكلية العلم والإرادة الحرة، القوانين الطبيعية والحركة الإلهية، الله الجسماني وغير الجسماني، إلا أن نغمة الإجابات عليها تُظهر أن بجوان كان ينظر إليها بأهمية ثانوية.

المريد: ما العلاقة بين إرادتي الحرة والجبروت الفائق لله الكلي

القدرة؟ أ) هل القدرة الكلية لله تتناغم مع الإرادة الحرة للأنا المغرورة؟

ب) هل العلم الكلي لله تتناغم مع الإرادة الحرة للأنا المغرورة؟ ج) هل

القوانين الطبيعية متناغمة مع الإرادة الحرة لله؟

بجوان: نعم. إن الإرادة الحرة هي الظهور الحالي لسلطان الرؤية والإرادة المحدود. هذه الأنا المغرورة نفسها تنظر إلى أفعالها الماضية على أنها تقع ضمن "قوانين" أو أحكام - كون إرادتها الحرة هي أحد الحلقات ضمن مجرى القانون. وبالتالي يتم النظر إلى القدرة والعلم الكليين لله من قِبل الأنا المغرورة على أنهما تحركا من خلال ظهور إرادته الحرة هو. وعليه، فهو يصل إلى استنتاج بأن الأنا المغرورة يجب أن ترحل بمظاهرها. القوانين الطبيعية هي تجليات لإرادة الله وقد تم سنّهما.

إن الحوار التالي مُميز كونه يظهر رفضاً لمناقشة النظرية وإصراراً على ضرورة التدريب.

المريد: هل الله شخصاني؟

بجوان: نعم فهو دائماً الشخص الأول، الـ أنا الماثلة أبداً أمامك. وبما أنك تعطي أسبقية للأشياء الدنيوية، فإن الله يظهر وكأنه قد تقلص إلى الخلفية؛ أما إذا تخلّيت عن كل ما سواه وسعيت خلفه وحده، فسيبقى هو على أنه الـ "أنا"، الذات.

المريد: يُقال أن المرحلة النهائية للإدراك وفق الـ *أدفايتا*، هي إتخاذ مطلق بالآلوهة، ووفق الـ *فيسيشن أدفايتا* إتخاذ مشروط؛ بينما تنص الـ *دفايتا* على أنه لا إتخاذ على الإطلاق. أي من هذه يجب اعتباره وجهة النظر الصحيحة؟

بجوان: لمَ التكهن حول ما سيحدث في وقت ما في المستقبل؟ لقد اتفق الجميع على أن الـ "أنا" توجد. أيًا كانت المدرسة الفكرية التي قد ينتمي إليها المرید الجاد، دعه أولاً يجد ما هي الـ "أنا"، ومن ثم سيُتاح

وقت كافٍ لمعرفة ما ستكون عليه الحال النهائية، سواءً استمتزج الـ "أنا" بالكينونة الأسمى أو ستقف بمعزل عنها. دعنا لا نستبق الاستنتاج وأن نبقي عقلاً مفتوحاً.

المريد: لكن أليس بعض الفهم للحال النهائية دليلٌ مُساعد للمريد

حتى؟

جوان: لا فائدة من المحاولة للتقرير الآن ما ستكون عليه الحال

النهائية للإدراك، ليس لهذا قيمة جوهرية.

المريد: لمَ لا؟

جوان: لأنك تتبع مبدأ خاطئاً، فقد وصلت إلى استنتاجك عبر

الفهم الذي يشع فقط بالنور المُستمد من الذات. أليس من وقاحة الفهم أن يجلس ويحكم على ذلك الذي منه يستمد نوره الضئيل؟ كيف يمكن للفهم الذي لا يمكن أن يصل أبداً للذات أن يكون أهلاً لسبر الحال النهائية للإدراك، لا بل وأن يقرر طبيعتها؟ الأمر مثل محاولة قياس نور الشمس في مصدرها بمستوى النور الذي تضيفه شمعة، فالشمع سينصهر قبل أن تدنو الشمعة أي خطوة قرب الشمس. بدل الانغماس في مجرد تكهنات، كرس نفسك هنا والآن للبحث عن الحقيقة التي هي دائماً فيك.

في بعض الأحيان كانت تدور هناك أسئلة أيضاً حول الآلهة المتعددة

للهندوسية، وفي هذا الخصوص يجب التوضيح بأن الهندوس مثلهم مثل المسيحيين والمسلمين يعبدون إلهاً واحداً. إن بعض الأسئلة حول الله المدونة أعلاه قد تم وضعها من قبل هندوس. من ناحية ثانية، فإن الهندوس أيضاً يعبدون الله المتجلي في احتمالات وصور وأسماء عدة، غير مُكرين للأخرى.

المريد: لم تم ذكر آلهة عديدة؟

بجوان: الجسد واحد فقط، ولكن كم عدد الوظائف التي يتم أداؤها به! إن مصدر هذه الوظائف كلها واحد. الأمر مشابه مع الآلهة.

كان يُسأل بجوان في بعض الأحيان عما إذا كانت الآلهة المتعددة وجنانهم حقيقة، لكن سؤالاً كهذا كان ينطلق من الافتراض المسبق بحقيقة العالم المادي وجسد السائل - وهو الافتراض الذي كان بجوان لا يعترف به. و عوضاً عن ذلك، فقد كان يوجه السؤال، كما الحال مع بقية الأسئلة، نحو البحث عن الحقيقة.

المريد: هل الآلهة إشيوارا وفيشنو وجنانهم كايلاز وفايكونتا حقيقة؟

بجوان: هم حقيقة كما أنك في هذا الجسد.

المريد: أنا أعني، هل لديهم وجود ظاهري مثل جسدي، أم أنهم مجرد خيالات كقرون الأرنب؟  
بجوان: إنهم موجودين.

المريد: إن كان الأمر كذلك، فلا بد إذن وأن يكونوا موجودين في مكان ما، أين هم؟  
بجوان: في داخلك.

المريد: إذن فهم مجرد فكرة من بنات أفكارني، شيء قد خلقته أنا وأتحكم به؟

بجوان: كل شيء هكذا.

المريد: لكنني أستطيع خلق خيال محض مثل قرون أرنب أو حقيقة جزئية مثل السراب، إلا أنه ثمة حقائق توجد بغض النظر عن خيالي. هل الآلهة إشيوارا وفيشنو يوجدون على هذا النحو؟

بجوان: نعم.

المريد: هل الله خاضع للانحلال الكوني في نهاية المطاف؟  
 بجوان: لمَ عليه أن يكون خاضعاً؟ المرء الذي يدرك الذات يسمو  
 فوق الإنحلال الكوني ويتحرر، لمَ لا ينطبق الأمر على إشوارا (الله) ذي  
 القدرة اللامحدودة والأكثر حكمة من الإنسان؟

المريد: هل الآلهة والشياطين توجد أيضاً؟  
 بجوان: نعم.

المريد: كيف لنا أن نتصور الوعي الإلهي المطلق؟  
 بجوان: على أنه ذاك الذي يكون.

كانت الأسئلة التي سألتها بروفييسور مسلم حول الأناشيد التي كتبها  
 بجوان تغنياً بالله الذي يتخذ شكل هضبة أروناتشالا، مثيرةً للاهتمام على نحو  
 خاص.

المريد: بينما كنت أقرأ الأناشيد الخمسة، رأيت أنك تخاطب  
 أروناتشالا رغم أنك غير ثنوي. لذا كيف يمكنك مخاطبة الله ككيان  
 مستقل؟

بجوان: المُحب والله والأناشيد، هي كلها الذات.  
 المريد: لكنك تخاطب الله، فأنت تسمي بالتحديد أروناتشالا على  
 أنه الله.

بجوان: يمكنك أن تماهي الذات مع الجسد، لمَ إذن لا يمكن  
 للمحبين أن يماهوا الذات مع أروناتشالا؟

المريد: إذا ما كان أروناتشالا هو الذات، لمَ تم اختياره بالتحديد  
 من بين العديد من التلال؟ الله موجود في كل مكان، فلمَ تسميه بالتحديد  
 أروناتشالا؟



بجوان: ما الذي استقطبك من مدينة الله أباد إلى هنا؟ ما الذي استقطب كل هؤلاء الناس حولك؟

المريد: شري بجوان.

بجوان: كيف انجذبتُ أنا إلى هنا؟ عبر أروناتشالا. لا يمكن إنكار القوة، ومن جديد فإن أروناتشالا يكمن في الداخل لا في الخارج، الذات هي أروناتشالا.

المريد: لقد انطوت الكتب المقدسة على العديد من المصطلحات:

آتمان، بارآتمان، بارا وخلافه. ما هو تدرجهم؟

بجوان: إنهم يعنون ذات المعنى لمستخدم الكلمات، لكن استيعابهم يتم بشكل مختلف من قبل أشخاص عدة، كل وفق مستواه الفكري.

المريد: لكن لم تستخدم كلمات عديدة لتعني ذات المعنى؟

بجوان: الأمر يعتمد على الظروف، ولكنها جميعاً تعني الذات.

بارا تعني اللانسبي، أو ما وراء اللامطلق، أي المطلق.

كان بجوان يقوم غالباً بوضع ملاحظاتٍ ما والتي قد يقوم الناقد السطحي بأخذها على أنها لا أدرية أو إلحادية، تماماً كما فعل النقاد السطحيين مع بودا. فعلى سبيل المثال كان يقول:

لمَ القلق حيال الله؟ نحن لا نعلم ما إذا كان الله موجوداً، لكننا نعلم

أننا نحن الموجودون، لذا ركّز على ذاتك أولاً، جد من تكون أنت.

لم يكن هناك لا أدرية، فـ بجوان وكما فعل بودا، تحدث من منطلق

المعرفة الكاملة. كان يضع نفسه ببساطة في موضع السائل ويوصيه بأن يُركز

على ذلك الذي عرفه عوضاً عن ذلك الذي يؤمن به فقط؛ وفي بعض الأحيان

كان يقول للناس بأن لا يتكبدوا عناء التساؤل عما إذا كان الله يوجد أو عما إذا

كان الإدراك يقتضي ضمناً الاتحاد بالله أو لا، حاثاً إياهم ببساطة على العمل على إدراك الذات، وعندما يتم إدراك هذا فسيعلمون الحقيقة، والتتظير حول هذا لن يساعدهم في شيء.

كان أحد الأتباع يتلو بعضاً من الـ *أولادو ناربادو* (الآيات الأربعين) النسخة المالاياالية على أسماع أحد الزوار، وبعد أن استمع إليها سأل الزائر: ماذا عن الإشارة إلى الثنوية أثناء الجهد الذي يبذله المرء والاتحاد في النهاية؟

بجوان: إنها تشير إلى أولئك الناس الذين يظنون بأن على المرء أن يستهل رحلته الروحية بمفهوم ثنوي. يقولون بأن الله هناك وأنه يتعين على المرء أن يعبده ويتأمله إلى أن يمتزج المرء فيه في النهاية؛ وآخرون يقولون أن الشخصية الفردية والكينونة الأسمى يبقيان دائماً منفصلين ولا يمتزجان أبداً. لكن دعنا لا نقلق حول ماذا يحدث في النهاية، فالكل اتفق على أن الشخصية الفردية توجد الآن. لذا دع المرء يكتشفها - هذا هو اكتشاف ذاته. ومن ثم سيتسنى هناك وقت كافٍ بعد ذلك لإيجاد ما إذا كانت الذات ستمتزج بالملق أم هي جزء منه أو تبقى منفصلة، دعنا لا نستبق الاستنتاج. أبق العقل مفتوحاً، غص في الباطن وجد الذات، وحينها ستدنو منك بشكل صحيح، لذا لم المحاولة للتقرير مسبقاً إذا ما كان هناك اتحاد مطلق أو مشروط أو ثنوية؟ لا جدوى من القيام بهذا. إن قرارك يتم صوغه عبر المنطق والفكر، لكن الفكر يستمد نوره من الذات (القوة الأعلى)، لذا كيف يمكن لنور الفهم الجزئي والمنعكس أن يتصور مسبقاً النور الكلي والأصلي؟ لا يمكن للفكر أن يصل إلى الذات، فكيف له إذن أن يتحقق من طبيعتها؟

بينما كان بجوان يشرح لسيدة أمريكية، قال لها الآتي:

وحدها الذات حقيقية وكل ما سواها غير حقيقي. إن العقل والفكر لا وجود لهما بمعزل عنك؛ يقول الإنجيل: "كن ساكناً واعرف أنني أنا الله". السكون هو الأمر الوحيد المطلوب لإدراك الـ "أنا أكون" على أنها الله.

ومن ثم أردف قائلاً:

كل الـ فيداننا تختزلها مقولتين إنجيليتين: "أنا أكون تلك الأنا أكون"، و"كن ساكناً واعرف أنني أنا الله".

بالنسبة لذلك الذي وجد الاستفهام عن الذات شاقاً للغاية، فقد كان بجوان يوصيه بالعبادة والاستسلام.

المريد: ما الذي على المرء أن يفكر فيه أثناء التأمل؟  
 بجوان: ما هو التأمل؟ إنه تجميد الخواطر. أنت حائر بالخواطر التي تتدافع واحدة تلو الأخرى، أمسك بخاطرة واحدة وبالتالي فإن الخواطر الأخرى ستندحر. إن التمرن المستمر يهب العقل القوة الضرورية كي ينشغل في التأمل، والتأمل يتفاوت وفقاً لمستوى تقدم المريد. فإذا كان المرء مهيباً للتأمل، فسيكون بوسعه أن يمسك بالمفكر مباشرة، وبدوره، أي المفكر، سيغرق تلقائياً في مصدره الذي هو وعي خالص؛ أما إذا لم يكن بوسع المرء الإمساك بالمفكر، فإنه عليه التأمل في الله، ومع حلول الوقت المناسب فإن الفرد نفسه سوف يصبح نقياً بما فيه الكفاية ليُمسك بالمفكر ويغرق في الكينونة المطلقة.

في حال تم اختيار طريق العبادة، فقد كان بجوان يُطالب باستسلام مطلق.

المريد: وُصف الله على أنه متجلٍ وغير متجلٍ. في حالته الأولى، يُقال أنه يحوي الكون كجزء من كيانه، وعلى فرض أن الأمر كان على هذا النحو، فإنه علينا نحن كجزءٍ من هذا العالم أن نجد الأمر سهلاً لمعرفة في صورته المتجلية.

بجوان: إعرف ذاتك قبل أن تسعى لمعرفة طبيعة الله والكون.

المريد: هل معرفة ذاتي تقتضي ضمناً معرفة الله؟

بجوان: نعم، فالله في داخلك.

المريد: إذن ما الذي يقف عائقاً في طريق معرفتي لذاتي أو لله؟

بجوان: عقلك الجوال ومسالكك الملتوية.

المريد: أنا مخلوق ضعيف، لم لا تقوم القوة الأعلى لله في داخلي

بإزالة العقبات؟

بجوان: نعم سوف يفعل هذا إذا ما تحليت بالطموح.

المريد: لم لا يخلق الطموح في داخلي؟

بجوان: فلتسلم نفسك له إذن.

المريد: إذا سلمت نفسي، ألا تكون الصلاة لله ضرورية؟

بجوان: الاستسلام بحد ذاته هو صلاة عظمى.

المريد: لكن أليس من الضروري فهم طبيعته قبل أن يُسلم المرء

نفسه؟

بجوان: إذا كنت تؤمن بأن الله سيقوم بفعل كل الأشياء التي تريده

أن يقوم بها، إذن سلم نفسك له. وإلا، فدع الله جانباً واعرف ذاتك.

حين يكون هناك تسليم حقيقي، فإنه لا مجال لأن يكون هناك تدمر أو خيبة أمل.

المريد: نحن أناس دنيويون ومُبتلون ببعض الإخفاق الذي لا يمكننا تجاوزه، نصلي لله ولكننا لا نزال غير راضين. ما الذي ينبغي علينا فعله؟

بجوان: ثق بالله.

المريد: نستسلم لله ولكن ما من مساعدة.

بجوان: لكن إذا استسلمت فهذا يعني بأنه عليك أن تقبل بإرادة الله وأن لا تقوم بالتظلم لما قد لا يحدث لإسعادك. قد تتقلب الأشياء بشكل مختلف عما تبدو عليه، ولكن الكرب غالباً ما يقود الناس إلى الإيمان بالله. المريد: لكننا أناس دنيويون، فلدينا زوجة وأطفال وأصدقاء وعلاقات، لا نستطيع تجاهلهم وأن نكرس أنفسنا للإرادة الألوهية دون الاحتفاظ ببعض الفردية.

بجوان: هذا يعني أنك لم تستسلم حقاً كما تقول أنك قد فعلت. كل ما عليك فعله هو أن تثق بالله.

باتباع طريق التفاني، فإنه ينبغي على المرء ترك كل شيء على الله.

إنه المولى هو من يحمل حمولة العالم. إعلم أن الأنا المغرورة الوهمية التي تفترض مسبقاً بأنها هي التي تحمل الحمولة، أشبه بالشخصية المنحوتة على أسفل برج معبد والتي تبدو أنها هي من يحمل ثقل البرج. على من يقع الخطأ في حال قام المسافر بدل أن يضع أمتعته في حقيبة

القطار والتي تحمل الحمولة بكل الأحوال، قام بحملها فوق رأسه مُسبباً  
عدم الراحة لنفسه؟

من غير الممكن أن يكون هناك حتى نفاذ صبر لبلوغ إدراك مُستعجل.  
ولذلك الذي كان مُبتلىً ابتلاءً شديداً، أجاب بجوان قائلًا:

إستسلم له واقبل بإرادته ظهر أم اخنفي، انتظر مَرْضاتِهِ. إذا  
كنت تريده أن يقوم بفعل ما تريد فإن هذا ليس استسلاماً بل أمراً. إنك لا  
تستطيع أن تطلب منه أن يذعن لك وأن تظن في المقابل بأنك استسلمت  
له. هو يعلم الأفضل ومتى وكيف يجب فعله، وكَلَه بالكامل بكل شيء،  
فالعَبء عبئُه ولا مزيد من الأعباء عليك، فكل أعبائك هي أعباؤه. هذا هو  
ما يعنيه الاستسلام.

حتى الصلاة يمكن اعتبارها نقص ثقة، ولم يُحبذ بجوان عادة الصلاة  
التي تتم في شكل استرحام.

إنهم يصلون لله وينتهون بـ: "مشيئتك هي الغالبة"، إذا كانت  
مشيئته هي الغالبة، لمَ إذن يصلون أصلاً؟ صحیح أن الإرادة الألوهية  
سوف تغلب في كل الأوقات وتحت جميع الظروف، فالأفراد ليس بوسعهم  
فعل الأشياء وفق أهوائهم. لهذا، أدرك قوة الإرادة الإلهية وابق صامتاً،  
فكل امرئ يتم الاعتناء به من قبل الله، لقد خلق الجميع وأنت واحد فقط  
بين ألفي مليون. إذا كان يعتني بالكثير، فهل سوف يستنيك؟ حتى الفطرة  
السليمة تقول بأنه على المرء قبول إرادته. لا حاجة لأن تخبره بمتطلباتك،  
فهو يعرفها بنفسه وسوف يعتني بأمرها.

من ناحية ثانية، كان يؤكد على فعالية الصلاة. وكما في مواضيع أخرى، كان يضع وجهة النظر التي تساهم بشكل أفضل في إحداث التطور الروحي لشخص السائل.

المريد: هل يُستجاب لصلواتنا؟

بجوان: نعم يُستجاب لها، فلا خاطرة ستذهب سدىً أبداً. كل خاطرة ستنتج تأثيرها في وقت ما أو آخر. إن قوة الخاطرة لن تذهب سدىً أبداً.

قد يتم النظر إلى هذا على أنه تلميح إلى عقيدة أوسع بكثير من الاستجابة الشخصية من قبل الله الجسماني، فهذا يشير إلى القوة العامة للخاطرة الصالح منها والطالح وانعكاساتها على المفكر. إن فهم هذا يتضمن مسؤولية عظيمة مُنطقة بالخواطر ليست بأقل من تلك المسؤولية المنوطة بالأفعال، تماماً كما أشار المسيح بأن النظر إلى امرأة بشهوانية كان خطيئة، حيث أنه تماماً كفعل الزنا معها. يُظهر المقطع الآتي كم كانت هذه التعاليم بعيدة عن أي تصور بشري لله.

تنبثق الحرارة من عدسة العين، وينفتح زهر اللوتس، وتتبخر المياه، وينصرف الناس إلى أداء واجباتهم المختلفة في الحياة؛ كل ذلك يحدث بدون أية رغبة أو عزيمة أو جهد من قبل الشمس المشرقة، وإنما بمجرد حضور أشعتها. بدنو المغناطيس يتحرك الدبوس، وعلى نحو مشابه فإن الروح أو الـ **جيفا** خاضعةً للفعل الثلاثي: الخلق والتدبير والتدمير، والتي تحدث وفقاً لمجرد الحضور الفريد للمولى الأعلى، تقوم بأداء الأفعال وفق الـ كارما خاصتها ومن ثم تنكفيء للراحة بعد هذا،

لكن المولى نفسه لا عزيمة ولا فعل ولا حدث يمس حتى طرف كيانه. إن هذه الحالة من العِصمة الخالصة يمكن تشبيهها بحالة الشمس التي لا تمسها نشاطات الحياة، أو يمكن تشبيهها بالأثير الساري في كل شيء والذي لا يتأثر بتفاعل خواص مجموعة العناصر الأربعة الأخرى.

## الأديان

يجب أن يكون واضحاً مما ذكرناه في الباب السابق أن تعاليم بجوان لم تكن مُناهضة لأية ديانة، فكان إذا أراد الفلاسفة واللاهوتيون المجادلة حول ما إذا كانت الروح البشرية منفصلة دوماً وبشكل رئيسي عن الكيان الألوهي، يرفض الانخراط في نقاش القضية معهم ولكنه يحاول أن يوجههم نحو بذل الجهد الروحي بدل ذلك، وذلك كما تم على سبيل المثال في حديثه مع أب كنسي في الصفحة 53. لو بلغوا الإدراك لكانوا سيعرفون، والمعرفة النظرية بدون إدراك لن تفيدهم في شيء على أية حال.

على وجه التحديد، فإن بجوان لم يكن هندوسياً بشكل حصري أو خاضعاً للطقوس الهندوسية حيث أن الهندوسية نفسها تُقر بأن المرء المُستوطن في تطابق دائم وواعٍ مع الذات يسمو فوق كل الأديان. لقد كان بجوان قمة الجبل التي تلتقي عندها الطرق المتعددة. كان لـ بجوان العديد من الأشياع الذين لم يكونوا هندوسيين - بل كانوا مسيحيين، مسلمين، فرس وغيرهم - ولم يقترح على أي أحدٍ منه أن يتحول عن ديانته.

تتضمن الديانة صيغتي حركة والتان يمكن تسميتهما بالحركة الأفقية والعمودية، فبصيغتها الأفقية فإنها تُناغم حياة الفرد والمجتمع وتتحكم بها بما



يتناسب مع عقيدته وأخلاقياته مُعطيةً الفرصة والحافز لسلوك حياة صالحة تُفضي إلى موت صالح؛ وبشكل عمودي فإنها توفر طرقاً روحية لأولئك الذين يعملون على بلوغ حال أعلى أو إدراك الحقيقة المطلقة خلال معيشتهم على هذه الأرض. بصيغتها الأفقية، فإن الديانات لا يمكن لها أن تتعايش مع بعضها البعض، ولكنها ليست متناقضة حقاً. كان بجوان معنياً أكثر بالصيغة العمودية، أي الطرق المؤدية إلى الإدراك، ولهذا فإن تعاليمه لم تصطدم بأية ديانة. لقد قام بإرشاد أولئك الذين كانوا على استعداد لاتباعه على الطريق الأكثر مباشرة ومركزية، أي البحث عن الذات، ولهذا فإن أي ديانة يمكنها خدمة هذا الغرض كأساس. لقد أقر بكل ديانة وكان إذا ما أتى إليه بعض المؤمنين الذين لا يعتقدون ديانةً رسمية، فإنه لم يقابلهم بأن عليهم اتباع ديانة ما. كان عندما يُسأل عن سنن الديانات المختلفة يصر على معانيها العميقة وعلى الوحدة الأساس التي تربط بين الديانات المختلفة.

المريد: ما هي الـ **يوغا**؟

بجوان: الـ **يوغا** (الاتحاد) ضرورية لذلك الذي في حالة **فييوغا** (انفصال)، لكن في الحقيقة هنالك واحد فقط. إذا أدركت الذات فلن يكون هنالك فرق.

المريد: هل من أية فعالية للاستحمام في مياه نهر الغانج؟

بجوان: الغانج في داخلك، إستحم في هذا الغانج، فهو لن يدعك ترتجف من البرد.

المريد: أبتوجب علينا في بعض الأحيان قراءة الـ **بكفاد كيبيتا**؟

بجوان: دائماً.

المريد: هل علينا قراءة الإنجيل؟

بجوان: الإنجيل و**كيبيتا** هما واحد.

المريد: لكن الإنجيل يُعلم أن المرء مولود في الخطيئة.

بجوان: الإنسان خطيئة، فلا يوجد هناك شعور بأنك إنسان في حالة النوم العميق. إن خاطرة الجسد هي التي تجلب معها فكرة الخطيئة؛ ولادة الفكرة نفسها خطيئة.

المريد: الإنجيل يقول أن روح الإنسان قد تكون ضالة.

بجوان: إن خاطرة الـ "أنا" هي الأنا المغرورة وهذه خاطرة ضالة. الـ "أنا" الحقيقية هي "أنا أكون تلك الأنا أكون".

تم شرح عقيدة الثالوث على النحو الآتي: الله الأب مُعادل لـ إيشوارا، أما الله الإبن فهو مُعادل لـ جورو، والله الروح القدس مُعادل لـ آتمان. إيشوارو جورو أتمتني مورتى بيذا فيياجن فيوماواد فيابتا ديايا دكشينا مورتىي ناما" تعني أن: الله يتجلى للمؤمن به على صورة معلم (إبن الله) ويدله على حلولية الروح القدس في كل شيء.

ما يعني القول أن الله هو الروح، وأن هذه الروح باطنية في كل مكان، وأنه ينبغي إدراك الذات الأمر الذي هو نفسه إدراك الله.

لقد احتج بجوان على رضا المرء بالجنان الصورية سواء كان هندوسياً أو يعتقد أي ديانة أخرى، وذلك لأنه طالما أن هناك صورة فسيفسائية هناك مُشاهد ومشاهدة ومُشهود، لا الذات الواحدة.

المريد: ثمة رواية قصيرة عن تجارب روحية للقديسة تيريزا صدرت في عدد مارس من مجلة برابودا بهاراتا. لقد كانت القديسة مُتفانية إلى حد كبير لأحد هيئات مريم العذراء التي جاءت حية لرؤيتها وقد لبثت في نعيم. هل هذا نفسه شاكتياتا؟

بجوان: الهيئة الحية تشير إلى عمق التأمل (ديانا بالا)، أما شاكتياتا فتُهيء العقل للإستبطان. ثمة أسلوب مُتبع لتركيز عقل المرء

على ظله والذي يغدو في الوقت المناسب حياً متحركاً كما يجيب على أسئلة تُوضع له. إن هذا راجع لقوة العقل أو عمق التأمل. أياً ما يكن خارجياً فهو عابر، فظاهرة كهذه قد تجلب فرحاً في الوقت الراهن، لكن السكينة الدائمة (شانتى) لا تأتي معها، وإنما فقط عبر إمارة الـ أفيديا (الجهالة).

المريد: ألا نستطيع رؤية الله بصورة ملموسة؟

بجوان: أجل. الله مرئي في العقل، إن الصورة الملموسة قد يمكن رؤيتها لكن هذا يظل في عقل المؤمنين فقط. الصورة والظهور اللتان يتجلى بهما الله يتحددان بواسطة عقل المؤمن، إلا أن هذه ليست هي التجربة الأسمى، حيث أن الشعور بالثنوية لا يزال قائماً فيها، إنها مثل حلم أو رؤيا. بعد أن يتم إدراك الله، فإن الاستفهام عن الذات يبدأ ومن ثم يقود إلى إدراك الذات، الاستفهام عن الذات هو الجذر المطلق.

كانت إجاباته في بعض الأوقات مُبهمةً بإحكام، ولكن الحقيقة الكونية ذاتها تكمن فيها؛ أما صورتها الشائكة بالأحرى فقد تعكس الأسلوب الهجومي للسائل.

السائل: ما هي أفضل الديانات؟ ما هي طريقة بجوان؟

بجوان: كل الطرائق والديانات هي الشيء ذاته.

السائل: لكن ثمة طرائق مختلفة يتم الإرشاد إليها لبلوغ الخلاص.

بجوان: لمَ عليك بلوغ الخلاص؟ لم لا تبقى كما أنت الآن؟

السائل: أريد أن أتخلص من الألم، يُقال أن التخلص من الألم هو

الخلاص.

بجوان: هذا ما تعلمه كل الديانات.

السائل: لكن ما هي الطريقة؟

بجوان: عد من الطريق التي أتيت منها.

السائل: ومن أين أتيت؟

بجوان: هذا هو ما عليك إيجاده. هل تتبادر هذه الأسئلة إليك

عندما تكون نائماً؟ ومع هذا فقد كنت موجوداً، ألم تكن الشخص ذاته؟

السائل: بلى، لقد كنت موجوداً أثناء النوم، وكذلك العقل، لكن

الحواس امتزجت ببعضها البعض وبالتالي لا أستطيع التحدث عندئذٍ.

بجوان: هل أنت الفرد؟ هل أنت العقل؟ هل العقل صرّح بنفسه

إليك عندما كنت نائماً؟

السائل: لا، لكن أولو الأمر يقولون أن الشخصية الفردية مختلفة

عن الله.

بجوان: دعك من الله، تحدث عن ذاتك.

السائل: ماذا أتحدث عن ذاتي؟ من أكون أنا؟

بجوان: هذا بالضبط ما يتعين عليك إيجاده، ومن ثم فإنك

ستعرف كل شيء. وإذا لم تعرف، فسيستنى هنالك وقت كافٍ للسؤال

حينها.

السائل: عندما أستيقظ من النوم فإنني أرى العالم ولا أكون متغيراً

على الإطلاق.

بجوان: لكنك لا تعلم هذا عندما تكون نائماً، ومع هذا فأنت توجد

في كلا الحالتين. من الذي تغير الآن؟ أهي طبيعتك بأن تتغير أو أن تبقى

غير متغير؟

السائل: ما هو الدليل؟

بجوان: هل على المرء طلب دليل يثبت وجوده؟ إيق واعياً

بنفسك فقط وسيتم معرفة كل البقية.

السائل: لمَ إذن يتعارك الثويون واللاثويون فيما بينهم؟  
 بجوان: إذا ما قام كل منهم بالاهتمام بشؤونه (السعي خلف الإدراك) فلن يكون هناك عراك.

التعبير عن التجربة الروحية قد يتم بشكل متفاوت وذلك لأنه عند التعبير عنها لا بد من إضفاء صورة على ذلك الذي لا صورة له، ولكن هذه التجارب بالأساس هي الشيء ذاته.

المريد: هل تجربة مُعاشة المقام الأعلى هي ذاتها للجميع أم أن هناك اختلاف ما؟

بجوان: المقام الأعلى هو نفسه والمُعاشة هي نفسها.  
 المريد: لكنني وجدت بعض الاختلاف في التأويلات المُعطاة عن الحقيقة المطلقة.

بجوان: التأويلات تمت عن طريق العقل، والعقول تتفاوت لذا فالتأويلات تتفاوت كذلك.

المريد: أعني القول أن المُبصرين يُعبّرون عن أنفسهم بشكل مختلف.

بجوان: قد تختلف صيغ التعبير وفقاً لطبيعة المرادين الذين يخصونهم بالإرشاد.

المريد: هذا يتكلم من وجهة نظر مسيحية وآخر من وجهة نظر إسلامية وثالث من بوزية الخ. هل هذا راجع إلى منشأهم؟  
 بجوان: أياً كان ما ترعرعوا عليه، فإن مُعاشتهم هي نفسها. وحدها صيغ التعبير هي التي تتراوح وذلك وفق الظروف.

كذلك الأمر مع طرق أو مدارس مختلفة داخل الدين نفسه.

المريد: وضع معلمون مختلفون مدارس مختلفة وادعوا طرقاً مختلفة وبهذا حيروا الناس. لماذا؟  
 بجوان: جميعهم علم الحقيقة ذاتها لكن من وجهات نظر متباينة، إن مثل هذه الاختلافات كانت ضرورية لتلبية احتياجات العقول المتباينة والمركبة بشكل مختلف، لكنهم جميعاً يكشفون ذات الحقيقة.  
 المريد: بما أنهم قد أوصوا بطرق مختلفة، أيّ على المرء اتباعه إذن؟

بجوان: أنت تتكلم عن الطرق كما ولو أنك كنت في مكان ما والذات في مكان آخر وعليك الذهاب لبلوغها.  
 في حقيقة الأمر، فإن الذات هنا والآن وأنت هي دائماً. الأمر أشبه بوجودك هنا وسؤال الناس عن الطريق المؤدي إلى أشرم رَمنا ومن ثم التذمر من أن كل فرد يدلك على طريق مختلف ومن ثم تسألهم أي طريق ينبغي اتباعه.

بينما كان يؤكد على أهمية الأديان المتعددة، فإن بجوان في ذات الوقت كان يحث الناس على المضي إلى ما وراء الأديان نحو الذات الواحدة. قام باول برونوتون مؤلف كتاب *أ سيرش إن سيكرت إنديا (بحث في الهند السر)* بسؤاله عن العقائد المتعددة للجنة والنار.

المريد: لم تتكلم الأديان عن الآلهة، الجنان والنار، إلخ؟  
 بجوان: لجعل الناس فقط أن يدركوا بأنهم متساوين مع هذا العالم وأن الذات وحدها هي الحقيقة. الأديان هي وفق

وجهة نظر المرید. (خذ الـ **بِكفاد كيبیتا** على سبيل المثال، فعندما أعرب **أرجونا** عن نيته بأنه لن يقا تل ضد أقربائه وأجداده كي يقتلهم ويظفر بحكم المملكة، قال له **شري كرشنا**: الأمر ليس كذلك، فأنت وأنا لم نكن من قبل، ولسنا كائنين الآن، ولا حتى بعد الآن؛ لا أحد وُلد، لا أحد مات، ولن يحدث هذا حتى بعد الآن" إلى آخر الكلام. لاحقاً، وعندما تطور المشهد وأعلن أنه قد أصدر نفس الأوامر إلى الشمس، من خلاله إلى **إكشواكو**، الخ. **أرجونا** سأل مُشككاً: "كيف يمكن هذا؟ لقد ولدت منذ سنوات قليلة. بينما هم عاشوا قرناً قبل ذلك"، فقال **شري كرشنا** مُستيقناً وجهة نظر أرجونا: "نعم، لقد وقعت هناك تجسّدات كثيرة لي ولك، إلا أنني على دراية بهم جميعاً أما أنت فلا"). إن مقولات كهذه تبدو متناقضة لكن كلاهما صحيح وفق وجهة نظر السائل. المسيح أعلن أيضاً قائلاً "كنتُ قبل أن يكون إبراهيم".

المرید: ما الفائدة من وصف كهذا في الدين؟

بجوان: لترسيخ حقيقة الذات ليس إلا.

المرید: بجوان يتكلم دائماً من وجهة النظر الأعلى.

بجوان: (مُتبسماً): الناس لن يفهموا الحقيقة المجردة والبسيطة - حقيقة كل يوم من أيامهم، التجربة الحاضرة أبداً والخالدة. هذه هي حقيقة الذات. هل هناك أي أحد غير واعٍ بالذات؟ مع هذا، فهم لا يريدون حتى السماع عنها، بينما هم تواقين إلى معرفة ما يكمن ما وراء الجنة والنار والتناسخ. ولأنهم يهونون الغموض لا الحقيقة المجردة، فالديانات تُدلّهم - وذلك فقط لجلبهم حول الذات في النهاية. علاوة على هذا، فكلما قد تتجول أكثر فإنه لا بد أن تعود في النهاية إلى الذات، لذا لم لا يستوطن المرء في الذات هنا والآن؟

تم أعلاه اقتباس مقطع أوصي السائل فيه بأن يواظب على قراءة الـ *كيبيتا* أو الإنجيل، وفي مناسبات أخرى فإنه كان يتم تذكير الناس بضرورة التخلي عن نصوصهم المقدسة.

كل النصوص المقدسة جُعلت لتمكن المرء من أن يقتفي آثاره نحو مصدره الأصلي، فهو ليس بحاجة لاكتساب أي شيء جديد، عليه فقط أن يتخلى عن التصورات المزيفة والتراكمات عديمة الجدوى. ولكنه بدل فعل هذا، تجده يحاول أن يمسك بشيء غريب وغامض لأنه يؤمن بأن سعادته تكمن في مكان آخر، وهذا هو الخطأ.

كل النصوص بدون استثناء نقول بوجود إخماد العقل لبلوغ الخلاص. وبمجرد أن يعرف المرء أن التحكم بالعقل هو الهدف النهائي، فإنه لا فائدة من القيام بدراسة لا متناهية لهذه النصوص. المطلوب لإحراز تحكم كهذا هو الاضطلاع باستفهام حقيقي عن ذات المرء عبر الاستفهام عن الذات - "من أكون أنا؟" أنى لهذا الاستفهام في البحث عن الذات أن يجري عبر دراسة النصوص المقدسة؟

على المرء أن يدرك الذات بعين الحكمة. هل يحتاج راما لمرآة للتعرف على نفسه أنه راما؟ ذلك الذي تدل عليه الـ "أنا" يكمن ضمن خمس أحجية بينما النصوص المقدسة تقع خارجها. لهذا، فإنه لا فائدة مَرجوة من البحث عبر دراسة النصوص المقدسة. يجب إدراك الذات باختصار عن طريق نبذ الأغطية الخمسة حتى.

إن طرح الاستفهام "من أكون أنا القابع في قيد؟" ومعرفة الطبيعة الحقيقية للمرء، وحده هو الخلاص. لجعل المرء دوماً موجهاً نحو الداخل وللاستيطان بالتالي في الذات فهذا وحده هو *آتما فيشارا* (الاستفهام عن الذات)، بينما *ديانا* (التأمل) يتألف من تأمل مُنقذ للذات *سات-تشت-أناندا*



(الوجود-الوعي-النعيم). في حقيقة الأمر، فإن المرء سيتوجب عليه أن ينسى كل شيء قد تعلمه.

يقف المرء المدرك على أنه ذاك الذي تدل عليه كل الخصال التي أحصتها النصوص المقدسة. ولهذا، فإن النصوص المقدسة بالنسبة له لا فائدة لها أيًا كانت.

## الفصل الثاني من النظرية إلى التطبيق

كما يظهر في الفصل السابق، فإن النظرية التي علّمها مهاريشي كان القصد منها أن تقوم كأساسٍ للتطبيق لا غير. على كل حال، فقد تمخض عن الدعوة للتطبيق العملي ولادة فرع آخر للنظرية، ألا وهو ذلك الذي يتعلق بالإرادة الحرة أو القضاء والقدر حيث أن جلسات الحديث لم تخلو من أولئك الذين سألوا لماذا يتوجب عليهم بذل أي جهد طالما أن كل شيء مُقدر سلفاً، أو طالما أن كل الناس ستعود إلى مصدرها في أي حال.

قام زائر من إقليم البنغال بالسؤال: يقول **شنكرا** أننا جميعاً طُفقاء روحياً، لسنا مقيدين، وأنا جميعاً سنرجع إلى الله الذي منه أتينا، كما الشرارة من النار. إذا كان الأمر كذلك، لماذا لا نرتكب كل صنوف الخطايا إذن؟

كان أن بيّن جواب بجوان على هذا السؤال بأن هذا الطرح لا يمكن أن يكون وفق وجهة نظر الأنا المغرورة.

بجوان: صحيحٌ أننا لسنا مُقيدين، ما يعني القول أن الذات الحقيقية ليست مغلولةً بقيود؛ وصحيح أنك سترجع في النهاية إلى مصدرك؛ لكن في الوقت الراهن، فإنك في حال ارتكبت خطايا، كما تُسميها، عليك أن تواجه العواقب، لا يمكنك الهرب من العواقب. إذا ما ضربك رجلٌ هل يمكنك القول له: "أنا حُرٌّ لا يؤثر فيّ ضربك ولا

يؤلمني"، هل ستدعه يُكمل ضربك؟ إذا كان بإمكانك حقاً الشعور بهذا، حينها يمكنك فعل ما يحلو لك؛ وإلا فما فائدة مجرد التشدد بأنك حر؟

قام بجوان في بعض الأحيان بنطق أحكامٍ بدت ظاهرياً على أنها تأكيدات على كلية القضاء والقدر، فعندما هجر منزله في شبابه، راسخاً في إدراك الذات، مضت أمه خلفه بحثاً عنه وعندما عثرت عليه وجدته ملتزماً الصمت آنذاك، لهذا وتعليقاً على طلبها منه أن يعود إلى المنزل برافتها، كتب إليها رده الآتي بدل أن يجيب شفهيّاً:

إن المُقدّر يتحكم بِقدّر الأرواح وفق الـ *برارابداكارما* (القدر المعمول به في هذه الحياة، الناتج عن رصيد حساب الأعمال في الحيوانات الماضية). أياً ما قد كُتِبَ له ألا يحدث فلن يحدث، حاولي ما شئتِ؛ وأياً ما قد كُتِبَ له أن يحدث فسيحدث، إفعلي ما شئتِ لمنعه. هذا أمرٌ يقيني، لذا فإنه من الأفضل اللوذ بالصمت.

كان في بعض الأوقات يُصرّح إلى أشياعه بالآتي:

كل الأفعال التي على البدن أن يأتي بها هي محسومة عندما برز للوجود، فالأمر ليس بيدك لقبولها أو رفضها. الحرية الوحيدة التي لديك هي توجيه عقلك للداخل والتخلي عن الأفعال هناك.

بالإشارة إلى جواب بجوان على سؤال السيدة ديساي في ليلة 3 يناير 1946، قمتُ بسؤاله: أهي الأحداث المهمة فقط في حياة المرء كمهنته أو وظيفته مُقدّرةٌ مُسبقاً، أم الأفعال التافهة كذلك كشرَبِ ماءٍ أو التحرك من جانب الغرفة إلى آخر؟

بجوان: كل شيء مُقدّر سلفاً.

أنا: إذن أية مسؤولية وأية إرادة حرة يملكها المرء؟  
 بجوان: لم برز الجسد للوجود؟ إنه مُصمَّم للأشياء المتعددة التي  
 اختير لها في هذه الحياة... فيما يتعلق بالحرية، فإن المرء حر دائماً بأن  
 لا يماهي نفسه بالجسد وأن لا يكون متأثراً بالملاذات والآلام المترتبة على  
 أفعال الجسد.

في الواقع، فإن السؤال عن الإرادة الحرة أو القضاء والقدر لا يتبادر  
 على الإطلاق من منطلق اللاشئوية، فالأمر أشبه بمجموعة من الناس لم تسمع  
 مسبقاً عن الراديو، فتراهم يتحلقون حول جهازٍ لا سلكي يتجادلون فيما  
 بينهم عما إذا كان الرجل الموجود داخل الجهاز عليه أن يغني ما تُمليه عليه  
 محطة الإرسال أو أن بإمكانه تغيير الأغاني وفق هواه؛ الجواب هو: لا يوجد  
 رجل داخل الجهاز ولهذا فإن السؤال لا يمكن أن يتبادر. قياساً على ذلك، فقد أتى  
 الرد على السؤال عما إذا كانت الأنا المغرورة تتمتع بإرادة حرة أو لا، بأنه لا  
 توجد أنا مغرورة، لهذا فإن السؤال لا يمكن أن يتبادر. وعليه، فإن استجابة  
 بجوان المعتادة على السؤال كانت تأتي في دعوة السائل لإيجاد من هو ذاك نو  
 الإرادة الحرة أو المحكوم بالقضاء والقدر.

المريد: هل يتمتع المرء بإرادة حرة أم أن كل شيء في حياته  
 مُقدر سلفاً؟

هذا سؤال مُشابه للسؤال أعلاه، لكن الجواب يختلف وفق احتياجات  
 السائل. في الواقع، إذا لم يوطد الرجل في عقله ما قد قيل للتو عن لا واقعية الأنا  
 المغرورة فإن الأمر قد يبدو متناقضاً تماماً.

بجوان: الإرادة الحرة والشخصية الفردية يوجدان جنباً إلى جنب. طالما أن الشخصية الفردية قائمة، فالإرادة الحرة قائمة كذلك. كل النصوص المقدسة مبنية على هذه الحقيقة وتوصي بتوجيه الإرادة الحرة ضمن المسار الصحيح.

هل كان هذا مناقضاً حقاً للجواب المُعطى آنفاً؟ لا، لأنه وفق تعاليم بجوان، فإن الشخصية الفردية لها وجود وهمي فقط. طالما أن المرء يتخيل بأن لديه شخصية فردية منفصلة، فهو سيتخيل أنها ذات إرادة حرة، وذلك لأن الإثنان يتواجدان معاً بشكل حتمي. لطالما سببت مفاهيم القضاء والقدر والإرادة الحرة العديد من الإشكالات للفلاسفة والمُنظرين، وستسبب على الدوام بذلك لأنها مستحيلة الحل على صعيد الثنوية التي تفترض أن كياناً واحداً هو الخالق وبأن كل ما سواه مخلوقات مُنفصلة عنه. إذا كان لدى المخلوقات إرادة حرة، فهذا يعني أن الخالق ليس بكلي القدرة والعلم - فهو لا يعلم ماذا سيحدث، لأن الأمر عندئذٍ يعتمد على ما يقرره الخلق؛ كما أنه لا يستطيع التحكم بكل الوقائع حيث أن القدرة على تغييرها في أيديهم. من ناحية أخرى، إذا كان الخالق كُلي العلم والقدرة، فهذا يعني أنه لديه العلم المسبق بكل ذلك الذي سيحدث كما أنه يتحكم بكل شيء، بالتالي فإنه ليس لدى مخلوقاته القدرة على اتخاذ القرار، ما يعني أنه لا إرادة حرة لديهم. لكن على صعيد الـ أدفايتا أو اللانثوية فإن المشكلة تتلاشى وتتفي عن الوجود؛ ففي الحقيقة فإن الأنا المغرورة لا إرادة حرة لها، لأنه لا وجود لـ أنا مغرورة أصلاً، لكن على صعيد الحقيقة الظاهرية فإن الأنا المغرورة تتكون من إرادة حرة - إنه وهم الإرادة الحرة الذي يخلق وهم الأنا المغرورة. هذا ما عناه بجوان بقوله "طالما أن الشخصية الفردية قائمة، فالإرادة الحرة قائمة كذلك". إن الجملة التالية في جوابه تدفع بالأسئلة بعيداً عن النظرية وتوجهه إلى التطبيق.

قم بإيجاد من هو ذا الذي لديه إرادة حرة أو يخضع لقضاء وقدر واستوطن في تلك الحال. ومن ثم سيتم السمو فوقيهما (الإرادة الحرة والقضاء والقدر). هذا هو الغرض الوحيد من مناقشة هذه الأسئلة. لمن تُقدم هذه الأسئلة نفسها؟ اكتشف هذا وكُن بسلام.

إن الطريق الوحيد للكارما (الفعل)، باكتي (التفاني)، يوغا ونيانا (المعرفة) هو الاستفهام عمّن هو ذا الذي لديه كارما، فيياكتي (انعدام التفاني)، فييوجا (الاتصال) وأنيانا (الجهل). من خلال القيام بهذا التحري، فإن الأنا المغرورة تختفي وحال الاستيطان في الذات التي لا يشوبها أبداً أي من هذه الخواص السلبية، تبقى على أنها الحقيقة.

طالما أن المرء هو الفاعل فإنه يحصد ثمار أفعاله أيضاً، ولكنه حالما يدرك الذات عبر الاستفهام عمّن هو الفاعل، فإن الإحساس بكونه أنه الفاعل يسقط، وتنتهي بسقوطه الكارما الثلاثية (القدر). هذا هو مقام الحرية الخالدة.

بجوان قال: "نحن جميعنا حقاً سات-تشت-أناندا (الوجود-المعرفة-النعيم) لكننا نتصور أننا مقيدون (بالقدر) ونقاسي كل هذه المعاناة."

سألته: لم نتصور هذا، لم نتجأنا حالة الجهالة (أنيانا) هذه؟  
أجاب بجوان: "إسأل نفسك بمن يحلّ هذا الجهل وستكتشف أنه لم يحل بك أبداً وأنتك دوماً كنت سات-تشت-أناندا. المرء ينجس في جميع صنوف العبادات ليغدو ما هو عليه أصلاً، كل الجهود غايتها ببساطة التخلص من الانطباع الخاطيء بأن المرء محدود ومقيد بمحن سمسارا (هذه الحياة).

المريد: هل هناك قضاء وقدر؟ وفي حال أن ما هو مُقدّر له الحدوث سيحدث، فهل هناك أي فائدة مَرجوة من الصلاة أو بذل الجهد، أو أنه يتعين علينا فقط البقاء بلا عمل؟

كانت هذه صيغة مختصرة للسؤال الذي كان يُوجه غالباً إلى بجوان، والجواب أتى نموذجياً بحيث أنه لا يقترح نظريةً بل يصف الواجب فعله.

بجوان: ثمة طريقتين فقط لقهر القضاء والقدر أو نيل الاستقلال منه، الأولى هي: الاستفهام عمّن يخضع للقضاء والقدر واكتشاف أنها وحدها الأنا المغرورة هي المُقيدة به وليس الذات، وأنه لا وجود للأنا المغرورة؛ أما الطريقة الأخرى فهي قتل الأنا المغرورة وذلك بالاستسلام بشكل كُلي للمولى عبر إدراك المرء لعجزه والقول طوال الوقت: "ليس أنا لكن أنت، أوه إلهي"، والتخلي عن كل الشعور بالـ "أنا" و"لي" وترك الأمر على الله ليفعل بك ما يشاء. لا يمكن اعتبار التسليم كاملاً أبداً طالما أن المؤمن يريد هذا أو ذاك من المولى، فالتسليم الحقيقي هو حب الله لأجل الحب وليس لأجل أي مَطْمَحٍ آخر، ليس حتى لأجل الخلاص. بكلماتٍ أخرى، فإن التواضع الكامل للأنا المغرورة أمر ضروري لقهر القضاء والقدر، سواءً تم لك هذا التواضع من خلال الاستفهام عن الذات أو من خلال باكتي-مارجا.

صيغة الجواب هذه هي مُشتركة لدى كافة المعلمين الروحيين. أتذكر أنني قرأت ذات مرة سيرة قديس صوفي، أبو سعيد، كتبها البروفيسور نيكولسون الذي استنتج من خلالها أن القديس على ما يبدو قد علّم فرضية القضاء والقدر بالنظرية بينما علّم الإرادة الحرة بالتطبيق. قد يُصاب الفيلسوف بالذهول، إلا أن هذا هو سلوك كل المعلمين الروحيين، تماماً مثل المسيح الذي شدد على أنه ليس

بِمَكْنَة عصفور حتى أن يسقط دون إرادة الله، وأن شعر رأس المرء قد أحصى عدده تماماً، وذلك مثلما شدد القرآن على أن العلم والقوة بيد الله فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومع هذا فكليهما المسيح والقرآن قاما بِحَثِّ الناس على بذل الجهد الصحيح وشجب الخطيئة. لقد بَتَّ بجوان تماماً في أمر بذل الجهد وضرورته. في الحياة الواقعية فإن كل امرئ مُدرك لهذا أياً كانت وجهة النظر النظرية التي يتبناها. فالمرء يبذل الجهد البدني لوضع الطعام في فمه وأكله، ولا تسمعه يقول: ما فائدة تناول الطعام إذا ما كان مُقراً لي الموت أو الجوع؟ بل تراه يقوم ببذل الجهد الذهني لكسب المال لشراء الطعام حتى يأكل. لَمَ عليه إنن أن يُطبِّقَ مَنطقاً مختلفاً عندما يتعلق الأمر بالجهد الروحي؟

شاب من مدينة كولومبو، سيلون، قال لـ بجوان سائلاً:  
 جي.كريشنامورتي يُعلِّمُ طريقةً لبلوغ الوعي بلا جهد وبلا اختيار كطريقة متمايزة عن تلك التي تتطلب تركيزاً مُفتعلاً. هل لـ بجوان أن يُبين ما هي الطريقة الأفضل لممارسة التأمل وأي صورة يجب أن يتخذها موضوع التأمل؟

بجوان: إن الوعي بلا جهد واختيار هو طبيعتنا الحقيقية. إذا كان بإمكاننا بلوغ هذا المقام والاستيطان فيه فهذا جيد، ولكن لا يمكن للمرء بلوغه بدون بذل جهد، أي الجهد المُتعمد للتأمل. تقوم كل الـ فُسْتَايز القديمة العهد (النوازع الكامنة) بدفع العقل للخارج نحو الأشياء الخارجية. يجب التخلي عن كل هذه الخواطر كما يجب توجيه العقل للباطن وهذا يتطلب جُهداً لدى معظم البشر. بالطبع، فإن كل معلم وكل كتاب يوصي المرید بأن يبقى هادئاً، لكن الأمر ليس بهذه السهولة. لذا فإن بذل الجهد ضروري، حتى لو وجدنا شخصاً ما قد بلغ هذا المقام الأعلى للسكينة، فالأمر يمكن تفسيره على أنه قد بذل الجهد المطلوب في حياة سابقة. لذا فإن بلوغ الوعي بلا جهد واختيار يحصل فقط بعد النهوض بتأمل مُتعمد.



يمكن أن يأخذ التأمل أي صورة تروق لك، أنظر ما الذي يساعدك على إبقاء كل الخواطر الأخرى جانباً وتَبَنَ هذا لتأملك.

قام بجوان في هذه الفقرة بالاستشهاد ببعض الأبيات للشاعر والقديس التاميلي العظيم، تابومانافار، الغاية منها ما يلي: النعيم سيلي إذا ما بقيت ساكناً، ولكن مهما تحاول لأن تخبر عقلك بهذه الحقيقة، فإنه لن يبقَ ساكناً. إنه العقل الذي يُخبر العقل بأن يبقى ساكناً كي يلج النعيم، لكنه لن يفعل هذا. رغم أن جميع النصوص المقدسة قد قالت بهذا، ورغم أننا نسمع هذا يومياً من ذوي الأرواح العظيمة وحتى من قبل معلمنا، فإنك تجدنا قلقين أبداً بل نجول في عالم مايا (الوهم) والمَحسوسات. لهذا فإن بذل الجهد الواعي والمتعمد مطلوب لبلوغ مقام السكينة العفوي.

إلى أن يتم بلوغ المقام العفوي الأسمى، فإنه يستحيل على المرء حقيقةً أن لا يبذل جهداً ما؛ فطبيعته ستفرض عليه هذا وذلك كما أخبر شري كرشنا أرجونا في ملحمة الـ *بِكْفاد كيبينا* بأن طبيعته الحقيقية سوف تفرض عليه القتال.

المريد: هلا نوررتي أكثر، هل علي أن لا أحاول لبذل أي جهد على الإطلاق؟

بجوان: من الصعب عليك الآن أن لا تبذل أي جهد، ولكن عندما تغوص إلى مستوى أعمق، فمن المستحيل حينها أن تبذل أي جهد.

المريد: ما الفرق بين التأمل والـ *سمادي* أو الاستغراق في الذات؟

بجوان: التأمل يُستهل ويُحافظ عليه عبر بذل جهد واعٍ من قبل العقل؛ ولكن عندما يذوي هذا الجهد بالكامل، فإنه يُسمى حينها *سمادي*.

بجوان: إذا كان بإمكانك البقاء ساكناً بدون الانخراط في أي مساعٍ أخرى، فهذا جيد. أما إذا كان هذا صعب التحقيق، فما الفائدة إذن من البقاء غير نشطٍ عندما يتعلق الأمر بالإدراك؟ طالما أنك ملزم بأن تكون نشطاً، فلا تتخلي عن محاولة إدراك الذات.

التأمل قتال، فحالما تشرع في التأمل ستبدأ خواطر أخرى بالاحتشاد إلى جانب بعضها البعض، فتجمع القوى وتحاول أن تجتاح تلك الخاطرة المفردة التي تحاول الإعتصام بها. مع مرور الوقت، يجب أن تكتسب هذه الخاطرة المفردة القوة وذلك عبر التمرن المتكرر، وعندما تغدو قوية فإن الخواطر الأخرى ستولي الأدبار. هذه هي المعركة الدائمة الجريان حين التأمل.

طالما أن الأنا المغرورة حية، فإن بذل الجهد ضروري. عندما تفتى الأنا المغرورة عن الوجود، تغدو الأفعال عفوية.  
لا أحد بوسعه النجاح دون بذل جهد، فالتحكم بالعقل ليس حقك بالولادة. أولئك القتائل الذين نجحوا ينسبون نجاحهم إلى مثابرتهم.

يتم في بعض الأحيان بلوغ شذرات من الإدراك قبل أن يصبح دائماً، وفي حالات كهذه فإن بذل الجهد يظل أمراً ضرورياً.

بذل الجهد أمر ضروري إلى حين بلوغ مقام الإدراك. حتى بعد هذا، فالذات ينبغي أن تصبح ظاهرة بشكل عفوي، وإلا فإن السعادة لن تكون كاملة. إلى أن يتم بلوغ مقام العفوية هذا، فإنه لا بد من بذل جهدٍ بشكل أو بآخر.

كان يتم في بعض الأحيان الإشارة إلى الجهد الصحيح كواجب.

المريد: لم عليّ المحاولة لنيل الإدراك؟ ينبغي أن أنهض من حالة الوهم هذه تماماً كما أستيقظ من حلم، فنحن لا نقوم بأي جهد لنخرج من الحلم عندما نكون نائمين.

بجوان: في الحلم لا دراية لك بأنه حلم، وبالتالي فإنك غير ملزم لبذل جهدٍ ما لتنهض منه. أما في هذه الحياة وبناءً على تجربتك في النوم وعلى ما تسمع وتقرأ، فثمة حدس يتملكك بأن هذه الحياة نوع من أنواع الحلم، وهذا الحدس يفرض عليك واجب بذل الجهد لتنهض منها. على كل حال، من يُريدك أن تترك الذات إذا كنت نفسك لا تريد هذا؟ إن كنت تفضل البقاء في هذا الحلم، فابق كما أنت.

من ناحية أخرى فإنه في بعض الأحيان، وكما في الحوار المشابه جداً الآتي، فقد تم تذكر المريد بأن الجهد أيضاً يُعد جزءاً من وهم الكائن الفردي.

المريد: يُقال أن حياة اليقظة هي حلم أيضاً، مُشابهة لحلمنا أثناء النوم. لكننا في أحلامنا لا نبذل أي جهد واع للتخلص من الحلم ولنستيقظ، الحلم ذاته ينتهي بدون بذل أي جهد من طرفنا ونصبح مستيقظين. على نحو مشابه، لم لا تقوم حالة اليقظة، والتي هي في الحقيقة ليست سوى شكلاً آخر من أشكال الحلم، بالانتهاء من تلقاء نفسها بدون بذل أي جهد من قبلنا وتهبط بنا في مقام الإدراك أو اليقظة الحقيقية؟

بجوان: اعتقادك بأنه عليك بذل جهد للتخلص من حلم حالة اليقظة هذه، وأنك بهذا الجهد تبلغ الإدراك أو اليقظة الحقيقية، ما هي إلا جزء من الحلم. عندما يحصل الإدراك سترى أنه لم يكن هنالك حلم خلال النوم ولا خلال اليقظة، بل كنت أنت وحالتك الحقيقية فحسب.

كان السؤال في بعض الأحيان يتخذ صيغة سجالٍ مُحْتَمٍ ليس بين الجهد والقدر وإنما بين الجهد والمِنة، حيث أن النقاش لم يخلو من أولئك الذين سألوا ما الفائدة من بذل الجهد طالما أن الإدراك يعتمد على مِنة الله أو المعلم. إن مثل هذا التشكيك يتبارد بصيغةٍ أو بأخرى في أي ديانة كما الحال في النزاع المسيحي عمّا إذا كان الخلاص راجعاً إلى المنة أو إلى الأعمال الصالحة. تُظهر الاقتباسات التالية بأنه لا صراع بين الاثنين في الحقيقة.

الزائر: يُقال أنه وحدهم أولئك الذين أختيروا لإدراك الذات يحصلون عليها، هذا أمر غير مُشجّع.

بجوان: هذا يعني فقط أنه لا يمكننا بلوغ إدراك الذات بواسطة عقلنا اللا مؤيّد بمِنة المعلم.

قاطعتُ قائلاً: "يقول بجوان أيضاً أنه حتى هذه المنة لا تأتي اعتباراً بل لأن المرء استحقها بسبب جهوده التي بذلها إما خلال حياته هذه أو حيوات سابقة."

الزائر: ولكن يُقال أن جهد الإنسان لا نفع منه، بالتالي ما الحافز الذي بين يدي المرء للتقدم؟

سألتُ في أي موضع قد قيل بأنه لا ينبغي عليك بذل أي جهد أو أن هذا الجهد عديم الجدوى، وأشار الزائر إلى مقطع في كُتيب "من أكون أنا؟" يقول: حيث أن قوة الله المتعذر وصفها تُقدر وتُدبر وتتحكم بكل شيء نحتاجه، فلا حاجة بنا للقلق حول ما يجب فعله.

أوضحت أن ما تم شجبه هناك ليس الجهد الإنساني بل الشعور بـ "أنا أكون الفاعل". سألتُ بجوان عمّا إذا كان توضيحي صحيحاً أم لا، فوافقني عليه.

المريد: المنة ضرورية لإزالة الجهل.

بجوان: بكل تأكيد، لكن المنة هناك طوال الوقت. المنة هي الذات، إنها ليست شيئاً يجب اكتسابه، كل ما هو ضروري أن تعلم بوجودها. بنفس الطريقة، فإن الشمس عبارة عن سطوع خالص، فهي لا تعرف ظلاماً رغم أن آخرين يتحدثون عن الظلام الذي يفر هرباً بدنوها. كما الظلام كذلك الجهالة، فهي وهم وليست حقيقة. ونتيجة عدم واقعيتها، يُقال أنها تزول باكتشاف عدم واقعيتها.

الشمس هناك وهي تشرق فتغدو مُحاطاً بنور الشمس، مع هذا، إذا ما عرفت الشمس يجب عليك أن تدير عينيك إلى اتجاهها وأن تنتظر إليها. على نحو مشابه، فإن المنة يتم إيجادها فقط ببذل الجهد رغم أنها هنا والآن.

المريد: تعني أنه بوجود الرغبة في الاستسلام فإن المنة المُتنامية يتم معاشتها، أتمنى هذا؟

بجوان: إستسلم بالكامل وانتَه من أمر الرغبات. طالما أن الشعور بأنك الفاعل لا يزال قائماً فالرغبات أيضاً تظل قائمة، لكن حالما يولي هذا الشعور الأدبار فإن الذات تُسرق بصفائها. إن الشعور بكونك أنت الفاعل هو الوثاق، وليست الأفعال بحد ذاتها. "كُن ساكناً واعرف أنه أنا الله"، إن السكينة هنا تعني التسليم الكامل بدون ذرة فردية واحدة، السكينة ستعم ولن يكون هناك بلبلة في العقل. تنشأ الرغبات نتيجة بلبلة العقل؛ والشعور بأنك الفاعل هو سبب الشخصية الفردية. إذا ما تم إيقاف هذا، فسيكون هناك هدوء. وفق هذا السياق فإن "المعرفة" تعني "الوجود"، إنها ليست معرفة نسبية تحتل ثلوث العارف والمعرفة والمعروف.

المريد: لكن المرء قد لا يكون على يقين بنزول منة الله.

بجوان: إذا لم يشعر العقل غير الناضج بمنة الله فهذا لا يعني أنها غائبة، لأن هذا قد يقتضي ضمناً بأن الله في بعض الأحيان ليس رؤوفاً، ما يعني أنه ليس الله.

المريد: هل هذا مطابق لقول المسيح: وفق إيمانكم تُرزقون؟  
بجوان: بالضبط.

المريد: أخبرت بأن الـ *أوبيانشا* تقول: وحده ذلك الذي تختاره آتمان يعرفها. لم على آتمان أن تختار أصلاً؟ وإذا ما اختارت، لم تختار أشخاصاً بأعينهم؟

بجوان: عندما تشرق الشمس فإن بعض البراعم تتفتح وليس الجميع، هل تلوم الشمس على هذا؟ ولا البراعم يمكنها أن تتفتح من تلقاء نفسها، فهي تحتاج نور الشمس الذي يُمكنها من فعل ذلك.

المريد: هل يمكننا القول بأن مساعدة آتمان مطلوبة لأنها آتمان هي التي ألفت حجاب مايا على نفسها؟  
بجوان: يمكنك قول هذا.

المريد: إذا ما ألفت آتمان الحجاب على نفسها، أليس عليها بالتالي أن ترفعه بنفسها؟

بجوان: سوف تفعل، لكن من هو الذي يشكو من كونه محجوباً؟  
اسأل نفسك هذا.

المريد: لم عليي فعل هذا؟ دع آتمان نفسها ترفع الحجاب.  
بجوان: إذا ما كانت آتمان هي التي تشكو من الحجاب، فإن آتمان سترفعه.

المريد: يُقال أن الكينونة الأسمى كلية الوجود، في هذه الحال فإن إدراكها بالتالي ينبغي أن يكون أمراً سهلاً. من ناحية ثانية، فإن النصوص المقدسة تُصرّح بأنه بدون منة المولى فإنه لا سبيل لعبادته حتى، هذا عدا

عن أن يُدرك. بالتالي، كيف للفرد وعبر جهده الخاص أن يُدرك الذات أو الكينونة الأسمى بدون منته؟

بجوان: لم يأتِ زمان على الكينونة الأسمى لم تكن فيه مُدركاً أو مجهولة، فهي واحد ومتماهية مع الذات. إن منته أو الـ أنوكراها هي نفسها كالبداهة الواعية لحضوره الإلهي، وبكلمات أخرى هي: *براسانتنا*، الاستنارة أو الكشف. إن جهل المرء بهذه البداهة الذاتية الكشف للمنة الإلهية ليس بدليل على النقيض. فإذا لم يرَ البوم الشمس التي تُتير كل الدنيا، فهل هذا خطأ الشمس؟ أليس الأمر مرده إلى بعض الخلل في بصر الطير؟ على نحو مماثل، إذا ما كان المرء الجاهل غير واعٍ بـ آتمان الدائمة السطوع أو الذات، هل يمكن عزو هذا إلى طبيعة آتمان نفسها؟ أليس الأمر نتيجة جهله هو؟ المولى الأسمى منةٌ خالدة، لهذا فإنه لا يوجد حقاً فعل فردي كوهب المنة؛ وكونها أبدية الحضور، فإن تجلي المنة ليس مقصوراً على أي زمان أو مناسبة معينتين.

إن التوجه لله وطلب منته هو بحد ذاته منة.

المريد: تستمر الشكوك في مُساورة المرء، لهذا تجدني أسأل كيف لهذا أن يحدث.

بجوان: ما أن يتبادر شك ويتم تبديده، حتى يتبادر شك آخر ويتم تبديده أيضاً وذلك فقط لفسح المجال أمام شك آخر وهكذا دواليك. لهذا فإنه لا إمكانية لتبديد كل الشكوك. عوضاً عن هذا قم بالبحث عمّن تتبادر له هذه الشكوك، شقّ الطريق إلى مصدر الشكوك وابقَ هناك، ومن ثم فإنها ستكف عن التبادر. بهذه الطريقة يجب تبديد الشكوك.

المريد: وحدها المنة يمكنها مساعدتي لفعل ذلك.

بجوان: المنة ليست شيئاً خارجياً عنك. في الواقع، فإن صميم رغبتك في نزول المنة راجع إلى المنة التي تعتمل فيك أصلاً.

إن المنة على تساوٍ مع منة الله أو المعلم.

المريد: ألا يعتمد النجاح في مسعانا على منة المعلم؟

بجوان: بلى، ولكن أليس قيامك بالرياضة الروحية بحد ذاته راجع إلى المنة؟ فثمارها تثبت منها تلقائياً. ثمة مقطع شعري في الـ كايغالا يقول: "واعجباها أيها الـ جورو، لقد كنتَ دائماً معي تراقبني تناسخاً تلو الآخر، وقد رسمتَ طريقي إلى أن تم خلاصي". الذات تتجلى خارجياً على هيئة جورو عندما تستدعي الحاجة لذلك، وإلا فإن الـ جورو يظل في الداخل ليفعل المطلوب.

الزائر: وجدت أثناء القيام بالرياضة الروحية الفعلية أنه لن يحالفني النجاح إلا إذا نزلت منة بجوان علي.

بجوان: منة الـ جورو دائماً حاضرة. أنت تتخيل أنها شيء ما موجود في مكان ما في أعالي السماء بحيث أن عليها أن تنزل، لكنها حقاً تكمن في داخلك، في قلبك، وفي اللحظة التي تؤثر فيها على خمود العقل أو اندماجه بالذات، عبر أي طريقة كانت، فإن المنة تجري باتجاهك متدفقة كما من نبع مُنفجر في داخلك.



## الفصل الثالث

### الحياة في الدنيا

ما أن يُقرر أي أحد المُضي قُدماً من النظرية نحو التطبيق وذلك بناءً على تعاليم بجوان، فإن السؤال الذي كان يميل للتبادر هو: كيف سيؤثر هذا على حياته في الدنيا. إن الهندوسية بخلاف كل من التعاليم الأساسية للمسيح وبوذا لا تُلزم بالضرورة المُريدين النشطين روحياً بالنكران الزُهدي للنفس، بل هي تُكرّم صفة رب المنزل وتنتهي على طريق العمل الصالح واصفةً إياه بأنه طريق مشروع. في الواقع فإنه وفق النظام التقليدي المعمول به في الهند القديمة كان لا بد للرجل كي يشد الرحال إلى حياة العزلة أن يكون أولاً قد أُملى واجباته كرب منزل ولديه ابن بالغ أو أبناء بالغين ينوبون عنه في تحمل مسؤوليات المنزل ثانياً.

على كل حال، فإن عقيدة اللاثوية إلى جانب طريق الاستفهام عن الذات (والذي سيتم شرحه في فصل لاحق) المعتمد عليها، قد تم الاعتراف به تقليدياً على أنه طريق مناسبة للزاهد في الدنيا. لهذا فقد كان من الطبيعي أن يقوم أشياع بجوان بسؤاله غالباً عما إذا كان يتوجب عليهم اعتزال العالم. في الوقت ذاته، قد كان سؤالهم مؤشراً مميزاً لكمية التصميم الروحي الذي لا يزال موجوداً في الهند المعاصرة، حيث أن اعتزال العالم لا يعني عيش حياة معتزلة في منزل صغير وحديقة خاصة كما قد يكون الأمر عليه في الغرب، أو حتى العيش بتقشف في الدير؛ بل المُضي مُتشرداً بلا مالٍ مُعتمداً على الصدقات لمأكله وكسائه ونومه في كهف أو معبد أو في أي ملاذ آخر مُمكن. في أيامنا الراهنة قد يحدث أن يقبل الـ *سالو هيبه* صغيرة من عائلته - كافية لشراء الطعام وأبسط الملابس، ولكن رغم هذا فهي عيشة صعبة ضنكة. رغم ما قيل، فقد كانوا

يطالبون على الدوام بأن يُسمح لهم باعتناق هذا النوع من الحياة إلا أن بجوان كان يرفض ذلك دوماً، فالعمل كان باطنياً ويجب أن يتم ضمن العقل أيّاً كانت ظروف الحياة.

بجوان: لمَ تظن أنك رب منزل؟ نفس الخاطرة التي تزعم بأنك سنياسي ستطاردك حتى لو مضيت قُدماً كـ *سنياسي*. سواءً استمرت في العيش كربّ منزل أو هجرت المنزل وذهبت للعيش في غابة، فإن عقلك سيطاردك. الأنا المغرورة هي مصدر الخاطرة، وهي التي تخلق الجسد والعالم وتحملك على الاعتقاد بأنك رب منزل. إذا ما اعتزلت العالم، فإن الأنا المغرورة ستقوم فقط باستبدال خاطرة الأسرة بالاعتزال وتلك الأجواء المنزلية بأجواء الغابة، إلا أن العقبات الفكرية ستظل دائماً تتّردّد بك، بل قد تتزايد بفعل المحيط الجديد. إن تغيير البيئة لا يساعد، فالعقبة الوحيدة التي يجب تجاوزها سواءً في المنزل أو الغابة هي العقل. إذا ما استطعت فعل هذا في الغابة، فلمَ ليس في المنزل؟ لهذا لمَ القيام بتغيير البيئة؟ يمكنك أن تبذل الجهود الآن حتى، أيّاً كانت البيئة.

المريد: هل من الممكن التلذذ بمقام *السمادي* بينما يكون المرء مُنهمكاً بأشغال الحياة؟

بجوان: إنه شعور "أنا أعمل" هو العائق. اسأل نفسك: "من هو ذا الذي يعمل؟" تذكر من تكون أنت ومن ثم فإن العمل لن يعيقك، بل سيمضي من تلقاء نفسه. لا تبذل أي جهد لا للعمل ولا لهجره، جهك هذا هو القيد بحد ذاته، فما هو مُقدر له أن يحدث فسيحدث. إذا كان مُقدراً لك أن تعمل فلن يكون بإمكانك تجنب هذا، ستكون مُجبوراً على الانخراط في ذلك. لذا دع الأمر للقوة الأعلى. حقاً إن الأمر ليس باختيارك لهجر العالم أو البقاء فيه.

عندما تحمل النساء جرار الماء فوق رؤوسهن، فإنك تراهن يتوقفن عن الكلام ويُصبحن أكثر حبيطةً مُثبتين عقولهن على الماء الذي في الجرار. على نحو مشابه، فعندما ينهمك حكيم في عملٍ ما، فإن عقله يبقى راسخاً في الذات والعمل الذي يقوم به لا يُستتته.

المريد: أو من أن العزوبية ضرورية لرب المنزل إذا ما أراد تحقيق تقدم في سيره على نهج الاستفهام عن الذات. هل أنا على صواب؟  
 بجوان: أولاً إبحث من هو الرجل ومن هي زوجته، ومن ثم فإن السؤال لن يتبادر.

المريد: أليست *براهماشاريا* (العزوبية) ضرورية لإدراك الذات؟  
 بجوان: *براهماشاريا* تعني "العيش في برّمان"، وليس لها أي صلة بالعزوبية كما هو شائع. إن *براهماشاريا* الحقيقي هو ذلك الذي يقيم في *برّمان* ويجد النعيم في *برّمان* الذي هو ذاته الذات. لماذا إذن عليه البحث عن مصادر أخرى للسعادة؟ في الواقع إنه ذلك الانبعاث من الذات هو السبب في كل التعاسة.

المريد: لكن أليست العزوبية ضرورية للـ *يوغا*؟

بجوان: إنها وسيلة واحدة لبلوغ الإدراك بين العديد غيرها.  
 المريد: بالتالي أليست أمراً لا غنى عنه؟ هل يمكن لرجل متزوج أن يدرك الذات؟

بجوان: بالتأكيد، فالمسألة مسألة لياقة عقلية. متزوجاً كان أم غير متزوج، فإن المرء بوسعه أن يدرك الذات لأن الذات هنا والآن. لو لم تكن الذات كذلك، ولو كانت شيئاً يتم إحرازه عبر بذل بعض الجهد في وقتٍ ما، شيئاً جديداً يُكتسب، حينها لن تكون جديرة بالسعي خلفها، فما هو غير طبيعي ليس بدائم. ما أقوله هو أن الذات موجودة هنا والآن وأنها هي وحدها تكون.

المريد: هل من الضروري اعتناق الـ *سنياسا* (نَذْرُ النَّفْسِ عَلَى الاعتزال أو التمسك) كي يتم إدراك الذات؟

بجوان: "سنياسا" تعني اعتزال المرء لشخصيته الفردية لا أن يَحْلِقَ شعر رأسه ويضع عليه أسماً برتقالية اللون. قد يكون المرء رب منزل إلا أنه إذا لم يتصور نفسه على أنه كذلك فهو سنياسن إذن. من ناحية أخرى، قد يرتدي المرء أسماً برتقالية ويجول هنا وهناك، ولكن طالما أنه يظن نفسه سنياسن فهو لن يكون كذلك. أن يفكر المرء في اعتزاله يُبْطِلُ الغرض من الاعتزال.

ما الذي تعنيه بـ "اعتناق الـ *سنياسا*"؟ هل تعتقد أن الأمر يعني أن تترك بيتك أو ترتدي ملابس بألوان معينة؟ أينما ذهبت، حتى لو حَلَقْتَ في السماء، ألن يذهب عقلك معك؟ أو هل بإمكانك أن تتركه ورائك وتذهب بدونه؟

لَمْ يَنْبَغِي أَنْ تَتَدَاخَلَ وَظِيفَتَكَ أَوْ واجباتك في الحياة مع رياضتك الروحية؟ على سبيل المثال، هناك فرق بين نشاطاتك التي تُؤَدِّيها في المنزل وتلك في العمل، فأنشاء تَأْدِيَة واجبات عملك وطالما أنك تقوم بأداء واجبك فأنت منفصل وغير مَعْنِي بما سينتج عن عملك سواء أَسِيدِرَ ربحاً على رب عملك أو يتسبب في خسارة له. من ناحية أخرى، فإنك تقوم بأداء واجباتك في المنزل بتعلق وأنت قلق طوال الوقت عمّا إذا كان عملك سيعود عليك وعلى عائلتك بالنتفع. لكنه من الممكن أن تقوم بأداء كل أنشطة الحياة بدون تعلق وأن تعتبر الذات فقط هي الحقيقية. من الخطأ الاعتقاد بأنه إذا كان المرء راسخاً في الذات، فإنه لن يتم تأدية واجباته الحياتية كما يجب. الأمر مثل ممثل يتقمص الدور الذي يلعبه ويمثله بل ويشعر به، لكنه يعلم حقاً في قرارة نفسه أنه ليس تلك الشخصية بل شخصاً آخر في الحياة الواقعية. على نحو مماثل، لَمْ عَلَى الوعي

الجسماني أو الشعور بـ "أنا أكون الجسد" أن يُعطلك حالما تعلم يقيناً أنك ليس الجسد بل الذات؟ أياً ما يفعله الجسد لا يجب أن يقوم بزحزحتك عن استيطانك في الذات. إن استيطاناً كهذا لن يتعارض أبداً مع اضطلاعك المُحكّم والمُتقن بأي من الواجبات التي تقع على كاهل الجسد تماماً كما الحال مع الممثل حيث أن وعيه بهويته الحقيقية في الحياة لن يتعارض مع تمثيله لدورٍ ما على خشبة المسرح.

المريد: لقد تم الإيضاح وبكل تأكيد بأنه طالما أن هناك ذرةً من الاعتقاد "أنا أكون الفاعل"، فإنه لن يكون هنالك إدراك؛ لكن هل من الممكن لربّ منزل يتوق بصدق إلى الحرية أن يقي بواجباته بدون هذا الاعتقاد؟

بجوان: ليس هناك مبدأ يقول بأن الأفعال يمكن تأديتها على أساس الاعتقاد "أنا الفاعل" فقط، ولهذا فإنه لا داعٍ للسؤال عما إذا كان يمكن القيام بالأفعال وأداء الواجبات بدون هذا التصور. خذ مثلاً عاماً على هذا، ترى مُحاسباً يعمل طوال النهار في مكتبه مُتفرغاً بكل عناية لواجباته، قد يبدو للمُراقب بأنه يأخذ على عاتقه كل المسؤوليات المالية للمؤسسة، ولكن مع درايته بأنه لا يتأثر شخصياً بعوائد ومدفوعات المؤسسة، فهو يبقى غير مُتعلق وحرٍ من الشعور بـ "أنا الفاعل" أثناء قيامه بعمله، علماً أنه يقوم في ذات الوقت بأداء عمله بشكل مُتقن تماماً. وعلى نحو مشابه لهذا، يمكن لرب المنزل الحكيم الذي يتوق بجدية إلى الخلاص أن يقوم بتأدية واجباته في الحياة (والتي بعد كل شيء هي قدره) بكل تجرد، معتبراً نفسه مجرد أداة لهذا الغرض. إن عملاً كهذا لا يُشكّل عقبةً على طريق المعرفة، فما كانت معرفة المرء لحقيقته لتمنعه من أداء واجباته في الحياة. المعرفة والعمل ليسا ضد بعضهما البعض أبداً، فإدراك

أحدهما لا يُصعب من أداء الآخر، ولا يُصعب أداء أحدهما من إدراك الآخر.

المريد: ما مغزى حياة رب المنزل ذو العقل الروحي الذي عليه أن يكرس جُلّ وقته لمجرد كسب العيش لدعم عائلته، وما هي الفائدة المشتركة التي يتأتيان عليها؟

بجوان: إن رب منزل كهذا يقوم بأداء واجباته ويعمل لدعم عائلته غير مبالٍ على الإطلاق براحته الجسمانية في الحياة، ينبغي اعتبار ما يقوم به نُكراناً للنفس وُضع لخدمة عائلته والتي احتياجاتها هي قدره الذي عليه أن يليه. على كل حال، ربما يسأل سائل ما الفائدة التي يجنيها رب منزل كهذا من العائلة. الجواب هو بأنه لا فائدة له يجنيها من العائلة فقد قام بواجباته تجاههم كوسيلة للرياضة الروحية، وحيث أنه يحقق في النهاية الرضا التام بإدراك النعيم المطلق للخلاص الذي هو الهدف المطلق لكل طريق والمكافأة الأعلى، لهذا فهو يقف مُستغنياً عن أي شيء يأتيه من أفراد عائلته أو من حياته العائلية.

المريد: كيف لرب المنزل المنهمك على الدوام في أداء واجباته المنزلية والتي من الطبيعي أن تُتَبَط من هِمّة الاضطلاع بعملٍ أعظم، أن يُحرز السكنينة الأسمى بالانسحاب إلى الباطن والتحرر من ضغط القيام بهذه الأعمال حتى عندما يكون في خِصَم انشغاله بها؟

بجوان: الأمر يبدو هكذا فقط للمشاهد الذي يرى بأن رَبَّ المنزل المُستتير مأخوذ بواجباته المنزلية، ولكن رغم أنه قد يبدو للعيان مُنهمكاً بواجباته المنزلية فهو ليس حقاً مُنشغلاً بأي عمل على الإطلاق. إن نشاطه الخارجي لا يمنعه من إدراك السكنينة الكاملة لانسحاب الحواس، كما أنه حرٌّ من الضغط الحثيث حتى في خِصَم قيامه بنشاطاته.

الزائر: هل يتعين عليّ التقاعد عن العمل واللجوء إلى قراءة كُتبٍ عن الـ فيديانتا؟

بجوان: لو كان للموجودات وجود مستقل، أي أنها توجد بشكل مستقل عنك، حينها قد يكون من الممكن أن تتقاعد عنها؛ لكن الموجودات ليست كذلك، فهي مَدِينَةٌ بوجودها لك، لخواطرك، لذا أين لك أن تتقاعد عنها؟ فيما يتعلق بقراءة كتب حول الـ فيديانتا، يمكنك المضي في قراءة الكم الذي تشاء إلا أنها ستخبرك فقط بأنه عليك إدراك الذات في داخلك. لا يمكن العثور على الذات ضمن الكتب، عليك بإيجادها بذاتك في ذاتك.

المريد: هل نذر النفس على التزام الصمت أمر مفيد؟

بجوان: الصمت الداخلي هو استسلام ذاتي، وهذا يعني العيش بدون الإحساس بـ الأنا المغرورة.

المريد: هل الخلوة ضرورية للـ ستياسين؟

بجوان: الخلوة تكمن في عقل الإنسان، فقد يكون المرء غارقاً في الحياة ومع هذا تجده يحافظ على سكينته تامة لعقله، إن فرداً مثل هذا هو دوماً في خلوة. وقد تجد شخصاً آخر يعيش في الغابة ولكنه لا يزال غير قادر على التحكم بعقله، فلا يسمعك القول عنه أنه في خلوة. الخلوة سلوكٌ عقلي، فالمرء المتعلق بموجودات الحياة لا يسعه أن يكون في خلوة أياً كان المكان الذي يكون فيه، بينما المرء المتجرد فهو دائماً في خلوة.

كما يقتضي هذا، فإن بجوان لم يوافق على نذر التزام الصمت، فالناس في بعض الأحيان يأخذون على أنفسهم هذا النذر كي يخلقوا نوعاً من الخلوة في المجتمع. لقد علم بجوان بأن الصمت الحقيقي هو العقل الساكن. إذا ما كان العقل نشطاً فلا فائدة من عدم الكلام. المطلوب هو التحكم بالخاطرة والكلام.

صَمَت الخلوۃ إلزامي، والحديث المضبوط في المجتمع مكافؤ للصمت حيث أن المرء يتحكم بكلامه. لا بد أن يكون هناك مُتَكَلِّم قبل أن يكون هناك كَلام؛ أما إذا كان عقل المُتَكَلِّم مشغولاً بطريقةٍ مختلفة، فإن جِماح الكلام يُكبح حينها. إذا ما تم توجيه العقل للباطن فإنه يغدو نشيطاً بطريقةٍ مختلفة وغير تواق للحديث. الغرض من نذر التزام الصمت هو الحد من الأنشطة الذهنية المُستفزة عبر الكلام، أما إذا وقع العقل تحت السيطرة، فهذا النذر يصبح غير ضروري والصمت يغدو أمراً طبيعياً.

إلى أن يصبح العقل ناضجاً لفعل هذا، فإنه من غير الممكن حتى هجر أي نشاط.

المريد: كيف للعمل أن يساعد؟ ألا يزيد ببساطة من الحِمل الثقيل الموجود أصلاً على عواتقنا والذي يجب التخلص منه؟  
 بجوان: العمل الذي يُؤدى بلا أنانية يُطهر العقل ويساعده على توطيد نفسه في التأمل.

المريد: لكن لنفترض أنه بوسع المرء التأمل باستمرار بدون أداء

عمل؟

بجوان: حاول وانظر، فنوازعك الكامنة لن تدعك تفعل هذا، فالتأمل يتقدم فقط خطوة خطوة نتيجة ضعف هذه النوازع بالترجيح وذلك بواسطة مينة الـ جورو.

حتى في حالة المرء الذي لَبَّى قدره كرب منزل وقام بتربية أبنائه ليحلوا مكانه، فحقق الشرط الواجب لاعتزال العالم وفق العُرف الهندي التقليدي؛ فإن بجوان ما كان ليمنح موافقته على الاعتزال.



المريد: لا أشعر بالسعادة مع عائلتي، لم يتبق لي شيء لأفعله هناك، لقد قمت بأداء ما علي القيام به والآن هناك أحفاد وحفيدات في المنزل. هل علي البقاء هناك أم تركه والرحيل؟

بجوان: عليك فقط البقاء حيثما أنت الآن، لكن أين أنت الآن؟ هل أنت في البيت أو هل البيت في داخلك؟ هل هناك أي بيت بمعزل عنك؟ إذا ما أصبحت مستوطناً في مكانك فإنك ستجد أن كل الأشياء قد امتزجت فيك، وأسئلة من هذا النوع لن تعود ضرورية.

المريد: إذن يبدو أنه علي البقاء في البيت؟

بجوان: عليك البقاء في حالتك الحقيقية.

كان يحدث في بعض المرات أن يسأل سائلٌ بجوان لماذا هو نفسه قد اعتزل الحياة الدنيا ومضى قُدماً إلى حياة النكران الزهدي، وذلك خصوصاً عندما كان لا يبدي لأشياعه موافقته على اتباع هذا الطريق مُجيباً إياهم بأن هذا كان قَدْرُه ليس إلا. يجب أن لا ننسى بأن الطريق التي علمها بجوان، أي النهوض بالاستفهام عن الذات بينما المرء لا يزال فاعلاً في الحياة، هي طريقة جديدة قد ابتكرها هو ليلبي بها احتياجات عصرنا، فهو نفسه كان يجب أن يترسخ في الإدراك قبل أن يتسنى له توطيد الطريق المؤدي إليه.

المريد: هل بإمكانني الانهماك في الرياضة الروحانية حتى بينما

أنا فاعلٌ في الحياة الدنيوية؟

بجوان: نعم بالتأكيد، على المرء فعل هذا.

المريد: ألا تُشكل الحياة الدنيوية عقبة؟ ألا تحث كل الكتب على

الاعتزال؟

بجوان: الدنيا توجد في العقل فقط حيث أنها نفسها لا تتحدث

قائلة: "أنا الدنيا"، فلو فعلت، لكانت ستكون دائماً حاضرة حتى في نومك،

وحيث أنها ليست حاضرةً في النوم فهي غير دائمة، وكونها غير دائمة فهي لا حقيقة لها، وكونها لا تملك حقيقة فإنها تخبو ببساطة بواسطة الذات. وحدها الذات دائمة. الاعتزال يعني عدم تماهي الذات مع غير الذات. باختفاء الجهل، فإن غير الذات تفنى عن الوجود. هذا هو الاعتزال الحقيقي.

المريد: لمَ إذن هَجرت منزلك في شبابك؟

بجوان: لقد كان هذا (قَدري) الـ برارابدا. إن مَسار المرء في هذه الحياة تُمليه عليه الـ برارابدا خاصته، والـ برارابدا خاصتي تكمن في هذا الدرب، وخاصتك تكمن في ذاك الدرب.

المريد: أليس عليي أيضاً الاعتزال؟

بجوان: لو كان هذا هو الـ برارابدا خاصتك، فإن السؤال لن يتبادر أصلاً.

المريد: أفهم من هذا بأنه عليي إذن أن أبقى فاعلاً في الحياة وأنخرط في الرياضة الروحانية في آنٍ معاً. ولكن إذا فعلت هذا، هل بإمكانني بلوغ الإدراك في هذه الحياة؟

بجوان: لقد سبق وأن تمت أُجيب على هذا السؤال. أنت دائماً الذات، والجهود الصادقة لا تفشل أبداً، والنجاح سيكون حليفها.

فيما يتعلق بالزوار الأوروبيين وبعض الهنود، فقد كان السؤال المُعاكس هو الذي يتبادر لأذهانهم - فلم يسألوا عن مدى الحاجة بهم لاعتزال العالم بل ما الذي يتوجب عليهم فعله لمساعدة العالم. إن الوجود في العالم وليس لأجل العالم، متبوعاً بالبحث الروحي الداخلي مشفوعاً بالتماشى مع ظروف الحياة في الخارج، بدا بالنسبة لهم وكأن فيه الكثير من الإنسحاب. إلى حد ما، فإن أجوبة بجوان تفاوتت وفق فهم السائل، أما إذا كان الأخير مُهيئاً للنهل الروحي، فقد كان يوجهه إلى الباطن.

المريد: لم العالم مُغلفٌ بالجهالة؟

بجوان: إهتم بشؤونك ودع العالم يهتم بشؤونه. ما هي ذاتك؟ إذا كنت أنت الجسد فثمة عالم مادي، أما إذا كنت الروح فهناك الروح فحسب.

زائر: ما رأيك بالإصلاح الإجتماعي؟

بجوان: الإصلاح الذاتي يفضي تلقائياً إلى الإصلاح الاجتماعي. قُم بالإصلاح الذاتي وسيعتني الإصلاح الاجتماعي بنفسه.

على كل حال، فإن أولئك الذين طرحوا هذا النوع من الاعتراض كانوا غالباً ذي طبيعة متفانية، أي تلك الطبيعة التي تتطلب القيام بالعبادات والطاعات واعتناق دين ثنوي، وفي حالات كهذه، فإن بجوان كان يُلزم بالاستسلام لله. كل ما هو مطلوب أن يستسلم المرء لله وأن يلعب دوره في الحياة بثقة تامة. كان هذا هو كل المطلوب، والمرء عندئذٍ ليس مسؤولاً عن النتيجة.

بجوان: سأطرح عليك سؤالاً الآن، أين يضع المرء أمتعته عندما يستقل القطار؟

المريد: إما في المقصورة أو في حقيبة الأمتعة.

بجوان: هو لا يحملها على رأسه أو يضعها في أحضانه بينما يكون على متن القطار؟

المريد: وحده الأحمق سيفعل ذلك.

بجوان: إنه من الحمق أكثر بألف مرة أن تحمل أعباءك حالما تكون قد اضطلعت بالبحث الروحي، سواءً سلكت طريق المعرفة أو التبعيد.

المريد: ولكن أيكممني إلقاء كل مسؤولياتي، كل التزاماتي؟

بجوان: هل تتذكر برج المعبد؟ ثمة الكثير من التماثيل تراها  
مَنحوتة عليه، أليسوا هناك؟ حسناً، هناك أربعة تماثيل في قاعدة البرج،  
واحد عند كل ركن. هل رأيتهم؟  
المريد: بلى.

بجوان: إذن، سأقول لك أن البرج العظيم هذا تسنده هذه التماثيل  
الأربعة.

المريد: أتى يكون هذا ممكناً؟ ما الذي يعنيه بجوان؟  
بجوان: أعني أنه لا حُقم أعظم من القول بأنك تحمل كل أعباء  
وأحمال ومسؤوليات الحياة. إن رب الكون يحمل كل الحمولة، أنت تتوهم  
فقط أنك تفعل هذا. يمكنك تسليم كل أحمالك إليه، فأيماً ما يجب أن تفعله  
ستكون أداةً لفعله في الوقت المناسب. إياك أن تتخيل أنك لا تستطيع فعله  
إلا إذا كانت لديك الرغبة لفعله، فليست هي الرغبة من تهيك القوة  
اللازمة، القوة هي قوة الله.

كان يسيطر على السائل أحياناً قلقٌ أكبر على العالم ورغبة أقوى  
لتحمل المسؤولية تجاهه.

المريد: هلا أعطانا بجوان رأيه حول مستقبل العالم وخصوصاً  
أننا نعيش في أوقات عصبية؟

بجوان: لمَ عليك القلق حول المستقبل؟ أنت لا تعرف الحاضر  
بشكل ملائم حتى. إعتنِ بالحاضر والمستقبل سيعتني بنفسه.  
المريد: هل سيدخل العالم قريباً عصراً جديداً من الصداقة  
والتعاون المشترك أو أنه سينجرّ وراء الفوضى والحروب؟

بجوان: واحد فقط هو من يحكم العالم وهي مهمته أن يعتني به. ذلك الذي وهب الحياة للعالم يعلم كيف يعتني به أيضاً، فهو الذي يحمل أعباء هذا العالم، ليس أنت.

المريد: ومع هذا فإذا ما نظر المرء حوله بعينين نزيهتين، فإنه من الصعب أن يرى من أين تنزل هذه الرعاية المتلطفة.

بجوان: كما أنت، كذلك هو العالم. بدون أن تفهم ذاتك، ما فائدة المحاولة لأن تفهم العالم؟ هذا هو السؤال الذي لا حاجة لمريدي الحقيقة أن يقلقوا حياله. الناس تهدر طاقاتها على أسئلة كهذه، أعرث على الحقيقة أولاً الكامنة فيك، ومن ثم ستكون في موقع أفضل لفهم الحقيقة الكامنة في العالم والذي أنت جزء منه.

قام زائر آخر بالطلب من بجوان بأن يُهديه ديباجة لكتاب كان قد ألفه تحت عنوان *قَدَر الحرية The Destiny of the Freedom* أو شيئاً ما من هذا القبيل، وقال بأن شخصاً ما آخر قد وافق على كتابة ديباجة للكتاب لكنه سيكون مُمتناً إذا ما كتبَ بجوان كلمات قليلة تحمل نَفحاتٍ من رسالته وبركته، فقام بجوان بإخباره بأنه لم يسبق له وأن فعل شيئاً كهذا وبالتالي فإنه لا يجب أن يكون من المُتوقع أن يقوم بفعل هذا الآن. ألح الزائر في طلبه على بجوان، وكان أن قد أخذت على نفسي المشقة لأقنعه بأن كل محاولاته ستبوء بالفشل. ومن ثم بدأ القول بأن العالم يحتاج بشدة إلى رسالة روحية، وأن شباب الهند والعالم لم تتم تنشئتهم كما يجب فالدين ليس مغروساً في دواخلهم، وهلم جرّه. فكان عليّ أن أقول له أن بجوان أخبر ذات مرة رجلاً يريد أن يُصلح العالم بأن عليه أن يعرف ذاته أولاً ومن ثم سيكون بإمكانه أن يجول العالم مُصلحاً وذلك في حال ظل يرأوده الشعور للقيام بهذا. استمر الزائر بالجدال ولكن لحسن الحظ فقد كان الوقت قد حان للـ *بَارَايانا* (تلاوة الـ *فيداز*) وبالتالي توقف عن مسعاه.

المريد: هل علي أن أحاول لمساعدة العالم الموحج؟  
 بجوان: القوة التي خلقتك قد خلقت العالم أيضاً. إن كان الله قد خلق العالم، فالأمر يقع عليه لأن يعتني به، وليس عليك.

رغم ما سبق، فإن هذا لا يعني أن تعاليم بجوان تساهلت مع برودة وقسوة المعاناة البشرية، فأولئك الذين كانوا في كدر كان لا بد من تقديم يد العون لهم، وكان لا بد أن يتم ذلك بواسطة روح بشرية. الذي كان محظوراً حقيقة هو فقط إيلاء النفس تلك الأهمية المتأصلة فيها للاضطلاع ببعض من اختصاصات القوة الإلهية، وهذا قد تم إيضاحه في المقطع التالي:

المريد: لكننا نرى الألم في العالم، نرى إنساناً جائعاً، إنها حقيقة ملموسة، فالأمر في غاية الحقيقة لديه. هل علينا أن نسميه حلماً وأن لا نكثر لمعاناته؟

بجوان: من وجهة نظر نيانا أو الحقيقة، فالمعاناة التي تتحدث عنها هي حلم بكل تأكيد، حيث أن هذا العالم الذي يعيش المعاناة هو جزء متناه في الصغر للغاية. في الحلم الذي تراه وأنت نائم، تكون أنت نفسك جائعاً وترى الآخرين أيضاً يتضورون جوعاً، فنقوم بإطعام نفسك ومتحركاً بعامل الشفقة نقوم بإطعام الآخرين. طالما أن الحلم قائم، فكل المعاناة تكون حينها حقيقية كما الحال مع المعاناة التي تراها في العالم الآن. ولكن فقط عندما تستيقظ تكتشف أنها غير حقيقية. قد تكون قد أكلت بشكل مُتخم قبل أن تخلد للنوم، ولكنك مع هذا تحلم أنك كنت تعمل بشكل مُضن تحت الشمس طوال اليوم وأنت متعب وجائع، ومن ثم تستيقظ لتجد معدتك ممتلئة وأنت لم تتحرك بعد من سريرك، ولكن كل هذا لا يعني القول بأنه وبينما أنت في الحلم يمكنك التظاهر بأن المعاناة التي تشعر بها فيه غير حقيقية، فالجوع الذي تشعر به في الحلم يجب تلبيته وذلك

بواسطة طعام اللحم، والكائنات المرافقة للحلم والتي تجدها جائعة في اللحم ينبغي تزويدها بطعام اللحم. لا يمكنك أبداً الخلط بين الحالتين الاثنتين، الحلم واليقظة. على نحو مشابه، فإلى أن تبلغ مقام الإدراك وتستيقظ من هذا العالم الوهمي الظاهري، عليك القيام بالخدمة الاجتماعية وذلك بتقليص حجم المعاناة حيث تراها. ولكن مع هذا فإنه عليك أن تقوم بها بدون أهانكارا، أي بدون الشعور بـ: "إنه أنا الذي يقوم بفعلها"، وعضاً عن ذلك يجب أن تشعر: "أنا أداة الله." على نحو مماثل، عليك أن لا تتخذع وأن تفكر: "أنا أساعد إنساناً أدنى مني، فهو يحتاج المساعدة وأنا في موقع يؤهني لإعطائها. أنا أعلى وهو أدنى". يجب عليك أن تساعد كوسيلة لعبادة الله فيه. جميع أنواع هذه الخدمة هي خدمة للذات، وليس لأي أحد آخر. أنت لا تساعد أي أحد، بل تساعد ذاتك فقط.

عموماً، فإن بجوان لم يُحبذ لأولئك الذين كرسوا أنفسهم للبحث عن الذات العمل بالأنشطة السياسية .

المريد: أليس من واجبنا أن نكون وطنيين؟

بجوان: إن واجبك أن تكون فقط، وأن لا تكون هذا أو ذاك. "أنا أكون تلك الأنا أكون" تختصر كل الحقيقة، وعبارة "كُن ساكناً." تختصر الطريقة.

على كل حال، عندما كان يتقرب منه أولئك المنخرطين في الحياة السياسية، كان ببساطة ينصحهم بأن يستمروا بعملهم هذا بروح الخدمة والاستسلام، ساعين أن يستبعدوا كل الأنوية المغرورة من أعمالهم.

المريد: هل الرغبة في نيل سَوَاج (الاستقلال) رغبة صحيحة؟

بجوان: لا شك أن رغبة كهذه تنشأ باهتمام ذاتي، إلا أن النشاط العملي لبلوغ الهدف يُوسع بشكل تدريجي أفق تلك النظرة، وبالتالي يغدو الفرد مندمجاً في الوطن. هذا الاندماج للشخصية الفردية أمرٌ مُحبذ والـ كارما التي هي موضع النقاش تكون نُشكاما (غير أنانية).

المريد: إذا ما تم منح الحكم الذاتي للهند بعد نضال طويل وتضحيات عظيمة، أليس هذا مُبرراً لأن يُسرّ المرء بالنتيجة وأن يكون مُتحمساً لها؟

بجوان: في سياق عمل المرء، فإنه يتعين عليه أن يُسلم ذاته للقوة الأعلى والتي ينبغي إبقاء عظمتها في العقل وأن لا نرحزح أنظارنا عنها أبداً. عندئذٍ كيف يمكن للمرء أن يكون مسروراً؟ على المرء أن لا يُلقي بالاً لنتيجة أفعاله، ومن ثم فإن الـ كارما وحدها تغدو لا أنانية.

كان غاندي قد سلم نفسه لله ويعمل وفق هذا بدون أنانية، فهو لا يُلقي بالاً للنتائج ولكنه يرضى بها عندما تُثمر، يجب أن يكون هذا سلوك الناشطين الوطنيين.

سائل: هل سيُكَلل العمل بالنجاح آنذاك؟

بجوان: هذا السؤال يتبادر لأن السائل لم يُسلم نفسه.

سائل: أليس علينا إذن أن نفكر بالعمل ونعمل لصالح رفاه

الوطن؟

بجوان: أولاً اعتنِ بنفسك والباقي سيتبع ذلك بشكل طبيعي.

سائل: أنا لا أتكلم لغاية شخصية بل لأجل الوطن.

بجوان: أولاً استسلم ومن ثم انظر. الشكوك تتبادر بسبب غياب

الاستسلام، إظفر بالقوة عبر الاستسلام ومن ثم فإنك ستجد محيطك يتطور

إلى درجة القوة التي نلتها.



أولئك الأشخاص الذين تدفعهم طبيعتهم إلى القيام بالنشاطات والأعمال ويجدون من الصعوبة بمكان فهم بأنه لا آخر هناك روحانياً، تجدهم يتسائلون ألا يشوب مسعاهم نحو بلوغ الإدراك خاصتهم بعض من الأنوية المغرورة، بدون فهم بأن مجرد المصطلح "خاصتهم" لا يُحتكم إليه وأنه ليس مجرد مفهوم الأنوية المغرورة بل الأنا المغرورة نفسها يجب التخلي عنها. قد سئل بجوان نفسه لماذا لا يجول الأصقاع مُبشراً الناس.

المريد: لمَ لا يجول بجوان مبشراً بالحقيقة بين عموم الناس؟  
 بجوان: كيف لك أن تعلم أنني لا أفعل هذا؟ وهل التبشير اعتلاء منصة والخطبة بالناس من حولها؟  
 التبشير تواصلٌ بسيط للمعرفة ويمكن أن يتم بصمتٍ أيضاً. ما ظنك في امرئ يستمع لخطبة لساعة من الزمان ومن ثم يمضي بدون أن يكون متأثراً بها ناهيك عن أن تغير حياته؟ قم بمقارنة هذا الشخص بآخر يجلس في حُصرة مقدسة ويغادر بعد بعض الوقت وقد تغيرت نظرته تجاه الحياة كلياً، فأيهما أفضل: أن تُبشّر بصوتٍ عالٍ بدون تأثير أو أن تجلس بصمتٍ مرسلاً قوة حدسية تعتمل في الآخرين؟ من جديد، كيف يتبادر الكلام؟ أولاً، هنالك معرفة نظرية (غير متجلية)، ومن هنا تنبعث الأنا المغرورة التي بدورها تبعث الخواطر والكلمات تباعاً. بالتالي:

### المعرفة النظرية

### الأنا المغرورة

## الخواطر

### الكلمات

لهذا فإن الكلمات هي أبناء أحفاد المصدر الأصلي، وعليه فإذا كان بإمكان الكلمات أن تُحدث تأثيراً كهذا، كم سيكون إذن تأثير التبشير من خلال الصمت.

بجوان أجاب أولئك الذين شكّوا في أهمية الإدراك بأن الإدراك أعظم مساعدة يمكنهم تقديمها للآخرين، وبجوان نفسه كان البرهان الحي على هذا وذلك من خلال أعداد الناس الذين تم مساعدتهم لأعمق أعماق كيانهم، فانتشلوا من الحيرة والأسى ووضَعوا على طريق صلابة من السكينة والفهم وذلك عبر التأثير الصامت لمنتته. ومع هذا، فقد ذكرهم في الوقت ذاته بأنه ما من آخرين لمساعدتهم وذلك من وجهة نظر المعرفة.

المريد: هل يساعد إدراكي الآخرين؟

بجوان: أجل بكل تأكيد، وهي أفضل مساعدة ممكنة، ولكن لا يوجد آخرين حقاً لمساعدتهم، فالكائن المُدرك للذات يُبصر الذات لا غير وذلك كما الصائغ عندما يُثمن الحلي المتنوعة المسبوكة من الذهب فإنه يرى الذهب فقط. إن الصور والكائنات المستقلة توجد فقط طالما أنك تماهي ذاتك مع الجسد، ولكن عندما تسمو فوق الجسد، فإن الآخرين يختفون جنباً إلى جنب مع الوعي بالجسد.

المريد: هل الأمر كذلك مع النباتات والأشجار أيضاً؟

بجوان: وهل يوجد أي منهم بمعزل عن الذات؟ تحرّى عن ذلك. أنت تظن أنك تراهم، فالخاطرة تجلّت من عندك. جدّ من أين تتنبق الخاطرة ومن ثمّ فإنّ الخواطر ستتوقف عن التبادر ووحدها الذات تبقى. المرید: أنا أفهم هذا بشكل نظري لكنهم لا يزالوا هناك.

بجوان: نعم، فالأمر مثل عرض سينمائي، فهناك ضوء على الشاشة والخيالات التي تمر عليها مُمثّلة قصة ما تُبهر الحضور. لنفترض الآن أن ثمة حضور آخر معروض على الشاشة في قصة الفيلم هذه، حينها ستتم رؤية المشاهد والمشهد كليهما على الشاشة. طبّق هذا على نفسك، فأنت الشاشة، الذات خلقت الأنا المغرورة والتي بدورها لديها تداعياتها من الخواطر التي يتم عرضها كالعالم، الأشجار، النباتات الخ والتي تسأل عنها. في واقع الأمر فإنّ جميع هؤلاء ليسوا سوى الذات. إذا ما رأيت الذات فإنّك ستجدها الكل وفي كل مكان ودائماً. لا شيء سوى الذات يوجد.

قد تم توضيح الشيء ذاته للسيد إيفانز ونتر الكاتب المعروف عن التيبّيت.

إ.و: يقولون بأنّ هنالك العديد من القديسين في التيبّيت الذين يبقون في خلوة ومع هذا لا زالوا مُفيعدين للعالم. كيف يمكن هذا؟  
بجوان: الأمر ممكن، فإدراك الذات هو أعظم خدمة يمكن أن تُسدى للبشرية. لهذا يُقال أنّ القديسين هم عَوْنٌ حتى لو مكثوا في الغابات، ولكن يجب التذكّر بأنّ الخلوة لا يتم إيجادها في الغابات فقط، بل يمكن الحصول عليها في المدينة وفي زخم الانشغالات الدنيوية أيضاً.

إ.و: أليس من الضروري أن يختلط القديسين بالناس وأن يقدموا لهم يد العون؟

بجوان: الذات وحدها هي الحقيقة، بينما العالم وما تبقى فليسوا كذلك. إن الكائن المُدرك للذات لا يرى العالم كشيء مختلف عن ذاته.

إ.و: هل يعني هذا بالتالي أن إدراك المرء يقود إلى ارتقاء الجنس البشري دون أن يكونوا واعين بهذا؟

بجوان: نعم، فالعون غير قابل للإدراك بالحواس لكنه يظل موجوداً. المرء المدرك يساعد كل الجنس البشري ومع هذا بدون علمهم.

إ.و: ألا يكون من الأفضل أن يختلط بالآخرين؟  
بجوان: لا آخرين للاختلاط بهم، الذات هي الحقيقة الواحدة والوحيدة.

إ.و: لو كان هنالك مائة امرئٍ مُدرك للذات، ألا يكون هذا أعظم لصالح العالم؟

بجوان: عندما تقول "الذات" فأنت تشير إلى اللامحدود، ولكن عندما تضيف "امرئ" إليها، فأنت تقيد المعنى. هنالك فقط ذات واحدة لا محدودة.

إ.و: نعم أنا أرى. شري كرشنا قال في الـ كيبيتا بأنه يجب تأدية العمل بدون تعلق وأن عملاً مثل هذا هو أفضل من عدم العمل. أهذه هي الـ كارما يوغا؟

بجوان: ما قيل يتم أقلمته مع طبيعة المستمع.

إ.و: في أوروبا لا تستطيع الناس أن تفهم بأن المرء يمكن أن يساعد وهو في خلوة. هم يتخيلون أن الأناس الفاعلين في الحياة فقط يمكنهم أن يكونوا مُفيدين. متى تنتهي هذه الحيرة؟ هل سيستمر العقل الأوروبي في شق طريقه بين الأحوال أو هل سيدرك الحقيقة؟

بجوان: لا تقلق أبداً حول أوروبا أو أميركا، فأين يوجدون سوى في العقل؟ أدرك ذاتك ومن ثم فإن الجميع سيكون مُدركاً. لنقل أنك رأيت مجموعة من الناس في الحلم ومن ثم استيقظت وأخذت تسترجع حلمك، هل تحاول أن تجد إذا ما كان الأشخاص الذين خلقتهم في حلمك قد استيقظوا أيضاً؟

الكائن المُدرك للذات لا يمكن أن يفيد العالم، فمجرد وجوده هو الفائدة الأسمى.

## الفصل الرابع

### الـ جورو (المُعَلِّم الروحي)

لطالما تم التأكيد على أن ممارسة الرياضة الروحية ليست هي فقط المطلوبة لكي يتم بلوغ الإدراك، بل نَهْلُ الإرشاد أيضاً. ضمن هذا السياق وكما في كل الأشياء، فإن بجوان أسبغ على العقيدة معناها الأعمق. في الواقع، لقد أصبحت العقيدة بشكل أساسي نفسها نفس العقيدة المسيحية التي تقول بأن "المسيح في داخلك" أو نظيرتها البوذية التي تتادي بـ "العقل البوذي" الذي يجب إدراكه في داخل المرء.

المريد: قال بجوان بأنه لا يمكن للمرء إدراك الذات بدون مِنَّة الـ جورو. ما الذي يعنيه بهذا بالضبط؟ من هو هذا الـ جورو؟  
بجوان: انطلاقاً من طريق المعرفة فهو الحال الأسمى للذات، وهو مختلف عن الأنا المغرورة التي تُسميها ذاتك.

المريد: في حال كان هو الحال الأسمى لذاتي أنا، ما الذي يعنيه بجوان إذن بأنه لا يمكنني الوصول إلى هذه الحال بدون منة الـ جورو؟  
بجوان: الأنا المغرورة هي الشخصية الفردية وهي ليست كَرَبَ الجميع. عندما تتقرب هذه الأنا لله بتفانٍ مخلص، فإنه وبمنته يتخذ إسماً وصورة ويأخذها إلى نفسه، لهذا فهم يقولون بأن الـ جورو ليس سوى الله، إنه التجسد البشري للمِنَّة الإلهية.

قد يعني هذا بالتالي بأن الـ جورو هو الله أو الذات وقد تجلّت بشكل خارجي في صورة إنسان، وأن هذا التجلي الظاهري ضروري. لكن السائل، في

المثال الراهن، لم يكن مُقتنعاً بهذا الجواب حيث أنه يعرف بأن بجوان نفسه لم يكن لديه جورو بشري وثمة حالات مشابهة قد تم تسجيلها أيضاً خاصةً بين مؤسسي الديانات. لهذا فقد أكمل قائلاً:

المريد: ولكن هنالك من يبدو أنه لم يكن لديه جورو على الإطلاق؟

بجوان: أجل، ففي حالة أرواح عظيمة مُعينة، يكشف الله ذاته كنور النور في الداخل.

كان يحدث في بعض الأحيان بأن يطرح السائل اعتراضه بشكل جلي أكثر فيقول بأن بجوان نفسه لم يكن لديه جورو، وفي حالات كهذه يجيب بجوان بأن الـ جورو لا يحتاج لاتخاذ هيئة بشرية.

بعضُ الذين سَمِعوا بتعاليمه ارتثوا بأنه لم يتمسك بالضرورة بأن يكون للمرء جورو، وفسروا بهذا النحو غياب المُساررة الظاهرية، ولكنه رفض هذا الطرح رفضاً قاطعاً. إس. إس. كوهين كان قد سجّل حواراً حول هذا الموضوع دار بين بجوان ودليليب كومار روي الموسيقار المشهور لدى أشرم شري أوربيندو:

دليليب: قال بعض الناس بأن مهاريشي أنكر الحاجة للـ جورو، وآخرون يقولون العكس. ما الذي يقوله مهاريشي؟

بجوان: لم اقل أبداً أنه لا حاجة إلى جورو.

دليليب: غالباً ما يشير إليك شري أوربيندو بأنه لم يكن لديك

جورو.

بجوان: هذا يعتمد على ما تُسميه جورو، فالـ جورو لا يحتاج بالضرورة لأن يكون في هيئة بشرية. لقد كان لـ داتاتريا أربعة وعشرين

جورو - عناصر الكون وخلافه، الأمر الذي يعني بأن أي هيئة في العالم كانت بمثابة جورو له. إن الـ جورو ضروري بالمطلق. تقول الـ أوبانشادز أن لا أحد سوى الـ جورو يستطيع إخراج الإنسان من أحراش الذهن والمُدرَكَات الحسية، لذا لا بد من وجود جورو.

ديليب: أعني جورو بشري، مَهَارِيشي لم يكن لديه هذا الـ جورو.

بجوان: قد يكون كان لدي جورو في وقت ما. ألم أعني أناشيد لـ *أرونأشالا*؟ ما هو الـ جورو؟ الـ جورو هو الله أو الذات. في البداية يقوم الإنسان بالصلاة لله كي يلبي رغباته، ومن ثم يحين الوقت عندما يبدأ بالصلاة لا لتلبية الرغبات ولكن لأجل الله ذاته، لذا يظهر الله له بهيئة ما أو أخرى، بشرية كانت أو غير بشرية وذلك كي يرشده كـ جورو إستجابةً لصلواته.

كان فقط عندما يثير زائرٌ النقطة التي تقول بأن شري بجوان نفسه لم يتخذ لنفسه جورو، يقوم بجوان بالشرح بأن الـ جورو لا يحتاج لأن يتخذ هيئة بشرية بالضرورة، وتم فهم هذا على أنه يشير إلى حالات نادرة.

عليّ أن أعرج على هذا السؤال فيما بعد، لكن أود أن أتطرق بلا تمهلٍ لتداعيات القول بأن الله والـ جورو والذات هم نفس الشيء. وفق المعنى العادي للكلمة فإن الـ جورو هو شخصٌ لديه الحق بأن يُلقنَ التلاميذ ويُسن لهم برنامجاً روحياً معيناً، وعليه فإن إقامة احتفال مناسب يكون ضرورياً وذلك كي يُصادق على أفعاله كـ جورو، تماماً كما أن رسامة الكاهن ضرورية لشرعنة الطقوس الدينية التي يؤديها قسيسٍ ما. يُقال أن القُداس الذي يقيمه قسيسٌ مؤهل كما يجب يُعتبر شرعياً، في حين أن ذلك الذي يُقيمه شخصٌ ذو نزاهة أخلاقية وقوة فكرية عاليين إلا أنه ليس قسيساً مُعمداً فلا يعتبر شرعياً؛ وعلى نفس



المنوال، فإن مدى أصالة الـ جورو وصلاحيّة تلقيناته وطريقته هي عادةً ما تعتمد على شرعية خلفته لسلفٍ من الـ جوروز أكثر من أن تعتمد على مؤهلاته الفطرية. لقد كان بجوان مهتمًا إلى حدٍ قليلٍ بهذا التأويل لكلمة جورو لكنه قبل به عندما كان يُسأل.

المريد: هل بمقدور المرء جني أي فائدة من ترديد *ماتتراز* (تسابيح أو أنكار) أختيرت بشكل عَرَضِي بدون أن يكون قد تم تلقينه إياها؟

بجوان: كلا، فلا بُدَّ أن يُلقن بها المرء وأن يُحوّل لاستخدامها.

وضَّحَ بَجَوَان لاحقاً هذه المقولة عبر سرد القصة التالية:

قام ملكٌ ذات مرة بزيارة وزيره في داره، ولدى وصوله هناك أعلم الملك بأن الوزير غارقٌ في غمرة ترديد تسابيحهِ وصلواته، وبناءً على ذلك قام الملك بانتظاره ريثما يفرغ، وعندما فرغ الوزير لمقابلة الملك، سأله الأخير عن تلك التسابيح، فأجاب الوزير بأنها كانت تسيبحة الـ *كياتري*. ومن ثم طلب الملك من الوزير أن يُلقنه إياها لكي يستخدمها بدوره، لكن الأخير أخبر الملك بأنه ليس بوسعهِ فعل هذا. فقام الملك فيما بعد ببناءً على ذلك بتعلمها من أحدهم. قابل الملك الوزير بعدها وردد تلك التسيبحة على مسامعه وسأله عما إذا كان قد ردها بشكل سليم، فأجاب الوزير بأن تلاوته لها كانت سليمة ولكن ليس من الصواب أن يُردها، فسأل الملك لماذا، فأرسل الوزير في طلب حاجبٍ كان يقف على مسافة قريبة منه وأمره بأن يعتقل الملك إلا أن الحاجب لم يمتثل للأمر. كرر الوزير إصدار الأمر ومع هذا فإن الحاجب لم يُطعه. طار صواب الملك وأمر الحاجب باعتقال الوزير، ففعل الحاجب ذلك على التو، فضحك الوزير وقال: هذا كان تأويل ما سأل عنه الملك.

"كيف؟" سأل الملك.

أجاب الوزير: "لأن الأمر الذي أصدرته أنت كان نفس الأمر الذي أصدرته أنا، والمُنْفَذ كان نفسه، ولكن الصلاحية كانت مختلفة؛ فعندما لفظتُ أنا الأمر لم يكن له أي تأثير، أما عندما لفظته أنت كان التأثير فورياً. الأمر يسير على نفس النحو مع التسابيح."

من ناحية ثانية، فإن بجوان عندما كان يستخدم كلمة "جورو"، كان يعني شيئاً أعظم بكثير من هذا، شيئاً مختلفاً ليس بالدرجة ولكن في النوع، لقد عني سات-جورو أو جورو-ديفا، وهذا أيضاً في معناه الأسمى ليس بأقل من ذلك الذي أدرك هويته مع الذات واستوطن هناك بشكل دائم.

المريد: ما هي السمات الفارقة لدى الـ جورو التي يمكن للمرء أن يتعرف بها عليه؟

بجوان: الـ جورو هو ذلك الذي يسكن في الأعماق السحيقة للذات في كل الأوقات. لا يرى أبداً أي اختلاف بينه والآخرين وهو طليقٌ من الفكرة التي ترعم بأنه امرئ مستنير أو طليق وأن أولئك الذين حوله هم في قيد أو يقعون في ظلام الجهل. إن سكينته لا يمكن أبداً زحزحتها تحت أي ظرف كان كما أنه غير حائر أبداً.

المريد: ما هي الطبيعة الأساسية للـ أوباديسا أو التغايم

الروحية المُعطاة من قبل الـ جورو؟

بجوان: كلمة أوباديسا تعني حرفياً "إرجاع شيء إلى موضعه الملائم". إن عقل المريد، كونه أصبح متميزاً عن حاله الحقيقية والبدائية للكينونة الخالصة التي هي الذات والموصوفة في النصوص المقدسة على أنها سات-تشت-أناندا (الوجود-الوعي-النعيم)، يتملص عن تلك الحال

وينتحل هيئة خاطرة تلاحق باستمرار موجودات ذات جاذبية جسية؛ لهذا تجد شدائد الحياة تقتمه ويصبح ضعيف الهمة. وهنا فإن الـ أوباديسا تعني أن يقوم الـ جورو بإعادة عقل المرء إلى حاله الأصلية ومنعه من الانزلاق عن حال الكينونة الخالصة، عن التماثل المطلق مع الذات، أو بكلمات أخرى كينونة الـ جورو.

يمكن للكلمة أن تعني أيضاً "أن يُقَرَّب للنظر جسماً بعيداً ظاهرياً"، ما يعني أنها تنحصر في أن الـ جورو يُبرزُ للمريد ذلك الذي اعتبره بعيداً ومتمائزاً عن ذاته على أنه شيءٌ مُباشِر ومُطابقٌ لذاته.

المريد: يقتضي هذا ضمناً بأن الكينونة الحقيقية للـ جورو مُطابقة لكينونة المريد، إن كان الأمر كذلك، لماذا إذن أعلنت النصوص المقدسة بشكل قاطع أنه أياً كانت القوى التي قد يُصيبها المرء، فإنه لا يستطيع إدراك الذات بدون مِنة الـ جورو؟

بجوان: صحیح أن كينونة الـ جورو مُطابقة لكينونة المريد، ولكنه من النادر على كل حال أن يدرك الشخص كينونته الحقيقية بدون مِنة الـ جورو.

إن الـ جورو حقاً ليس ذلك الشخص الجسماني.

بجوان: ما هو التصور الذي لديك عن الـ جورو؟ أنت تظنه هيئةً بشريةً كجسد ذي أبعاد محددة ومُحياً ما وخلافه. حدث وأن قال مُريدٌ بعد بلوغه الإدراك لمعلمه الـ جورو: "الآن أدركُ أنك سكنت في صميم قلبي كحقيقة واحدة في جميع حيواتي اللا معدودة، والآن أتيت لي بصورة بشرية ورفعت عني حجاب الجهل. كيف يمكنني رد جميلٍ عظيم كهذا؟"

فأجابه الـ جورو: "لا داعي لأن تفعل أي شيء، يكفي أن تبقى كما أنت في حالك الحقيقية". هذه هي حقيقة الـ جورو.

غالباً ما يَبين بجوان أن الدليل الإلهي، الـ جورو الحقيقي، يوجد في قلب المرء كما أنه يتجلى بشكل خارجي. فبينما يقوم الـ جورو الخارجي بدفع عقل المرء إلى الداخل، يسحب الـ جورو الداخلي العقل من الداخل. يُقال بأنه حتى الأجواء المحيطة بالمرء فهي لا تحدث بشكل عَرَضِي، فالـ جورو يقوم بخلق الظروف الضرورية لاضطلاع المرء ببحثه.

المريد: ما هي مِنة الـ جورو؟

بجوان: الـ جورو هو الذات. في وقتٍ ما يُصبح المرء غير راضٍ عن حياته وغير راضٍ بما لديه، فيصلي لله مُبتغياً تلبية رغباته، وبالتدرّج يبدأ عقله بالتطهر إلى أن يتوق لمعرفة الله ولأن تنتزل عليه مِنته بدل تلبية رغباته الدنيوية، ومن ثم تبدأ مِنة الله بالتجلي فيتخذ الله هيئة جورو ويظهر للمريد، فيُعلمه الحقيقة وعلاوةً على هذا يُطهر عقله بالمُجالسة والمُخالطة، وهنا يكتسب عقل المريد القوة ومن ثم يصبح قادراً على التوجه إلى الداخل. وبالتأمل يتطهر عقل المريد أكثر إلى أن يبقى هادئاً بدون أدنى تموج؛ هذا الحيز الهادئ هو الذات.

الـ جورو خارجي وداخلي، فمن الخارج يقوم بإعطاء دَفعة للعقل كي يتجه إلى الباطن بينما في الداخل يقوم بسحب العقل تجاه الذات ويساعد في تهدئته. هذه هي مِنة الـ جورو، ولا فرق بين الله والـ جورو والذات.

المريد: في المجتمع الثيوصوفي يقومون بالتأمل لتلمس مُعلمين

ليرشدونهم.

بجوان: المعلم في الداخل، وغاية التأمل أن تزيل الاعتقاد الجاهل بأنه خارجي فقط؛ فلو كان هذا الذي انتظرته كياناً غريباً عنك فسيكون مُقدراً أن يختفي أيضاً. ما الفائدة من كيان مؤقت كهذا؟ لكن طالما أنك تظن أنك كائنٌ مُفصل أو أنك الجسد، فسيكون المعلم الخارجي ضروري وسيظهر لك كما وأنه بجسد. عندما ينتفي التماهي الخاطيء لذاتك مع الجسد، سيتضح أن المعلم ليس سوى الذات.

المريد: هل سيساعدنا الـ جورو لمعرفة الذات من خلال عملية المُساررة وخلافه؟

بجوان: هل يُمسك الـ جورو بيدك ويهمس في أذنك؟ قد تتخيله على ما أنت عليه. لأنك تظن أن لديك جسداً، فأنت تظن أن لديه جسد أيضاً وأنه سيقوم بصنع شيءٍ ملموسٍ لك. إن عمله يكمن في الباطن، في الملكوت الروحي.

المريد: كيف يمكن العثور على الـ جورو؟

بجوان: الله الذي هو موجود في كل مكان، يُشفق بمنته على المؤمن المُحب ويتجلى للمؤمن بما يتوافق ودرجة تطور هذا المُحب. يظن المُحب أنه إنسان ويتوقع علاقةً كذلك التي تقوم بين جسدين ماديين، لكن الـ جورو الذي هو الله أو تجسد الذات يعمل من الباطن، فيساعد الإنسان ليتبصر أخطائه ويرشده على الصراط الصحيح إلى أن يدرك الذات التي في الداخل.

المريد: ما الذي يتوجب على العابد فعله إذن؟

بجوان: عليه فقط فعل ما تمليه عليه كلمات المعلم وأن يعمل في الداخل. المعلم هو "الداخل" و"الخارج"، لذا فهو يقوم بخلق الظروف ليقودك إلى الداخل وفي ذات الوقت يُهيء الـ "داخل" كي يشدك نحو

المركز، ومن ثم يعطي دَفْعَةً من "الخارج" ويسحبك من "الداخل" وبالتالي تستقر في المركز.

أنت تظن أنه بجهودك الخاصة يمكنك قهر العالم، ولكن عندما تكون مُحْبَطاً من الخارج وتُقَاد إلى الداخل تسمع لسان حالك يقول: "أوه، هنالك قوة أعلى من قوة الإنسان." الأنا المغرورة هي بمثابة فيل قوي للغاية والذي لا يمكن إخضاعه عبر أي مخلوق أقل قوة من قوة الأسد والذي في هذا المثال ليس سوى الـ جورو الذي بمجرد نظرتَه ترتعد الأنا المغرورة المُشابهة للفيْل وتموت. سوف تعلم في الوقت الملائم أن مَجْدك يكمن حيث تَفنى عن الوجود. ولكي تنال هذه الحال عليك أن تُسَلِّم نفسك، ومن ثم فإن المعلم يرى أنك في حالة لاثقة كي تتلقى إرشاده، وعليه سيقوم بفعل هذا.

ما المغزى من قول أن الـ جورو هو تجلي الله أو الذات؟ لطالما تحدث بجوان انطلاقاً من وجهة نظر اللاتنوية، والتي كان يتم إرشاد المرید بناءً عليها. الفارق الوحيد أن الـ جورو قد أدرك الذات بينما المرید لم يدركها.

بجوان: طالما أنك تَبْتَغِي إدراك الذات، فإن الـ جورو ضروري، الـ جورو هو الذات. أنظر إلى الـ جورو على أنه الذات الحقيقية وإلى ذاتك على أنها الذات الفردية. إن اختفاء هذا الإحساس بالثنوية هو زوال الجهل. لأنك تماهي نفسك بالجسد، فأنت تظن أن الـ جورو هو الجسد كذلك. لا أنت الجسد ولا الـ جورو أيضاً. أنت الذات وكذلك الـ جورو هو الذات، وهذه المعرفة يتم تحصيلها عن طريق ما تُسميه إدراك الذات.

أنت تحسبُ مُحطناً الجسد على أنه الـ جورو، لكن الـ جورو ذاته لا يرتكب هذا الخطأ. إنه الذات العديمة الشكل، إنه داخلك. هو يظهر خارجياً وذلك فقط كي يقوم بإرشادك.

ثمة مفارقة فضولية تتبادر مع الـ جورو المعصوم، مع المرء المدرك للذات الذي في تطابق واعٍ على النوام مع الذات؛ فحيث أنه الـ جورو الكامل والتام، فإنه لن يطلق على نفسه تسمية جورو ولن يطلق على أي أحد تسمية تلميذه، لأن هذا سيكون تأكيداً على علاقة ما وبالتالي تأكيداً على الثنوية.

رغم أنه أعطى تعليماتٍ إلى تلاميذه، فإنه لم يُسم نفسه جورو لهم، مُدركاً أن الـ جورو والتلميذ هما مجرد حدّين وُلدا من مايا (الوهم الكامل).

في الحقيقة فإن بجوان قام بتلقين تلاميذه روحياً من خلال الصمت أو الحُلم عندما كان بعيداً أو عبر النظرة عندما كانوا في حضرة الجسمانية، لكنه لم يُسمهم تلاميذه ولم يُعطيهم تلقيناً رسمياً يُقر بالثنوية. لقد كان يحميهم باستمرار، ويصف لهم برنامجاً شفهيّاً أو يرشدهم نحو ذلك البرنامج عبر قوة منته الصامتة، لكنه لم يُسم نفسه جورو لهم.

المريد: أليست المنة هدية الـ جورو؟

بجوان: إن الله والمنة والـ جورو جميعهم مُرادفين لبعضهم البعض كما أنهم سرمديين وحاضرين في كل مكان. ألا تكمن الذات في الداخل أصلاً؟ وبالتالي هل الأمر مُتعلقٌ على الـ جورو ليهبها بنظرته؟ إذا ما اعتقد الـ جورو ذلك، فإنه لا يستحق ذلك الإسم. تقول الكتب بأن هناك أنواع عديدة للتلقين، وتقول أيضاً أن الـ جورو يقوم بتأدية العديد

من الطقوس مع النار والماء والتسابيح وخلافه، ويُسمون هذه الطقوس الفاتنة تعميداً، كما وأن التلميذ قد أصبح ناضجاً فقط بعد تأدية طقوس كهذه من قبل الـ جورو.

إذا ما كانت الضالة فرداً فإنه لا مجال لإيجاده في أي مكان. الـ جورو مثله مثل دكشينامورتي. ماذا فعل دكشينامورتي؟ لقد جلس صامتاً والتلاميذ يحضرون أمامه. لقد حافظ على الصمت، فتبددت شكوكهم، ما يعني أنهم فقدوا هوياتهم الفردية. إن نيانا (المعرفة الروحية) هي ذلك الفهم الصامت وليست التعاريف اللفظية التي تُسبغ عليها. الصمت هو الشكل الأنجع للعمل. مهما تكن النصوص المقدسة فسيحةً ومُعبرة فإنها تفشل في إحداث الأثر المطلوب، أما الـ جورو فهاديء هو والسلام يعم الجميع، فصمته أكثر رحابة وتعبيراً من كل النصوص المقدسة مُجمعة. إن هذه الأسئلة تتبادر للذهن بسبب ذلك الشعور بأنه رغم مُكوئك هنا لوقت طويل، فقد سمعت كثيراً وعملت بجدٍ وكد ولكنك لم تحصل على أي شيء، إلا أن مُجريات الأمور في داخلك ليست جليةً لك. في الواقع، فإن الـ جورو دائماً في داخلك.

لم يشعر الجميع بالمينة على الفور، قوة التلقين الصامت، إلا أن بجوان طمأنهم.

المريد: يُقال أن نظرة واحدة يرمق بها الـ مهاتما المريد كافية، وأن هذه الأصنام والحجرات وخلافه ليست بذى فعالية؛ لكنني هنا لثلاثة أشهر ولا زلت لا أعرف كيف أكون قد استفدت من نظرة مهاريشي.

بجوان: النظرة لها تأثير تطهيري، والتطهير لا يمكن إبصاره. تماماً مثل قطعة فحم حجري فهي تأخذ وقتاً طويلاً كي تشتعل، أما قطعة



فحم الحطب فتأخذ وقتاً أقصر، بينما كومة البارود تشتعل فورياً؛ كذلك الأمر مع الأصناف المتعددة لبني البشر الذين يُصبحون على اتصالٍ مع مَهاتهم.

وبالمناسبة، فإن المرید الذي طرح هذه السؤال مكث هناك مع بجوان وأصبح واحداً من أكثر الأوفياء والمخلصين له. إن الإيمان الكامل بالـ جورو كان ضرورياً لكن وكما تم التوضيح في الفصل السابق، فإن بذل الجهد كان ضرورياً أيضاً.

المرید: بعد أن غادرت هذا الأشرم في شهر أكتوبر، كنتُ واعياً بسكينةِ بجوان تغمرني لمدة عشر أيام. وطوال الوقت وبينما كنت مشغولاً بالعمل، كان يسري في داخلي تيارٌ من سكينه الاتحاد تلك، لقد كان الأمر تقريباً مثل وعيٍ ثنائيٍ يخبُر به المرء عندما يكون نصف نائم في مُحاضرةٍ مُملة، ثم تلاشى هذا الشعور بالكامل وحلّت الحماقات القديمة مكانه.

إن العمل لا يُفسح مجالاً مُستقلاً للتأمل. بالتالي، هل تذكر النفس باستمرار بـ "أنا أكون" ومُحاولة الشعور بهذا أثناء العمل أمرٌ كافٍ؟  
بجوان: سوف يصبح التأمل دائماً عندما يتم تقوية العقل. إن التمرين المتكرر يقوي العقل، وعقلٌ كهذا قادرٌ على الإمساك بالتيار.  
ومن ثم، سواءاً كنت منهماكاً في العمل أم لا، فإن التيار يظل غير متأثرٍ وغير مُنقطع.

لطالما كان يُقال للمرید الذي لم يلمس أي تقدم في نفسه رُغم الجهد المبذول، بأن يتحلى بالإيمان بالـ جورو، فقد لا تكون المُجريات مرئيةً له إلا أن التقدم يكون أعظميةً عندما يكون أقل ظهوراً.

لم يُوظف بجوان أي تغييرات باهرة لدى المرید، لأن تغييرات كهذه قد تكون بُنيةً فوقيةً ترتفع بلا أساس مما يجعلها تتداعي فيما بعد. كان يحدث في بعض الأحيان أن يُصيب المرید الإحباط ويبدأ بالشكوى حين لا يرى أي تقدم على الإطلاق في نفسه. وفي حالات كهذه كان بجوان يقدم له السلوان أو كان يرد على الفور قائلاً "كيف لك أن تعلم بأنه ليس هناك من تقدم؟"، ومن ثم يقوم بالشرح قائلاً أن الـ جورو وليس التلميذ هو من يلحظ التقدم الذي تم إحرازه، وعلى التلميذ أن يواصل عمله بمُثابرة حتى لو كان الهيكل المرفوع خارج مرمى العقل ربما.

كان هنالك البعض الذين تطلعوا إلى سماع عبارة محددة تخبر بأن بجوان جورو، لكنه لم يفعل ذلك أبداً.

سأل السيد إيفانز وينتز، الكاتب المعروف في تيببتيان يوغا، عما إذا قام بجوان بتعميد بعض التلاميذ، لكن بجوان جلس صامتاً ولم يعطِ أية جواب.

ومن ثم قام أحد الأشياء بالتطوع والإجابة بأن مهاريشي لا ينظر إلى أي شيء على أنه يوجد خارجه، وبالتالي لا يمكن لأحد أن يكون تلميذاً لديه. إن منته تسود كل شيء وتُوهب لأي فرد جدير بها من خلال الصمت.

سمع بجوان التعليق ولم يُبدِ أي اعتراض عليه. كان يوضح في بعض الأحيان بأن العلاقة بين الـ جورو والتلميذ ضرورية من وجهة نظر التلميذ، حيث أن الأخير يرى الأشياء من وجهة نظرٍ ثنوية، وبالتالي فإنه يمكن للتلميذ أن

يؤكد أن فلاناً وفلاناً كان بمثابة الـ جورو له رغم أن الـ جورو لن يؤكد بأن الآخر كان تلميذاً عنده.

المريد: يقول بجوان بأن لا تلاميذ لديه؟  
بجوان: أجل.

المريد: يقول أيضاً أن الـ جورو ضروري إذا ما أراد المرء بلوغ الخلاص.  
بجوان: أجل.

المريد: ما الذي ينبغي علي فعله إذن؟ هل كل تلك السنين التي قضيتها هنا كانت مضيعةً للوقت؟ هل علي الذهاب والبحث عن جورو يقوم بتعميدي روحياً، وذلك باعتبار أن بجوان يقول أنه ليس هناك جورو؟  
بجوان: ما الذي تظن أنه أحضرك إلى هنا هذه المسافة البعيدة وجعلك تمكث هنا طويلاً؟ لم تشكك؟ لو كانت هناك حاجة للبحث عن جورو في أي مكان آخر، لكنك قد ذهبت منذ زمن بعيد. الـ جورو أو الـ نيائي (المرء المستتير) لا يرى فرقاً بين ذاته والآخرين. بالنسبة له فالجميع هم نيائيز، الكل واحد مع ذاته، بالتالي كيف للـ نيائي أن يقول بأن هذا وذاك هو تلميذي؟ لكن المرء غير الطليق يرى الكل أضعافاً، يرى الجميع مختلفين عن ذاته، بالتالي تكون علاقة الـ جورو-التلميذ بالنسبة له حقيقة، وبالنسبة له فإن هنالك ثلاثة أنواع من التلقين: عبر اللمس، النظرة والصمت. (وهنا أعطى شري بجوان التلميذ هذا الشرح كي يفهم أن طريقته كانت عبر الصمت، كما كانت مع العديد غيره في مناسبات أخرى.)

المريد: بالتالي فإن بجوان لديه تلاميذ؟

بجوان: كما قلتُ آنفاً، من وجهة نظر بجوان لا يوجد هناك تلاميذ، ولكن من وجهة نظر التلميذ فإن منة الـ جورو هي كالمحيط. إذا ما أتى التلميذ إليه بفنجانٍ فسيحصل على فنجانٍ مملوء فقط. لا فائدة مَرجوة من التذمر من شَحِّ المحيط، فكلما كان الوعاء أكبر كلما كان بمقدوره أن يحمل أكثر. الأمر عائدٌ برُمته للتلميذ.

عندما مارس المرید عليه مزيداً من الضغط للحصول على مزيد من التأكيد، استدار بجوان نحو مُرافقه وقال له على سبيل الدعابة: "دعه يحضر وثيقة من مُساعد أمين السجل ويأخذها إلى المكتب ويُصادق عليها بختم المكتب." في الحوار التالي، أشار بجوان ضمناً وبوضوح كافٍ بأنه يجب النظر إليه على أنه الـ جورو المرئي.

المرید: هل بإمكانه شري بجوان أن يُعيننا لنذكر الحقيقة؟

بجوان: العون دائماً موجود.

المرید: إذن ما من حاجةٍ لطرح سؤال، لكنني لا أشعر بالعون

الدائم الوجود.

بجوان: إستسلم وستجده.

المرید: أنا دائماً عند قدميك. هلأ أعطاني بجوان بعض الـ

أوباديسا كي أتبعها؟ وإلا أتى لي أن أحصل على العون وأنا أعيش على

بُعد ستمائة ميل؟

بجوان: سات-جورو في الباطن.

المرید: سات-جورو ضروري لإرشادي كي أفهم هذه الحقيقة.

بجوان: سات-جورو في داخلك.

المرید: أريد جورو مرئي.

بجوان: ذلك الـ جورو المرئي يقول أنه في الباطن.

للحفاظ على الطبيعة النقية لتعميد بجوان وإرشاده الروحي، فقد كان ينفر من لمس تلاميذه أو أن يقوموا بلمسه. في المقطع اللاحق من الحديث المقتبس أعلاه طلب المرید التالي:

المرید: هل سيزعج الـ سات-جورو يده على رأسي كي يؤكد لي مساعدته؟ وبالتالي أحصل على العزاء بالتيقن بأن وعدة سيحقق.

في حالات كهذه، كان بجوان ميالاً إلى إما إلى البقاء صامتاً أو أن يُحوّل الموضوع إلى طرفة، وفي هذا الموقف فقد لجأ إلى الخيار الأخير.

بجوان: لعلك ستسألني بعد هذا على عقدٍ وتوثيقٍ ملفٍ إذا ظننت أن العون لن يأتي.

ربما يقول بعض قراء هذا الكتاب بأن تلك العقيدة التي تقول بتجلي الله كـ جورو كانت مناسبة لأولئك الذين وافاهم الحظ للقاء بجوان في حياته، ولكن ماذا عن هؤلاء الذين ينشدون جورو الآن؟ ثمة جوروز يمكن العثور عليهم، رغم أن ظهور سات-جورو معصومٍ على هذه الأرض أمثال بجوان شري رَمنا مهاريشي - والذي هو جيفاموكنا يعيش في تطابقٍ واعٍ دائمٍ مع الذات - أمرٌ نادر للغاية.

المرید: أنى للمرء أن يعرف إذا ما كان شخصاً ما أهلاً لأن يكون جورو؟

بجوان: عبر سكينه العقل التي تشعر بها في حضرته وعبر الاحترام الذي تُكنّه له.

المريد: وإذا ما اتضح فيما بعد أنه ليس أهلاً لأن يكون جورو، ماذا سيكون قدر التلميذ الذي لديه إيمان باطني به؟  
 بجوان: قدر كل فرد سيكون وفق أهليته.

ولكن إذا لم يبلغ الـ جورو الحال المطلقة، هل يمكن اعتباره كتجلٍ لله أو الذات؟ بشكلٍ ما يمكن اعتباره. التلميذ نفسه هو الذات رغم أنه جاهل بهويته الحقيقية. إن العالم الخارجي بأسره يُبدي النوازع والإمكانات المُحتدمة في نفسه، وبين هذه الإمكانات يقوم الشخص الذي يضطلع بدور الـ جورو بإظهار إمكانية تجلي الإرشاد الإلهي حتى بدون وعي كامل.

هنالك على كل حال إمكانية أخرى أيضاً وهي الإرشاد المستمر لـ بجوان. كان يتم في العادة استحضار ما أكد عليه بجوان بأن الـ جورو لا يحتاج لاتخاذ أي هيئة بشرية، مُضيفاً في بعض الأحيان بأن هذا حدث في حالات نادرة، فهو نفسه لم يكن لديه جورو بشري. وكما الأمر كان مع الاستفهام عن الذات، فقد ابتكر طريقاً جديدة مؤاتية لظروف العالم العصري، طريقاً يمكن اتباعه بدون أية هيئات خارجية، بشكل غير مرئي، كما أنه يتماشى مع للظروف الخارجية للحياة العصرية، لذا فقد جلب بجوان للناس إمكانية التلقين الصامت الذي لا شكل له والذي لا يتطلب جورو جسماني. كان التلقين الروحي يتم خلال حياته إما بالنظرة أو الصمت. لقد أكد أيضاً أن الـ أوباديسا أو التعليمات الروحية الأكثر حقيقة تتم عبر الصمت.

إن الشكل الأسمى للمنة هو الصمت، وهو أيضاً التعليم الروحي الأسمى... جميع صيغ التعاليم الأخرى مُشتقة من الصمت ولذلك فهي ثانوية. الصمت هو الشكل الأساسي، فإذا ما كان الـ جورو صامتاً فإن عقل المريد يتطهر من تلقاء نفسه.

لقد وجد تلاميذ بجوان بأن تعاليمه الصامته تستمر كما في السابق، والآخرين الذين لم يلتقوا به أبداً أثناء حياته قد شعروا بالانجذاب نحوه وبدأوا باتباع إرشاده. إذا ما بدا هذا الأمر غريباً على أي أحد فإن هذا يعني أنه لم يفهم ما الذي كان عليه بجوان في حياته، طما يعني بأنه يُماهي الـ جورو مع الجسد. كان يُطرح أحياناً السؤال: كيف يمكن لـ **جيفانموكتا** أن يستمر في إرشاد التلاميذ بعد الموت عندما يكون قد امتزج بالمطلق، ذات الكل؛ لكن الـ **جيفانموكتا** كيانٍ واعٍ أصلاً بالمطلق، ذات الكل، وذلك وهو لا يزال متجسداً. إذا لم يكن هذا متوافقاً مع التلقين والإرشاد وهو يتقمص الجسد، فلن يكون الأمر كذلك بعده. الموت لا يحدث فرقاً ولا يُغيّر من حاله. ما من شيء أكثر لإحرازه لأنه هو ذلك الآن، ولا شيء يوجد لفقدانه لأنه قد سلّم الأنا المغرورة بالكامل.

قام بي بانيرجي بسؤال بجوان عن الفرق بين **جيفانموكتي** (الإدراك والمرء في الجسد) و**فيديهاموكتي** (الإدراك بعد الموت).  
 بجوان: لا يوجد فرق. لأولئك الذين يسألون يُقال أن: نياني بالجسد هو **جيفا موكتا** وهو يبلغ **فيديهاموكتي** عندما يخلع عنه الجسد، لكن هذا الفرق يوجد فقط للناظر وليس للـ نياني التي حاله هي نفسها قبل وبعد أن يتم طرح الجسد. نحن نتصور الـ **نياني** بصورة بشرية أو أنه موجود في تلك الهيئة، لكنه هو يعلم أنه الذات، الحقيقة الواحدة التي في الداخل والخارج، واللا محدودة بأي هيئة أو شكل. ثمة آية في الـ **بكاتا** (وهنا يستشهد بجوان بالآية باللغة التاميلية) نقول: تماماً كما الرجل الثمل لا يكون واعياً بقميصه العلوي أهو على جسده أم انزلق عنه؛ كذلك الـ نياني فإنه بالكاد يكون واعياً بجسده، والأمر سيّان عنده سواءً بقي الجسد أو مات.

لم يُحبذ بجوان الفضول ونادراً ما أجاب على الأسئلة التي تتعلق بحال الـ نياني أو المرء المُدرَك، ولكن عندما سُئل عما إذا كان الـ نياني يستمر في أداء وظيفته بعد موت الجسد، فقد سمعته ذات مرة يجيب باقتضاب قائلاً أنه في بعض الحالات قد يستمر. وقد أكد هو نفسه أيضاً على ما يعرفه تلاميذه الآن من واقع التجربة بأن الـ جورو قد يستمر في تقديم الإرشاد بعد موت الجسد عندما لا يكون في هيئة بشرية.

كان د. مسالاولا، المسؤول الطبي الأساسي المتقاعد لدى بوبال والذي كان متواجداً هنا منذ أكثر من شهر لأنه في حالة تكليف مؤقت في مستشفى الأشرم وذلك في غياب د. ك. شيفا راو، قد وضع أسئلة لـ بجوان وتسلّم الإجابات التالية عليها:

د.: بجوان يقول: "إن تأثير الـ نياني يتسلل إلى المؤمن من خلال الصمت؛" ويقول أيضاً: "إن الاختلاط بأناسٍ عظامٍ وأرواحٍ مقدسة، هو أحد الوسائل الفعالة لإدراك المرء لحقيقته."

بجوان: أجل. ما هو التناقض؟ الـ نياني، الرجال العظام والأرواح المقدسة - هل يقوم بجوان بالتفريق بينهم؟ وعليه قلتُ "لا".

بجوان: إن التواصل معهم أمر جيد، فهم سيعملون من خلال الصمت، أما بالكلام فإن قواهم تنقلص. الحديث دائماً أقل قوة من الصمت، لذلك فإن التواصل الصامت هو الأفضل.

د.: هل التواصل يستمر حتى بعد تحلّل الجسد المادي للـ نياني أو طالما أنه في لحمه ودمه فقط؟

بجوان: الـ جورو ليس الهيئة الفيزيولوجية، لذلك فإن التواصل معه سيبقى حتى بعد أن تفنى هيئته الفيزيولوجية.



صرّح قائلاً بأن ذلك الذي قد نال منة الـ جورو لن يُتخلى عنه أبداً.

إن ذلك الذي قد نال منة الـ جورو سوف يتم إنقاذه بلا شك ولن يُترك أبداً، تماماً مثل الفريسة التي وقعت بين فكي النمر فإنه لن يُسمح لها بالفرار أبداً.

وبما أن الشيء بالشيء يُذكر، فإن بعض الأشياء قد تنمروا عندما أصبح جسده على شفير الموت قائلين بأنه بموته يتخلى عنهم، وبدأوا بالتساؤل ماذا عساهم يفعلون بدون إرشاده المستمر، فأجاب بإيجاز:

أنتم تُولون أهمية عظيمة للجسد.

لقد كان المضمون واضحاً، فالـ جورو هو ذاته سواءً كان يتقمص جسداً أم لا. والمؤمنون به وجدوا الأمر كذلك في ما بعد.

حيث أنه تم التعاطي مع الحاجة للعبور من النظرية إلى التطبيق، وإمكانية التطبيق في ظروف العالم العصري بدون أية شعائر خارجية، وتم الحديث عن ضرورة الـ جورو، فإن الفصلين القادمين سينتعاظيان مع أشكال التطبيق التي وصفها بجوان بشكل مفتوح وهو ما يُعد أمراً مُتميزاً بحد ذاته. لقد تعامل المعلمون الروحيون لدى كل الأديان في كتاباتهم وأقوالهم العامة بشكل رئيسي مع النظرية وقالوا القليل أو لا شيء حول البرنامج العملي الذي دعوا إليه، والسبب وراء هذا واضح، فكما شرح بجوان في قصة الملك ووزيره التي استشهد بها مُسبقاً ضمن هذا الفصل، بأن تقنية الرياضة الروحية يمكن أن تكون شرعيةً وفعالة للغاية وذلك فقط في حال رُخص باستخدامها من قِبل شخص مؤهل بجدارة. وعلى هذا فإن بجوان نفسه قد شرح بشكل مفتوح الطرق التي أوصى بها من خلال الحديث والكتابة. إن معظم الكتب التي يعتمد عليها الشرح الحالي قد كُتبت ونُشرت خلال حياته، وقد أظهر دائماً إهتماماً بها وغالباً ما

اقترح على السائل أن يرجع لإحداها ليجد إجابته هناك. حتى عندما أصبح الأمر جلياً بأن أيام جسده قد أشرفت على النهاية، فقد استمر في إظهار الاهتمام في تنضيد هذه الكتب ونشرها. لماذا سمح بجوان بهذا عندما كان مُصرّاً على أنه لا تقنية صالحة بدون ترخيص الـ جورو؟ الجواب الوحيد على هذا هو المنكور أعلاه. الموت الفيزيولوجي لا يُحدث فرقا، فإذا كان بإمكان الـ *مُوكتا* أن يكون جورو قبل الموت، يمكنه أن يكون ذلك بعد الموت أيضاً، والموت لا يُصيره *مُوكتا* من جديد. إن الطريق الذي تم شقه بواسطة منته لأولئك الذين يلجأون إليه لم يكن طريقاً لِيَتَّبَع خلال حياته فقط أو لم يكن لأولئك القلة الذين استطاعوا التقرب منه بشكل جسماني. لذا قال:

يقولون أنني أموت ولكني لن أذهب إلى أي مكان، أين لي أن  
أذهب؟ أنا هنا.

## الفصل الخامس الاستفهام عن الذات

رغم أنه امتنع عن وصف نفسه كـ جورو للسبب المذكور في الفصل السابق، فإن شري بجوان في الحقيقة قد اضطلع بهذا الدور بشكل متواصل، وعندما كان يأتيه أي زائر بأسئلة ما كان يوجه مساره من النظرية إلى التطبيق، وفيما يتعلق بتفسير وفرض طرق للرياضة الروحية فقد كان مقبلاً كما كان مُدبراً لأن يقوم بتفسير مجرد نظرية. كان غالباً ما يقول أن التعليم الحقيقي يكمن في الصمت، لكن هذا لم يعن أنه لم يُعطِ شروحات شفوية بيّنت للمريد الكيفية التي يجب أن يبذل جهداً بها في الوقت الذي كان تأثير فيضه الصامت ينساب على قلب المريد ليساعده على فعل هذا.

كما سيظهر في الفصل القادم، فإن شري بجوان أجاز طرائق مختلفة عديدة، ولكنه شدّد أكثر ما شدّد على اتباع طريقة الاستفهام عن الذات وأوصى باستمرارٍ بها، ولهذا فإن طريقته سيتم التعاطي معها أولاً. إنها ليست طريقة جديدة، فكونها في حقيقة الأمر الطريقة الأكثر مُباشرةً بين الطرائق الأخرى فلا بد أنها الأقدم. على أية حال، فقد كانت في الأزمان الغابرة طريقة تم التحفظ عليها لأولئك القلة المقدّمة الذين يستطيعون العمل بغزلة، فأحجموا عن الحياة الدنيا في تأمل متواصل. أما في الأزمان الحديثة وكما هو من المتوقع، فالأمر أصبح نادراً أكثر فأكثر. لهذا فإن ما فعله بجوان كان أن جدّد الطريقة ببيئة جديدة مُدمِغاً إياها مع الكارما يوغا (طريق العمل) مما يجعلها قابلة للاستخدام في ظروف العالم العصري. وبما أنها لا تتطلب شعائر أو صيغ خارجية، فإنها في الحقيقة تُعد الطريقة الأمثل لاحتياجات عصرنا الراهن، ولكن تكيفها هذا مع العصر لا يجعل منها طريقة مُتضعضة ولا مدقّة بل تظل طريقة مركزية ومُباشرة.

لإخماد العقل فإنه ما من وسيلة ناجعة كطريقة الاستفهام عن الذات، فحتى لو أمكن إخماد العقل ببعض الوسائل الأخرى، فإن هذا سيكون بشكلٍ صُوري فقط ومن ثم لا يلبث أن ينهض العقل من جديد.

هذه هي الطريقة المباشرة أما جميع الطرائق الأخرى فيتم سلوكها بالإبقاء على الأنا المغرورة، ولهذا فإن الكثير من الشكوك تتبادر ويظل السؤال المُطلق مُبيّناً للتعامل معه في النهاية. أما في هذه الطريقة فإن السؤال النهائي هو السؤال الوحيد ويتم طرحه منذ البداية.

إن الاستفهام عن الذات يقود مباشرة نحو إدراك الذات عبر إزالة العقبات التي تجعلك تظن أن الذات ليست مُدركةً بعد.

التأمل يتطلب موضوعاً ما للتأمل فيه، بينما وخلال مُمارسة الاستفهام عن الذات فتمّة فاعلٌ ولكن لا مُفعل فيه، هذا هو الفرق بينهما.

د.: لماذا يجب اعتبار الاستفهام عن الذات دون سواه الطريقة

المباشرة للإدراك؟

بجوان: لأن كل طريقة عدا الاستفهام عن الذات تفترض مسبقاً الاحتفاظ بالعقل كأداةٍ لاتباعها، ولا يمكن اتباعها بدون العقل. إن الأنا المغرورة قد تنتحل أشكالاً مختلفة وأكثر رقة في مراحل مختلفة خلال الرياضة الروحية التي يمارسها المرء لكنها لا تندثر أبداً، ومحاولة تدمير الأنا المغرورة أو العقل عبر طرائق غير طريقة الاستفهام عن الذات أشبه باللص الذي يتكر على هيئة شرطي للقبض على اللص الذي ليس إلا هو. وحده الاستفهام عن الذات يستطيع كشف الحقيقة التي نقول بأنه لا الأنا المغرورة ولا العقل يوجدان حقاً، كما تُمكن المرء من إدراك الكينونة الخالصة المتجانسة للذات أو المُطلق.

إن المقولة التي تقول بأن العقل لا يُستخدم في طريقة الاستفهام عن الذات لم تكن دائماً مفهومة، ولهذا فإن بجوان كان عندما يُسأل عن ذلك يشرح قائلاً أن العقل في طريقة الإستفهام عن الذات لا يتم التعامل معه كأمر واقع بل إن محض وجوده يتم التشكيك فيه، وهذه هي الطريقة الأسهل لتبديد وهم وجوده.

بجوان: أن تطلب من العقل أن يقتل العقل فذلك كأن تحيل اللص شُطياً، فهو سيذهب معك ويدعي أنه يريد القبض على اللص لكن لا شيء سيتم؛ لذا عليك أن تتجه إلى الداخل وأن ترى من أين ينبعث العقل ومن ثم فإنه سينتفي عن الوجود. (بالإشارة إلى هذا الجواب، فإن شري تامبي نوراي من جفنا والذي كان يعيش كـ سادو في بيلاكونو ما يربو على السنة، سألني عما إذا كان الطلب من العقل بأن يتجه إلى الداخل وأن يبتغي مصدره يستدعي توظيف العقل أيضاً، فوضعت هذا الشك أمام بجوان.)

بجوان: بالطبع نحن نوظف العقل. من المعروف والمعترف به أنه يمكن قتل العقل فقط بمساعدة العقل، ولكن بدل الجلوس والقول بأن هناك عقل وأني أريد قتله، فأنت تبدأ بابتغاء مصدره ومن ثم تجد بأنه لا يوجد عقل على الإطلاق. إن العقل الموجه إلى الخارج ينتج عنه خواطر وموجودات، أما العقل الموجه إلى الداخل فيصبح هو ذاته الذات.

يمكن القول بأن العقل ينتفي عن الوجود أو يتحول إلى الذات، فالمعنى هو حقاً واحد. إنه لا يعني أن الشخص يصبح عديم العقل كالحجر، بل أن ذلك الوعي الخالص للذات لم يعد أبداً محدوداً بالمساحة الضيقة لعقل بعينه، وأنه لم يعد يرى من خلال زجاج مُعتم بل بوضوح ورؤية نضرة.

عبر التحري المثابر والمتواصل حول طبيعة العقل، فإن العقل يتحول إلى ذلك الذي تعود إليه الـ "أنا" والذي هو في الحقيقة الذات. على

العقل بالضرورة أن يستند في وجوده على شيء كثيف، فهو لا يحيا من تلقاء نفسه؛ إنه العقل ذلك الذي يسمى بالجسم اللطيف أو الأنا المغرورة أو **جيفا الروح**.

ذلك الذي ينبعث في الجسد الفيزيولوجي على أنه "أنا" هو العقل، وإذا ما استفسر المرء من أين تنبعث أول ما تنبعث خاطرة الـ "أنا" داخل الجسد، فإنه سيجد أنها تنبعث من **هرد/يان** أو القلب، هذا هو مصدر ومقر العقل. أو من جديد، حتى لو قام المرء بمجرد تكرار "أنا-أنا" في داخله باستمرار وأحال العقل كله مُركزاً على هذا، فإن هذا أيضاً يقود إلى المصدر ذاته.

إن الخاطرة الأولى والأهم بين جميع الخواطر التي تنبعث في العقل هي الخاطرة الأولية "أنا"؛ فبعد انبعاث أو تكوّن خاطرة الـ "أنا" تنبعث خواطر أخرى لا عدّ ولا حصر لها. بمعنى آخر، فقط بعد انبعاث الضمير الشخصي الأول "أنا"، فإن الضمائر الشخصية الثانية والثالثة (أنت، هو، الخ.) تنبعث للعقل، كما أنها لا تستطيع العيش بدونه.

بما أن كل خاطرة أخرى يمكن لها الانبعاث فقط بعد انبعاث خاطرة الـ "أنا"، وحيث أن العقل ليس سوى كومة من الخواطر، فإنه فقط ومن خلال الاستفهام "من أكون أنا؟" يخمد العقل. علاوة على هذا، فإن خاطرة الـ "أنا" المتكاملة المتضمنة في استفهام كهذا، وبإفنائها كل الخواطر الأخرى، فإنها بدورها تفتى في النهاية أو تُستهلك، تماماً مثل عود تُستخدم لتأجيج نار محرقة الجثة المشتعلة، فإنها أي العود تصلبها النار بدورها.

لا بد وأن يكون واضحاً الآن من هذه القرائن أن الاستفهام عن الذات كما تم تعليمه من قبل بجوان هو شيء مختلف عن الإستبطان الذي يعنى به

الأطباء النفسيين. في الواقع، إنه حقاً ليس عملية ذهنية على الإطلاق، فالإستبطان يعني دراسة مكونات ومحتويات العقل في حين أن الاستفهام هو محاولة لسبر الذات من وراء العقل الذي ينبعث منها.

عندما يكون الواجب هو إلغاء العقل أو الأنا المغرورة في أية حالة، لم يهدر الوقت في تحليله؟

إن طرح الاستفهام: "من أكون أنا المصْفدُ في قيد؟" ومعرفة الطبيعة الحقيقية للمرء هو الخلاص الوحيد، وإبقاء العقل باستمرار متجهاً نحو الداخل والاستيطان بالتالي في الذات هو الاستفهام عن الذات. فكما أن التحقق من النفايات التي يجب كَنسها ورَميها أمرٌ عديم الجدوى، فإنه من غير المُجدي لذلك الذي ينشد الذات أن يجلس ويُحصي الـ *تاتافاز* التي تغلف الذات ويفحصها بدل أن يلقي بها بعيداً. عليه أن يعتبر العالم الظاهري بما في ذلك شخصه هو، مجرد أضغاث أحلام.

على نحو مشابه، فإن الاستفهام عن الذات يختلف بشكل محوري عن التحليل النفسي أو أي نوع آخر من الاستطببات النفسية، فهذه الاستطببات يمكنها فقط أن تصبو لإنتاج كائن بشري طبيعي صحي ومتكامل، ولكن ليس للسمو فوق قيود حالة الإنسان الفرد، فهؤلاء الذين يديرون هذه الاستطببات هم أنفسهم لم يخضعوا لها وعليه فإنهم لا يستطيعون شقَّ طريق لم يسلكوه. على كل حال فإن ثمة شيء واحد مُشترك يتقاسمه الاستفهام عن الذات في مراحلها الأولية مع الاستطببات النفسي على حدٍ سواء، ألا وهو انتشار الخواطر والخبائث الخفية من أعماق العقل.

د.: تتبادر الخواطر الأخرى بشكلٍ أكثر عنوة عندما يحاول المرء التأمل.

بجوان: نعم، فجميع أشكال الخواطر تتبادر أثناء التأمل، هذا صحيح، فما يكمن مُختبئاً في داخلك يتم إخراجها؛ وفي حال لم تتبادر هذه الخواطر فأني لها أن تنفي؟

تتبادر الخواطر بشكل عفوي وذلك فقط لكي يتم إخمادها في الوقت المناسب، وبالتالي يتم تقوية العقل.

د.: عندما أقوم بالتركيز فإن جميع صنوف الخواطر تتبعث وتُعطلني عن السير بالتأمل، وكلما أحاول أكثر كلما انبعثت الخواطر أكثر. ما الذي علي فعله؟

بجوان: نعم هذا سيحدث، فكل ما يكمن في داخلك سيحاول الخروج؛ لا وسيلة أخرى سوى كبح العقل في كل مرة يريد فيها الجموح، ومن ثم توطيده في الذات.

د. لطالما قال بجوان بأن على المرء نبذ الخواطر الأخرى عندما يشرع في البحث الروحي، لكن الخواطر لا حد لها، فإذا ما تم نبذ خاطرة ما فستبرز للوجود خاطرة أخرى، ومن ثم سيبدو أن لا نهاية للأمر على الإطلاق.

بجوان: أنا لا أقول بأنه يتوجب عليك على الدوام نبذ الخواطر، ولكنك إذا ما تشبثت بنفسك بخاطرة الـ "أنا"، وقمت بصب اهتمامك على هذه الخاطرة المفردة، فإن الخواطر الأخرى سيتم نبذها وستتلاشى تلقائياً.

تماماً كما أن الاستفهام عن الذات ليس استبطاناً كما هو مفهوم لدى النفسانيين، فهو بالتالي أيضاً ليس جدالاً أو تكهناتاً كما هو مفهوم لدى الفلاسفة.

د.: عندما أفكر "من أكون أنا؟" يأتيني الجواب: أنا لست هذا الجسد الفاني بل الوعي أو الذات، ومن ثم فإن خاطرة أخرى تتبعث على



حين غرّة. لماذا أصبحت الذات متجلية؟ أو بعبارة أخرى "لماذا خلق الله العالم؟"

بجوان: إن طرح الاستفهام: "من أكون أنا؟" يعني حقاً المحاولة لإيجاد مكنم الأنا المغرورة أو مصدر خاطرة الـ "أنا". ليس عليك إشغال العقل بخواطر أخرى كالتي تقول "أنا لست الجسد"، فالسعي خلف مصدر الـ "أنا" يفيد كوسيلة للتخلص من كل الخواطر الأخرى. لا ينبغي عليك السماح بأي قدر من الخواطر الأخرى كتلك التي ذكرتها، بل عليك إبقاء الانتباه مُتّبِتاً على إيجاد مصدر خاطرة الـ "أنا" وفي حال انبعثت أي خاطرة أخرى في تلك الأثناء عليك طرح السؤال: "لمن تتبادر هذه الخواطر؟"، وإذا ما أتى الجواب يقول "لي أنا"، عليك إذن إستئناف الخاطرة بالسؤال: "ما هي هذه الـ "أنا" وما هو مصدرها؟"

أجاز بل واستخدم بجوان في بعض الأوقات الجدل الفكري ولكن كوسيلة منه لإقناع المبتدئ ببطلان الذات الفردية أو الأنا المغرورة، وبالتالي حثه على تأبط الاستفهام عن الذات؛ أما الجدل نفسه فلم يكن استفهاماً عن الذات.

د.: من أكون أنا؟ كيف يمكن العثور على الجواب؟

بجوان: إ طرح على نفسك السؤال. إن الجسد (أنا ماياكوشا) ووظائفه ليست الـ "أنا"؛ وبالتعمق، فإن العقل (مانوماياكوشا) ووظائفه ليست الـ "أنا" كذلك. الخطوة التالية تسير بالمرء لأن يسأل: من أين تنبعث هذه الخواطر؟ قد تكون الخواطر عفوية، سطحية أو تحليلية. إنها تعتمل في العقل، وبالتالي من هو ذاك الذي هو واع بهم؟ إن وجود الخواطر، مفهومها وعملياتها الواضحة تصبح جليةً للفرد. هذا التحليل يقود للاستنتاج بأن الشخصية الفردية تعمل كمُدركٍ لوجود الخواطر

وتبعاتها، وهذه الفردية هي الأنا المغرورة، أو كما يقول الناس "أنا". إن **فينيانامايكوشا** (الفكر) هو مجرد غلاف للـ "أنا" وليس الـ "أنا" نفسها، وبالاستفهام بشكل أبعد، فإن السؤال يأتي: ما هي هذه الـ "أنا"؟ من أين تأتي؟ "أنا" لم تكن واعية في النوم، وفي نفس الوقت الذي تنبعث فيه أثناء النوم، فإن النوم يتبدل للحلم واليقظة. لكنني لست معنياً بحالة الحلم فقط الآن؛ من أكون أنا الآن في حالة اليقظة؟ إذا ما تولدت أنا عند الاستيقاظ من النوم، فهذا يعني أن الـ "أنا" كانت مُغلقةً بالجهالة؛ و"أنا" جاهلة كهذه لا يمكن أن تكون تلك التي تشير إليها النصوص المقدسة أو التي يُشدّد عليها الحكيم، فـ "أنا" أكون ما وراء النوم حتى، "أنا" يجب أن تكون هنا والآن، ولا بد لها أن تكون ما كنتُ عليه طوال حالتي النوم والحلم على حد سواء، غير متأثرة بخواص تلك الحالتين. بالتالي فإن "أنا" يجب أن تكون القوام المطلق الذي يُشكل الأساس للحالات الثلاث (بعد أن يتم السمو فوق **أناندامايكوشا**).

وصلت سيدتان فارسيتان من أحمدأباد وأخذا يتحدثان مع بجوان. السيدة: بجوان، منذ نعومة أظفارنا ونحن ميالين للأمر الروحانية، فقرأنا العديد من الكتب حول الفلسفة ووجدنا أنفسنا مُنجذبين نحو الـ **فيدانتا**، لذا قرأنا الـ **أوبانيشادز**، **يوغا فاسيشستا**، **بِكفاد كبيتا**، الخ. نحاول التأمل لكن لا تقدم في تأملنا، لا نستطيع أن نفهم كيف يمكننا أن ندرك الذات. هل لك لطفاً أن تساعدنا لبلوغ الإدراك؟

بجوان: كيف قومين بالتأمل؟

السيدة: أبدأ بسؤال نفسي "من أكون أنا؟" وأستبعد الجسد على أنه ليس "أنا"، النَّفْسَ ليس "أنا"، العقل ليس "أنا"، ومن ثم أصبح عاجزاً عن التقدم أكثر.

بجوان: حسنٌ، ولكن الأسلوب الذي تتبعينه ذهني بحت. في الواقع فإن كل النصوص المقدسة تعرض هذا الأسلوب وذلك فقط لترشد المرید إلى الحقيقة، لكن الحقيقة لا يمكن الإشارة إليها بشكل مباشر، لذلك يتم استخدام هذا الأسلوب الذهني. أنت ترين بأن ذلك الذي يستبعد الكل قائلاً "لست أنا" لا يستطيع استبعاد الـ "أنا". لأن تكوني قادرةً على قول "أنا لست هذا" أو "أنا ذاك"، فإنه لا بد وأن يكون هناك "أنا" للتمكن من قول هذا. هذه الـ "أنا" هي فقط الأنا المغرورة أو خاطرة الـ "أنا". بعد انبثاق خاطرة الـ "أنا" هذه، فإن كل الخواطر الأخرى تنهض معها. بالتالي، فإن خاطرة الـ "أنا" هي الخاطرة الجذرية. إذا ما تم اقتلاع الجذر، فالبقية كلها يتم اقتلاعها في نفس الوقت. لهذا قومي بالسعي خلف جذر الـ "أنا"، إسألني نفسك: "من أكون أنا؟" أعثري على مصدر الـ "أنا"، ومن ثم فإن كل هذه المشاكل ستتلاشى ووحدها الذات الخالصة ستبقى.

السيدة: لكن من أكون أنا لفعل هذا؟

بجوان: الـ "أنا" دائماً هناك سواءً في حالة النوم العميق أو الحلم أو اليقظة، فذلك الذي ينام هو نفسه الذي يتحدث الآن، هنالك دوماً الشعور بـ "أنا"؛ وفي حال لم تكن موجودة، عليكِ إذن إنكار وجودك، لكنك لا تقومين بهذا. أنتِ تقولين: "أنا أكون"، جدي من هو ذاك الذي يكون.

السيدة: لا زلت غير قادرة على الفهم؛ أنت تقول أن الـ "أنا"

الآن هي الـ "أنا" المزيفة، كيف لي أن أستبعد هذه الـ "أنا" الخاطئة؟

بجوان: لا يوجد داعٍ لاستبعاد أية "أنا" مزيفة، إذ كيف للـ "أنا"

استبعاد نفسها؟ كل ما تحتاجين فعله هو العثور على مصدرها والمكوث

هناك. يمكن لجهودك أن تقطع هذه المسافة فقط، ومن ثم فإن الماوراء

سيهتم بنفسه، فأنت عاجزة هناك ولا جهد يمكن أن يصل إليه.

السيدة: إذا ما كنت "أنا" دائماً - هنا والآن - لم لا أشعر بهذا؟  
 بجوان: من ذا الذي يقول بأنه لا يشعر بهذا؟ أهى الـ "أنا"  
 الحقيقية أم الباطلة؟ إسألني نفسك وسوف تجددين أنها الـ "أنا" الباطلة. الـ  
 "أنا" الباطلة هي العائق الذي يجب إزالته كي تكفّ الـ "أنا" الحقيقية عن  
 المواراة. إن الشعور القائل "أنا لم أدرك" هو العائق نحو الإدراك. في  
 الواقع، فإن الذات مُدركة أصلاً، لا يوجد من مزيدٍ لنتم إدراكه، فلو كان  
 هناك المزيد، لكان الإدراك سيكون شيئاً مُحدثاً لم يكن موجوداً بعد، أي  
 شيئاً سيحدث في المستقبل، لكن أياً ما يُولد فسيموت أيضاً. إذا لم يكن  
 الإدراك أدياً، فإنه لا يستحق الحصول عليه. لهذا، فإن ما نبتغي ليس شيئاً  
 يجب أن ينشأ لكي يوجد بل هو وحده ذلك الأبدى المُستتر بالعوائق  
 الموضوعية من قبلنا، وكل ما علينا فعله هو إزالة العائق. ما هو أبدي ليس  
 مُدركاً من حيث هو وذلك بسبب الجهل، الجهل هو العائق. تخلصي من  
 الجهل وكل شيء سيكون على ما يرام. إن هذا الجهل متطابق مع خاطرة  
 الـ "أنا"، إبحثي عن مصدرها ومن ثم فإنها ستلاشى.

إن خاطرة الـ "أنا" مثلها مثل الشبح، فرغم أنه لا يتم الشعور  
 بها إلا أنها تنهض مع الجسد في الوقت ذاته، تزدهر معه وتختفي معه.  
 الوعي الجسماني هو الـ "أنا" الخاطئة، لذا تخلصي منها عبر السعي خلف  
 مصدر "أنا". إن الجسد لا يقول: "أنا أكون"، بل أنتِ التي تقولين "أنا أكون  
 الجسد". جدي من هي هذه الـ "أنا"، قومي بالسعي خلف مصدرها ومن ثم  
 فإنها ستلاشى.

السيدة: ومن ثم هل سيكون هناك نعيم؟

بجوان: النعيم مُتطابق مع الكينونة-الوعي. كل الجدالات المتعلقة  
 بالكينونة الأبدية تنطبق على النعيم الأبدى أيضاً. إن طبيعتك هي النعيم إلا

أن الجهل يُخفي هذا النعيم الآن، ولكن عليك فقط أن تزيли الجهل كي تُحرري النعيم.

السيدة: ألا يتوجب علينا أن نجد الحقيقة المطلقة للعالم كفرد

وإله؟

بجوان: هذه هي تصورات الـ "أنا"، فهي تتبعث فقط بعد انبثاق خاطرة الـ "أنا". هل فكرت في أي من هذا أثناء النوم العميق؟ فلقد كنت أنتِ موجودة أثناء النوم ونفس الـ "أنتِ" تقوم بالتحدث الآن. لو كانت هذه التصورات حقيقية، ألا يجب أن توجد أثناء نومك أيضاً؟ إنها تعتمد على خاطرة الـ "أنا". من جديد، هل يقول لك الهالم: "أنا أكون العالم؟" هل الجسد يقول: "أنا أكون الجسد؟" إنه أنتِ من يقول: "هذا هو العالم" هذا هو الجسد" وما إلى ذلك، لذا فإن هذه مجرد تصورات. اِبحِثي عَمَّن تكونين أنتِ، ومن ثم سيكون هذا نهاية كل الشكوك.

السيدة: ما الذي يصبح عليه الجسد بعد الإدراك؟ أيستمر في الوجود أم لا؟ نحن نرى الأشخاص المُدركين يقومون بالأفعال مثل الآخرين.

بجوان: لا حاجة لأن يُقلِّقك هذا السؤال الآن؛ يمكنك طرح هذا السؤال بعد الإدراك، هذا إن شعرتِ بالرغبة في طرحه حينها. فيما يتعلق بالأشخاص المُدركين فدعهم وشأنهم، لم القلق حيالهم؟ في الواقع فإنه لا الجسد ولا أي شيء آخر سيظهر مختلفاً عن الذات بعد الإدراك.

السيدة: إذا ما كنا النعيم-الوعي-الوجود دائماً، لماذا يَزج الله بنا

في المصاعب والمتاعب؟ لماذا خَلقنا؟

بجوان: هل الله يأتي ويقول لك أنه زَجَّ بك في الصعاب؟ إنه أنتِ من يقول هذا، إنها الـ "أنا" الباطلة من جديد؛ وإذا ما اختفت هذه الأنا، فإنه لن يعود هناك أحدٌ ليقول أن الله خلق هذا أو ذاك والذي لا يقول حتى

"أنا أكون". هل يتبادر أي شك يقول "أنا لا أكون"؟ فقط عندما يُخامر المرء شك أنه بقرّة أو ثور فعليه أن يُذكر نفسه بأن المرء ليس حيواناً بل إنسان، ولكن هذا لا يحدث أبداً؛ والأمر هو نفسه مع وجود المرء ذاته والإدراك.

هذا الاقتباس الأخير يعود بنا من ذلك الذي لا يُعد استقهاماً عن الذات إلى ما يكون عليه الاستقهاً عن الذات.

عندما يتحرى العقل بشكلٍ حثيثٍ عن طبيعته، فإنه يستنتج أنه ما من شيء اسمه العقل. هذا هو الطريق المباشر للجميع.

إن العقل مجرد خواطر، ووسط كل هذه الخواطر فإن خاطرة "أنا" هي الخاطرة الجذرية. لهذا، فإن العقل هو فقط الخاطرة "أنا"، ومتى تنهض هذه الخاطرة "أنا"؟ يبحث عن هذا في داخلك، ومن ثم فإنها ستتلاشى. هذا هو بيت القصيد. وحيثما تتلاشى الـ "أنا" تظهر هناك "أنا-أنا" من تلقاء نفسها. هذه هي الـ (بورنام) اللا محدودة.

إذا ما كانت الأنا المغرورة موجودة فإن كل ما سواها موجود كذلك، أما إذا لم تكن الأنا المغرورة موجودة فلا شيء آخر يوجد. لذلك فإن الاستقهاً عما تكون هذه الأنا المغرورة هو الطريق الوحيدة للتخلي عن كل شيء.

إن حالة عدم انبثاق الـ "أنا" هي حالة أن تكون ذلك، وبدون التتقيب عن حالة عدم انبثاق الـ "أنا" هذه وبلوغها، كيف يمكن للمرء إتمام فئاته من حيث لا تبغث الـ "أنا"؟ بدون هذا الإنجاز، كيف يمكن للمرء الاستيطان في حاله الحقيقية حيث يكون المرء ذلك؟

تماماً كما الإنسان يغوص في الماء لانتشال شيء قد سقط منه، كذلك المرء عليه أن يغوص في نفسه بحرص، بعقلٍ أحادي الوجهة، متحكماً باللسان والنفس، وأن يعثر على المكان الذي تنبثق منه الـ "أنا". إن الاستفهام الوحيد الذي يقود إلى إدراك الذات هو السعي خلف مصدر كلمة "أنا". التأمل في "أنا لست هذا، أنا ذاك" قد يكون وسيلة مساعدة للنهوض بالاستفهام لكنه لا يمكن أن يكون الاستفهام ذاته. إذا ما استفهم المرء "من أكون أنا؟" في داخل العقل، فإن الـ "أنا" الفردية تسقط خجلاً حالما يصل المرء إلى القلب، وهناك وعلى الفور تكشف الحقيقة ذاتها بعفوية على أنها "أنا-أنا". ورُغم أنها تكشف نفسها على أنها "أنا"، إلا أنها ليست الأنا المغرورة بل الكينونة التامة، الذات المطلقة.

بجوان: إن مفهومي القيد والخلاص هما مجرد تبدلات عقلية، فلا حقيقة لهما من تلقاء نفسيهما وبالتالي لا يمكنهما العمل من تلقاء نفسيهما؛ وحيث أنهما تحويل لشيء آخر فلا بد أن يكون هناك كيان (مستقل عنهما) كمصدرٍ مُشتركٍ وداعمٍ لهما. لهذا فإذا ما تحقق المرء في هذا المصدر ليعرف من ذا الذي يعتمد عليه القيد أو الحرية، سيد أنهما يستندان على ضمير المتكلم أنا الذي هو نفسه. وبالتالي إذا ما استفهم المرء بجدٍ "من أكون أنا؟" سيرى أنه لا يوجد شيء اسمه "أنا" أو "أنا ضمير المتكلم". ذاك الذي يبقى مُبصراً أن الـ "أنا" لا توجد، فهو مُدركٌ بكل وضوح وبشكل لا لبس فيه على أنه مُشرق بذاته وحيثاً بشكل مجرد على أنه ذاته. إن هذا الإدراك الجلي الحاصل كمُعاشيةٍ مُباشرةٍ وفوريةٍ للحقيقة الأسمى، يحصل إلى حدٍ ما بشكلٍ طبيعي وبدون أي شيءٍ غير مألوف، لكل فردٍ باقٍ كما هو يقوم بالاستفهام بشكلٍ باطني بدون أن يسمح للعقل أن يصبح خارجانياً حتى ولو لبرهة أو أن يُضيّع الوقت في القيل والقال. لهذا فإنه لا يوجد حتى أدنى شك فيما يتعلق بالاستنتاج الراسخ الذي يقول بأن أولئك الذين

بلغوا هذا الإدراك وبالتالي هم يستوطنون بشكل مطلق متماهين مع الذات، فإنه لا قيد ولا حرية.

بجوان: الذات وعيٌ خالص، إلا أن الرجل يماهي نفسه مع الجسد العديم الإحساس الذي لا يتقوه من تلقاء نفسه: "أنا أكون الجسد"، بل إن شخصاً ما آخر يقول هذا. الذات اللامحدودة لا تقوم بفعل هذا، من يفعل هذا إذن؟ هنا تقوم "أنا" زائفة بالنهوض بين الوعي الخالص والجسد العديم الإحساس وتتوهم بأنها محدودة بالجسد. إسع خلف هذه الأنا ومن ثم فإنها ستتلاشى كشبح. الشبح هو الأنا المغرورة أو العقل أو الشخصية الفردية. إن جميع النصوص المقدسة تستند على ظهور هذا الشبح والذي أمر استبعاده هو الغرض منها. إن الحالة الحالية هي مجرد وهم وفناؤها هو الغاية ولا شيء آخر.

هنا يشير بجوان إلى الأنا المغرورة على أنها "شبح" أو "أنا غير حقيقية". في شرح سابق قدمه للسيدتين الفارسيين، تكلم بجوان عن "أنا باطلة" و"أنا حقيقية". لأغراض عملية، تكلم في بعض الأحيان حول التخلي عن الـ "أنا" الباطلة في سبيل البحث عن الحقيقة، لكن لا يجب أخذ هذا على أن هناك ذاتان داخل الإنسان. ما كان يقصده ببساطة هو التخلي عن التماهي الزائف مع الـ "أنا" كشخصية فردية وذلك لكي يدرك المرء هويته الحقيقية كذاتٍ كونية. لقد أكد مراراً وتكراراً أنه لا يوجد "أنا" اثنتان واحدة ينشدها المرء وأخرى يعلم بها. تقول حقيقة اللاتنوية بأنه ولكي ترى الذات ينبغي أن تكون الذات، وإلا فستكون هناك ثنوية الفاعل والمفعول وثالوث الرائي والرؤية والمرئي.

المريد: كيف للمرء أن يدرك الذات؟

بجوان: ذات من؟ إبحث.

المريد: ذاتي أنا، لكن من أكون أنا؟



بجوان: أنت الذي يجب أن يجد هذا.

المريد: أنا لا أعلم.

بجوان: فقط فكر في السؤال، من هو ذاك الذي يقول: "أنا لا

أعلم"؟ من هي الـ "أنا" في عبارتك؟ ما هو ذلك الشيء اللامعلوم؟

المريد: أحذّ ما أو شيء ما في داخلي.

بجوان: من هو ذلك الشخص؟ داخل من؟

المريد: ربما بعض القوة.

بجوان: إبحث.

المريد: لم وُلدت؟

بجوان: من وُلد؟ الجواب هو نفسه على جميع الأسئلة.

المريد: من أكون أنا إذن؟

بجوان: (مُبْتَسماً) هل أتيت لاختباري؟ عليك أنت أن تقول من

تكون أنت.

المريد: مهما أحاول، فلا يبدو لي أنني سأمسك بالـ "أنا"، إنها

ليست حتى قابلة للفهم.

بجوان: من هو ذاك الذي يقول أن الـ "أنا" ليست قابلة للفهم؟

هل هنالك "أنا" اثنتين في داخلك، واحدة غير قابلة للفهم من قبل الأخرى؟

المريد: عوضاً عن القيام بالاستفهام: "من أكون أنا؟"، هل

أستطيع أن أضع السؤال لنفسي "من تكون أنت؟" وعليه فإن عقلي قد يركز

عليك أنت الذي يعتبره الله في هيئة جورو؟ لعلني بذلك أستطيع أن أقترّب

أكثر من هدف بحثي عبر ذلك الاستفهام بدلاً من سؤال نفسي: "من أكون

أنا؟"

بجوان: أياً كانت الصيغة التي قد يتخذها استفهامك، عليك أن تصل في النهاية إلى الـ "أنا" الواحدة: الذات. كل تلك الفوارق المصنوعة بين "أنا" و"أنت"، المعلم والتلميذ، هي مجرد علامة على الجهل. وحدها الـ "أنا" الأسمى تكون، وأن تفكر بعكس هذا يعني أن تضلل نفسك.

لهذا، وحيث أن هدفك هو أن تسمو هنا والآن فوق هذه السطحيات للوجود المادي من خلال الاستفهام عن الذات، أين هو المجال لإقامة الفوارق بين "أنت" و"أنا" واللذان متعلقان فقط بالجسد؟ عندما توجه العقل نحو الداخل مُبتغياً مصدر الخاطرة، أين هي "أنت" وأين "أنا"؟ عليك أن تبتغي وأن تكون الذات التي تشمل الكل.

د.: ولكن أليس من المضحك أن الـ "أنا" يجب أن تبحث عن الـ "أنا"؟ ألا يتضح في النهاية أن الاستفهام "من أكون أنا؟" مجرد صيغة جوفاء؟ أو هل عليي يا ترى أن أطرح السؤال على نفسي بشكلٍ غير نهائي مُردداً إياه مثل بعض الـ مانترا؟

بجوان: إن الاستفهام عن الذات بكل تأكيد ليس صيغة جوفاء، إنه أكثر من أن يلهج اللسان بترديد أي مانترا؛ إذا ما كان الاستفهام: "من أكون أنا؟" مجرد استفسار فكري، فلن يكون له تلك القيمة. جوهر الغرض من الاستفهام عن الذات هو تركيز العقل برُمته على مصدره، بالتالي فإنه ليس مسألة "أنا" ما تبحث عن الـ "أنا" الأخرى، ناهيك القول عن أن يكون الاستفهام عن الذات صيغة جوفاء حيث أنه يتطلب نشاطاً جَهِيداً لكل العقل وذلك كي يبقى مُستنفراً بثبات في وعي الذات الخالص. إن الاستفهام عن الذات هو الوسيلة المؤكدة النجاح، الوسيلة الوحيدة المباشرة لإدراك الكينونة اللامشروطة المطلقة والتي هي أنت حقاً.

تُظهر المقاطع التالية بشكل أكثر وضوحاً أن الأمر هو سؤالٍ لَتَعَقَبُ خاطرة الـ "أنا" إلى مصدرها، وليس عبارة عن "أنا" أولى تستكشف الأخرى.

الزائر: لقد قيل لي أنه وفق مدرستك يتوجب علي أن أجد مصدر خاطرتي؛ كيف لي فعل هذا؟

بجوان: ليس لي مدرسة؛ على كل حال، نعم على المرء أن يتعقب مصدر كل الخواطر، هذا صحيح.

الزائر: لنفترض أنه خاطرة "حصان" تراودني، فأحاول أن أتعب مصدرها، ثم أجد أنها نتيجة الذاكرة والتي هي بدورها نتيجة إدراك حسي سابق للـ "الحصان"، والأمر هكذا فقط.

بجوان: من طلب منك أن تفكر بكل هذا؟ إن كل هؤلاء خواطرٌ أيضاً. ما الفائدة التي ستجنيها من التفكير في الذاكرة والإدراك الحسي؟ فالأمر سيكون بلا نهاية، مثل النزاع القديم أيهما أتى أولاً، الشجرة أم البذرة. إسأل من لديه هذا الإدراك الحسي والذاكرة؛ هذه الـ "أنا" التي لديها الإدراك الحسي والذاكرة، متى انبتقت؟ إبحث عن هذا، فالإدراك الحسي والذاكرة أو أي تجربة أخرى تراود فقط تلك الـ "أنا". أنت لا تمر بتجارب كهذه أثناء النوم مع أنك تقول أنك كنت موجوداً أثناء النوم وأنت توجد الآن أيضاً. وهذا يُظهر أن الـ "أنا" تستمر في الوجود بينما الأشياء الأخرى تأتي وتمضي.

الزائر: المطلوب مني أن أعثر على مصدر الـ "أنا"، وفي الواقع فإن هذا هو ما أريد أن أجده، ولكن كيف يُمكنني فعل هذا؟ ما هو المصدر الذي أتيت منه أنا؟

بجوان: لقد أتيت من نفس المصدر الذي كنت فيه أثناء النوم، كل ما في الأمر أنك فقط أثناء النوم لم تستطع أن تعرف أين ولجيت، لهذا يتوجب عليك أن تقوم بالاستفهام وأنت يَظ.

قام البعض منا بنُصح الزائر لأن يقرأ كتيب من أكون أنا؟ ورمنا كيبينا، وأخبره بجوان أيضاً بأنه قد يتوجب عليه فعل هذا.

وبالفعل قام الزائر بقراءتها خلال النهار، وعندما حلّ المساء قال لـ بجوان: "هذه الكتب تُوصي بالاستفهام عن الذات، ولكن كيف على المرء فعل هذا؟"

بجوان: لا بد وأن يكون قد وُصف هذا في الكتب أيضاً.  
الزائر: هل يتوجب علي أن أركز على الخاطرة: "من أكون أنا؟"

بجوان: عليك أن تركز لترى من أين تنبعث خاطرة الـ "أنا"، وبدل النظر إلى الخارج، أنظر إلى الداخل وشاهد من أين تنبعث خاطرة الـ "أنا".

الزائر: هل يقول بجوان بأني إذا ما رأيت هذا، فإني سأدرك الذات؟

بجوان: لا يوجد شيء اسمه أن تدرك الذات؛ كيف للمرء أن يدرك أو يُصير الحقيقي حقيقياً؟ إن جميع الناس "تدرك" أو تعتبر غير الحقيقي على أنه حقيقي، بينما كل ما عليهم فعله هو التخلي عن فعل هذا. وعندما تفعل ذلك، فستبقى آنذاك كما أنت عليه دائماً وسيكون الحقيقي حقيقياً؛ وإنه فقط لأجل مساعدة الناس لكي يتخلوا عن اعتبار غير الحقيقي على أنه حقيقي برزت الأديان والعبادات للوجود.

الزائر: متى تحدث الولادة؟

بجوان: ولادة من؟

الزائر: الـ أوبائشادز تقول: ذاك الذي يعرف برّمان يصبح برّمان.

بجوان: الأمر ليس مسألة أن تصبح بل مسألة أن تكون.

"لا يوجد شيء اسمه أن تدرك الذات" - لطالما قال بجوان هذا وذلك كي يُذكر أولئك الذين طرحوا الأسئلة بأن الذات وحدها تكون، الآن وللأبد، وأنها ليست شيئاً جديداً ليتم اكتشافه. إن هذه المفارقة هي جوهر اللاثنوية.

في جوابٍ على السؤال القائل: أي طريقة أفضل للوصول إلى الهدف، قال بجوان: "لا يوجد هدف كي يتم الوصول إليه، لا يوجد شيء لبلوغه، أنت الذات، أنت توجد دائماً، لا شيء أكثر يمكن تكهنه عن الذات سوى أنها توجد. إن رؤية الله أو الذات يعني فقط أن تكون الذات والتي هي أنت. أن ترى أي أن تكون، وأنت كونك الذات تريد أن تعرف كيف يتم بلوغ الذات! الأمر مثل شخصٍ يوجد في أشرم رَمْنَا وتراه يسأل كم من الطرق تؤدي إلى الأشرم وأيها أفضل له. كل المطلوب هو أن يتم التخلي عن الخاطرة التي تقول بأنك هذا الجسد والتخلي عن كل خواطر الموجودات الخارجية أو غير الذات، وكلما رأيت العقل يمضي خارجاً نحو دنيا المحسوسات، أوقفه وثبته في الذات أو "أنا". هذا هو كل الجهد الذي يقع على عاتقك."

رغم هذه المفارقة، فإن بجوان من ناحية ثانية شدّد أيضاً على ضرورة بذل الجهد كما هو مُبينٌ في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

إن ممارسة الرياضة الروحية المتواصلة أمرٌ أساسي إلى أن يبلغ المرء بدون أدنى جهد تلك الحال الأولية والطبيعية للعقل الخالية من

الخطرة، وبمعنى آخر، إلى أن يتم بشكل كامل استئصال ومحق الـ "أنا" و"لي" و"ملكي".

دفاعاً عن وجهة النظر القائلة بأنه ما من شيء جديد يوجد حتى يتم اكتشافه، فإن الـ أدفايتا تفسر أن الأمر هو فقط أمر إزالة وشاح الجهل، تماماً كما يحدث بعد اجتثاث نباتات المياه فإن المرء يكشف الماء الموجود تحتها والذي كان موجوداً هناك أصلاً؛ أو كما أن انقشاع الغيوم يكشف زُرقة السماء الموجودة هناك أصلاً والتي كانت تَستتر بهذه الغيوم.

د.: كيف للمرء أن يعرف الذات؟

بجوان: الذات دائماً تكون، لا يوجد شيء اسمه أن تعرفها. إنها ليست بعض المعرفة المُحدثة التي ينبغي تحصيلها، فذلك الذي هو بجديد وليس هنا والآن لا يمكن أن يكون دائماً. الذات تكون دائماً، لكن المعرفة بها مَحجوبة وهذا الحَجَب هو ما يُسمى الجهالة. أزل هذه الجهالة ومن ثم فإن المعرفة سَنَسَطع. في الواقع، فإنها ليست الذات هي الموسومة بهذه الجهالة أو حتى المعرفة، فهذه مجرد إضافات خارجية يجب إزالتها. لهذا يُقال أن الذات تكمن ما وراء المعرفة والجهالة، فتبقى كما هي بشكلٍ طبيعي - هذا هو كل ما في الأمر.

إن هذا التركيز على الذات يتطلب بالطبع تحكماً شديداً بالعقل، وعليه قد شكى الكثير بأن الأمر ليس بهذه السهولة.

سأل زائر بجوان في المساء كيف يمكن التحكم بالعقل الجوال مُستهلاً حديثه بالتذمر من هذا السؤال بالتحديد فطالما أزعجه، وهنا أجاب بجوان ضاحكاً: "لست وحدك من ، فهذا ما يسأله كل أحد وهذا ما تم

تناوله من قبل كل النصوص المقدسة كالجبييتا على سبيل المثال. ما هي الوسيلة المتاحة عدا عن أن تقوم بسحب العقل في كل مرة يشرّد فيها أو يتجه إلى الخارج وذلك كما هو موصى في الـ كيبينا؟ بالطبع فالأمر ليس سهلاً ولكنه سيصبح سهلاً بالتمرين فقط.

قال الزائر بأن العقل يتيه لاهناً خلف ما يرغب فيه، وأنه لن يبق مغروساً في الموضوع التأملي الذي يجلس قبالة.

عندما كان يطرح هذا النوع من الشكوى، كان بجوان يجيب في بعض الأحيان بأن الاستفهام عن الذات لا يضع أي موضوعاً تأملياً قبالة العقل، بل يقوم ببساطة بتوجيه العقل نحو ذاته، قاصداً مصدره. بهذه المناسبة على كل حال، فإنه قد أجاب من وجهة نظر الرغبة أو السعادة.

كل فرد ينشد فقط ما يحقق له السعادة. إن عقلك يتجول في الخارج خلف بعض الأشياء أو غيرها لأنك تظن أن السعادة تأتي عن طريقها، لكن إبحث من أين تأتي السعادة كلها بما في ذلك ما تعتبره آتياً من المحسوسات، وستجد أنها تأتي من الذات وحدها، ومن ثم فإنك ستكون قادراً على الاستيطان في الذات.

في بعض الأوقات كان الناس يشكون من صعوبة وضع حد للخواطر، وهنا كان بجوان يقوم بجلبهم من جديد حول الاستفهام عن الذات وذلك عبر تذكيرهم بأن المفكر أو المشكك، وذلك في حالة التشكيك، هو الذي يتعين على المرء فحصه. قد تُساور المرء آلاف الشكوك لكنه لا يُشكك في وجود المُشكك، من هو المُشكك إذن؟

كل الشكوك ستتوقف وذلك فقط عندما يتم إيجاد المُشكك ومنشأه؛ لا فائدة من تبديد الشكوك إلى ما لا نهاية، فنحن إذا ما بددنا شكاً سينبعث آخر، ومن ثم فإنه لن يكون هناك نهاية للشكوك؛ ولكن إذا ما تم إيجاد أن المُشكك نفسه ليس موجوداً حقاً وذلك عبر السعي خلف منشأه، آنذاك فإن كل الشكوك ستتوقف.

إن التحكم بالعقل يعني بالطبع التركيز، لكن بجوان لم يعنِ عبر "التركيز" بأن يُركز المرء على خاطرته (رغم أنه دائماً لم يقم بثني الآخرين عن فعل هذا) بل التركيز على الإحساس بالوجود، الشعور بـ "أنا أكون" وإقصاء كل الخواطر.

بجوان: لا يعني التركيز التفكير في شيء واحد بل على العكس، إنه يعني إقصاء كل الخواطر لأن كل الخواطر تحجب الإحساس بكيئونة المرء الحقيقية. ببساطة، فإنه يجب توجيه كل الجهود لإماطة حجاب الجهالة لا غير.

في عدد من المقاطع التي قد تم اقتباسها آنفاً، فإن بجوان لم يطالب السائل فقط بأن يتحقق من خاطرة الـ "أنا" بل وأن يجد من أين تبنثق، وهذا يوشح بين الاستفهام عن الذات وعملية التركيز على القلب في الجانب الأيمن (المُشار إليه في الفصل الأول)، بل ويُظهر بشكل أكثر وضوحاً أن الاستفهام ليس عملية فكرية. في حقيقة الأمر، فإن الخلاص الفعلي الذي يمكن الشعور به جسمانياً ينبعث في هذا المركز من خلال الاستفهام عن الذات.

إن تركيز العقل بمفرده على الذات سوف يقود إلى السعادة أو النعيم، فسحب الخواطر إلى الداخل وردعها ومنعها عن الشرود في



الخارج يُسمى عدم التعلق (فايراكيا)، وتثبيت هذه الخواطر في الذات هو رياضة روحية (سَدَاتنا). إن التركيز على القلب هو نفسه التركيز على الذات، فما القلب سوى إسم آخر للذات.

جي.في. سوبارماياها: أهو مَنصوصٌ في أي كِتَاب بأنه لبلوغ الإدراك المطلق والنهائي يتعين على المرء أن يأتي في النهاية على القلب، وذلك حتى بعد الوصول إلى سَهاسُرارا (زهرة اللوتس ذات الألف بتلة، مركز تاج الرأس)، وأن ذلك القلب يقع في الجانب الأيمن من الصدر؟  
 بجوان: كلا لم آتِ على هذا الكلام في أي كتاب، ولكني أتيت على مقطع يُوضع القلب في الجانب الأيمن في كتاب طبي باللغة المالايالامية، وقد قمت بترجمة هذا المقطع إلى اللغة التاميلية في كتاب (مُلحق الآيات الأربعين).

نحن لا نعلم أي شيء عن المراكز الأخرى، ولا يمكننا أن نكون واثقين مما يمكننا أن نصل إليه عبر التركيز على هذه المراكز وإدراكها. لكن كلما تنبعث الـ "أنا" من القلب فإنها يجب أن تغرق من جديد وتمتزج هناك لإدراك الذات. على كل حال، لقد كانت هذه تجربتي.

إعلم أن الوعي بالذات الخالصة واللامتبدلة الكائنة في القلب، هو المعرفة التي، بفناء الأنا المغرورة، تهب الخلاص.

إن الجسد مادةٌ خاملة مثل جرة فخارية، وبما أنه لا يملك وعي الـ أنا وحيث أنه يغط في نوم عميق، فعندما نكون بلا جسد فإننا نعيش كينونتنا الطبيعية؛ لا يمكن للجسد أن يكون الـ "أنا". من هو إذن ذاك الذي يُسبب هذه الـ أنوية؟ أين هو؟ هناك في مغارة قلب أولئك الذين استفهموا عن الذات والذين يعلمون أنهم هي ويستوطنون فيها، يبرز المولى أروناتشالا شيفا على أنه ذاته وعي "أنا أكون ذاك".

د.: هل كان بجوان يقول بأن القلب هو مركز الذات؟

بجوان: نعم، إنه المركز الواحد الأسمى للذات، ولا يجب أن تساورك الشكوك حول هذا. الذات الحقيقية تمكث هناك في القلب خلف النفس المغرورة.

د.: هلأ أخبرني بجوان أين محل القلب في الجسد؟

بجوان: لا تستطيع معرفته بعقلك أو تصوّره بخيالك رغم أنني أقول لك أنه هنا (مُشيراً إلى الجانب الأيمن من الصدر). إن الطريق الوحيدة المباشرة لإدراكه هو التوقف عن التخيل وأن تحاول لأن تكون ذاتك، ومن ثم ستشعر تلقائياً بأن المركز يوجد هناك. إنه المركز الذي تم الحديث عنه في النصوص المقدسة كـ تجويف القلب.

د.: هل لي أن أكون على يقين بأن الأقدمين عَنوا هذا المركز

عندما استخدموا مُصطلح "القلب"؟

بجوان: نعم يمكنك هذا، ولكن عليك المحاولة أن تعيش التجربة بدل أن تحدد موضعها، فالمرء ولكي يرى ليس عليه الذهاب والبحث أين توجد عينيه. القلب هناك، دائماً مفتوح لك إذا ما أنت تريد دخوله، دائماً يساند تحركاتك رغم أنك قد لا تكون واعياً به. ربما يجدر بنا القول أن الذات هي القلب، فالذات حقاً هي المركز وهي واعية في كل مكان بذاتها على أنها القلب أو وعي الذات.

د.: عندما يقول بجوان أن القلب هو المركز الأسمى للروح أو

الذات، هل يقتضي هذا ضمناً أن القلب ليس أحد تلك المراكز اليوغية الستة (تشاكران)؟

بجوان: المراكز اليوغية، بالعد من الأسفل للأعلى، هي سلسلة من المراكز الواقعة في الجهاز العصبي، وهي تمثل مراحل متعددة، كلٌ منها لديه قوته أو معرفته الخاصة، مُؤديةً إلى الـ سَهاسراراء، زهرة

اللوتس ذات الألف بتلة المُنتصبة في الدماغ، حيث تتربع (القوة) الأسمى *شاكتي*، لكن الذات التي تدعم كل حركات *شاكتي* ليست متموضعة هناك بل تدعمها من مركز القلب.

د: بالتالي فهي مختلفة عن ذلك التجلي لـ *شاكتي*؟

بجوان: لا يوجد حقاً تجلٍ لـ *شاكتي* بمَعزِلٍ عن الذات، فالذات أصبحت كل هذه الـ *شاكترز*. عندما يبلغ الـ يوجي المقام الأعلى من الوعي الروحاني (*سمادي*)، فإنها الذات الكائنة في القلب هي التي تقوم بدعمه في ذلك المقام سواءً كان واعياً بها أم لا. ولكن إذا ما كان وعيه مُتمركزاً في القلب فإنه يدرك هذا، أيّاً تكن المراكز أو الأحوال التي قد يكون فيها، فإنه دائماً الحقيقة ذاتها، القلب ذاته، الذات الواحدة، الروح المُنبثّة في كل شيء، الأزلية وغير المتغيرة. تطلق الـ *تاتترا شاستراز* على القلب تسمية *سوريا ماندالا* أو المدار الشمسي، وتسمي الـ *سهاسرارا: تشاندرا ماندالا* أو المدار القمري، وهذا يظهر الأهمية النسبية للثنتين.

تماماً كما أن هذا التركيز على القلب يُؤسس نقطة اتصال مع الـ *يوغا*، فإن بجوان كذلك بيّن في بعض الأوقات التشابه مع *باكتي*، نهج التعبد، وقال أن النهجين يقودان إلى ذات النهاية. إن التعبد التام يعني التسليم التام لأننا المغرورة إلى الله أو الـ جورو والذي يُنظر إليه على أنه غير ذات المرء، بينما نهج الاستفهام عن الذات يقود إلى فناء الأنا المغرورة. سيتم الحديث حول *باكتي* مارجا بشكل أكبر في الفصل القادم، لكن التفسير الآتي يُظهر كيف أن كلا النهجين يلتقيان.

د: إذا ما كانت الـ "أنا" وهم، من هو ذا إذن الذي يتخلص من

هذا الوهم؟

بجوان: الـ "أنا" تتخلص من وهم الـ "أنا" وتظل "أنا"، هذه هي مفارقة إدراك الذات، ولكن المرء المُدرك لا يرى أي مفارقة في هذا. خذ مثلاً حالة العابد، تراه يتقرب إلى الله ويصلي له كي يكون مُستغرقاً فيه، ومن ثم فهو يسلم نفسه بالإيمان والتركيز، ما الذي يتبقى بعدئذٍ؟ يُخلف تسليم النفس في موضع الـ "أنا" الأصلية رواسب الله الذي فيه تفتى الـ "أنا". هذه هي الصورة الأسمى للتعبد أو الاستسلام وذروة عدم التعلق.

قد تتخلى عن هذا وذاك من متاعـ "سي"، لكن إذا ما قمت بدل ذلك بالتخلي عن "أنا" و"لي" فإنك تكون قد تخليت عن الكل بضربة واحدة، وبهذا تُسحق صميم بذرة التملك. وبالتالي يكون قد تم جَزَّ الشر في البرعم أو تهشيمه في النواة؛ ولكن لفعل هذا فلا بد أن يكون عدم التعلق قوياً، والرغبة الملحة لفعل هذا يجب أن تعادل رغبة ذلك الإنسان المغمور رأسه في الماء وكل مناه أن يطفو إلى سطح الماء ليتنفس الهواء.

إذا كان تشبث الخواطر أمرٌ خطرٌ من جهة فإن النوم أيضاً خطرٌ من جهة أخرى. في الواقع، فإن الناس الذين يبدؤون بسلوك طريق رُوحى قد تجتاحهم موجة عارمة من النعاس ما أن يشرعون بالتأمل، ومن ثم فإنهم إذا توقفوا عن التأمل، يمر هذا الشعور حينها ولا يعودون نَعسين بالمرّة. إن هذا ببساطة هو أحد أشكال مقاومة الأنا المغرورة ويجب تحطيمه.

ذَكَرَ السيد باركافا شيئاً ما حول النوم وهذا بدوره قاد بجوان إلى لتحديث عن النوم على النحو الآتي:

المطلوب هو البقاء ثابتاً في الذات دائماً، والعقبات التي تعترض هذا تتمثل في تشبث الفكر عبر الموجودات الدنيوية (بما في ذلك المحسوسات، الشهوات والنوازع) من جهة، والنوم من جهة أخرى. لقد تم ذكر النوم دوماً في الكتب على أنه العقبة الأولى القائمة على الطريق نحو

مقام الـ *سمادي*، وقد تم وصف طرق متعددة لتجاوز هذه العقبة بما يتناسب ودرجة تطور الشخص المعني. أولاً، فالمرء ملزم بالتخلي عن التشتت الفكري الدنيوي وأن يلجم النوم، ولكنه يقال على سبيل المثال في الـ *كبيتا*، بأن المرء لا يحتاج أن يتخلى عن النوم بشكل كلي، فعلى المرء أن لا ينام على الإطلاق أثناء النهار، وحتى خلال الليل عليه أن يَحصر ساعات النوم في الثلث الأوسط من الليل، أي من الساعة عشرة وحتى الثانية. لكن ثمة طريقة أخرى توصي بعدم القلق حيال النوم على الإطلاق، ففي أي وقت يداهمك فيه النوم لن يكون باستطاعتك فعل شيء، لذا إبقِ ببساطة راسخاً في الذات أو في التأمل في كل لحظة من ساعات اليقظة وأمسك بالتأمل من جديد في اللحظة التي تستيقظ فيها وهذا سيكون كافياً. ومن ثم فإنه حتى أثناء النوم، سيستمر نفس تيار الخاطرة أو التأمل في الجريان. هذا أمر واضح لأنه إذا ما خَلد الإنسان للنوم بأي خاطرة قوية تجري في عقله، فإنه سيجد نفس الخاطرة حاضرةً عندما يستيقظ. إن المرء الذي يقوم بهذا في التأمل، يُقال أن حتى نومه *سمادي*.

من المهم تذكر هذا لأن الـ مهاريشي غالباً ما تحدث عن النوم كمثال لحالة انعدام الأنا المغرورة. وكما يُظهر المقطع أعلاه، فإن بجوان لم يعن أنه ينبغي تشجيع النوم الجسماني، فهو ليس إلا النّظيرُ المظلم اللاواعي بالمقام الحقيقي لانعدام الأنا المغرورة، والذي هو وَعْيٌ خالص.

ثمة مصدر آخر للأسئلة أتى من أولئك الذين مضوا بعيداً في التأمل فكان أن واجهوا في بعض الأحيان الفراغ أو الخلاء أو اعتراهم الشعور بالخوف، ولكن قيل لهم بأن يتابعوا قابضين بقوة على ذلك الذي يُعاش الخلاء أو الخوف، كما تم إعطاء نفس الجواب لأولئك الذي عاشوا حالاً من النعيم. لا يمكن أن يكون هناك خوف ولا سعادة، لا شيء مرئي ولا فراغ بدون أن يكون هناك أحد يعايشه.

د.: عندما أدخل في طور اللاخاطر أثناء ممارسة رياضي الروحية *سائدنا*، تجدني أتلذذ بأنس معين ولكن في بعض الأوقات أعيش أيضاً وحشةً مريبةً لا قبل لي على وصفها.

بجوان: أياً كان ما تعاشه فلا يجب أن نقنع به، سواءً كنت تشعر بالأنس أو الوحشة، إسأل نفسك من يشعر بهذا وثابر على بذل جهودك إلى أن يتم السمو فوق الأنس والوحشة كليهما وإلى أن تنقطع كل الثنوية، وعندئذٍ وحدها الحقيقة تبقى. لا خطأ في معايشة أشياء كهذه لكن لا يجب أن تتوقف عندها، فعلى سبيل المثال عليك أن لا تهناً بالأنس حال *لايا* (الفناء) الذي يتم معايشته عند وضع حدٍ للخطرة، بل يجب أن تستمر في الدفع بقوة إلى أن ينقطع كل شعورٍ بالثنوية.

وبعد الظهيرة قام السيد باركافا، وهو زائر مُسن من أهالي جانشي في أوتار برادش، بوضع الأسئلة التالية:

1) كيف لي أن أبحث عن الـ "أنا" من البداية وحتى النهاية؟ (2)  
عندما أقوم بالتأمل أصل مرحلة يسودها فراغ أو خلاء، كيف لي أن أتابع المسير من هناك؟

بجوان: سواءً عايشت رؤى أو أصواتاً أو أي شيء آخر من هذا القبيل أو عايشت فراغاً، فلا تلقُ بالاً لهذا أبداً. هل كنت حاضراً أثناء كل هذا أم لا؟ لا بد أنك كنت هناك أثناء ذلك الفراغ لتقول أنك عايشت الفراغ، وأن تكون راسخاً في هذه الـ "أنت" هو البحث من البداية حتى النهاية. ستجد في جميع الكتب حول الـ فيداننا أن السؤال حول الفراغ أو العدم قد تم طرحه من قبل التلميذ والإجابة عليه من قبل الـ جورو. إنه العقل الذي يرى المُبصرات وهو الذي يمر بتجارب ويجد فراغاً عندما يتوقف عن الرؤية والمعايشة، ولكن هذا

ليس "أنت". أنت الوعي المتواصل الذي يسلط النور على المُعايشة والفراغ كليهما معاً؛ الأمر أشبه بإضاءة المسرح التي تُمكنك من رؤية خشبة المسرح والممثلين والمسرحية بينما تجري أحداثها، لكنها أيضاً تبقى مُنارةً لتمكنك من الاستنتاج بأن العرض قد انتهى ولم يعد هناك مسرحية. أو ثمة توضيح آخر: نحن نرى كل الموجودات حولنا ولكن في الظلام المُطبق لا نعود نراها ونقول: "أنا لا أرى شيئاً"، وعلى نحو مُماثل، فأنت موجود هناك حتى أثناء الفراغ الذي ذكرته.

أنت الشاهد على الأجسام الثلاثة: الكثيف واللطيف والسببي، وأنت الشاهد على الأزمان الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل وأيضاً الفراغ. في حكاية الرجل العاشر، عندما قام كلٌّ من العشرة رجال بعدَ الآخرين وظنوا أنهم تسعة فقط حيث أغفل كل واحد أن يعد نفسه، فقد عايشوا مرحلة ظنوا فيها أن أحدهم مفقود ولا يعرفون من هو، وهذا يتوافق مع الفراغ. نحن معتادون للغاية على مفهوم أن كل ما نراه حولنا دائم وأنا هذا الجسد، وأنه عندما ينتفي كل شيء عن الوجود، نتخيل ونخاف بأن نكون نحن أيضاً انتفينا عن الوجود.

إستشهد بجوان أيضاً بالآيات 212 و 213 من *فيفيكاتشود/مني* والتي يقول التلميذ فيها: "بعد أن أستبعد الأحجبة الخمسة على أنها غير الذات، أجد أن لا شيء يبقى على الإطلاق"، وهنا يرد الـ جورو بأن الذات أو ذلك الذي به يتم إدراك جميع التبدلات بما في ذلك الأنا المغرورة وجميع مخلوقاتنا وغيابهم أيضاً المقصود حدوث الفراغ)، هو دائماً هناك.

جوان يكمل ويقول: "إن طبيعة الذات أو "أنا" لا بد وأن تكون الوعي، فأنت تدرك حسيّاً جميع التبدلات وغيابها، كيف؟ للقول بأنك تحصل على الوعي من مصدر آخر فإن ذلك سي طرح السؤال كيف

حصل عليها ولن يكون هناك حد لسلسلة الاستدلال العقلي، لذا فأنت نفسك الوعي، وإليك التوضيح على هذا: أنت تصنع جميع أنواع الحلويات من مكونات متعددة وبأشكال متباينة وجميعها لها مذاق حلو لأن كل منها يحتوي على مادة السكر، والحلاوة هي طبيعة السكر. وعلى نفس النحو، فإن جميع التجارب حضورها وغيابها يتضمن الوعي الذي هو طبيعة الذات. بدون الذات لا يمكن معايشة هذه التجارب، تماماً كما وأنه بدون السكر لا يمكن لأي من المواد التي صنعتها أن تكون حلوة المذاق. (ثم أضاف لاحقاً): في البداية فإن المرء يرى الذات على أنها موجودات، ومن ثم يرى الذات على أنها فراغ، ثم يرى الذات على أنها الذات، و فقط في الحالة الأخيرة لا يوجد رؤية لأن الرؤية هي الكينونة".

قبل إسدال الستار على هذا الفصل سيكون من الملائم أن نقدم المزيد من القواعد المحددة أو نقوم بالإشارة بأنها توجد إلا أنها ليست أساسية. إنه من المعتاد القيام بما يسمى "التأمل" خلال ساعات مُنتظمة في النهار والليل، جالساً بعمود فقري منتصب وعينين مغلقتين؛ أقول "ما يسمى بالتأمل" لأن هذه الكلمة يتم استخدامها بشكل عام للاستفهام عن الذات والتركيز على "أنا أكون" أو القلب كما قد وُصف في هذا الفصل، وهو بالطبع بعيد عن التأمل الفكري الذي يذهب على نحو مشترك مع هذا الاسم. من الطبيعي في الهند أن يجلس المرء مُتصالب الرجلين على الأرض، ولكن على كل حال، فإن جميع القواعد الموضوعية لتقنيات كهذه هي ذات أهمية أقل في طريقة الاستفهام عن الذات من أهميتها في طرائق أقل مباشرة. في الواقع، فإن هذا جلي من الحقيقة التي تقول بأن الاستفهام عن الذات يجب إطالته بشكل تدريجي عن الساعات المحددة للتأمل إلى أن يُصبح التيار التحتي لكل الخواطر والأفعال الجارية.



قام السيد إيفانز-وينتز بتوجيه بعض الأسئلة التي تتعلق بالـ  
يوغا، حيث كان يتطلع لأن يعرف عما إذا كان من الصواب قتل  
الحيوانات مثل النمور، الطيبان وخلافه واستخدام جلودها كبساط  
لوضعية الـ يوغا (آسنا).

بجوان: العقل هو النمر أو الطيبي.

د.: إذا ما كان كل شيء وهماً ليس إلا، هل يستطيع المرء إذن

أن يعيش الحياة؟

بجوان: من لديه الوهم؟ هذا ما عليك أن تجده. في الواقع، فإن

كل فرد هو قاتل للذات (آتماهن) في كل لحظة من لحظات حياته.

د.: أي الوضعيات هي الأفضل؟

بجوان: أية وضعية، ربما وضعية سوكاسنا (الوضعية السهلة أو

نصف بوذا)، لكن هذا ليس بذي أهمية على (طريق المعرفة) نيانا.

د.: هل تدل الوضعيات على الطبع؟

بجوان: نعم.

د.: ما هي خصوصيات وآثار جلد النمر أو الطيبي أو الصوف

كبساط للجلوس؟

بجوان: بعض الناس قد وجدوها ووصفوها في كتب عن الـ

يوغا، فهي تتوافق مع ناقل أو عدم ناقل المغناطيسية، وخلافه. لكن

كل هذا ليس بذي أهمية على طريق المعرفة (نيانا مارجا)، فالوضعية

تعني حقاً "الرسوخ في الذات" وهي باطنية.

د.: ما هو الوقت الأكثر ملائمة للتأمل؟

بجوان: وما هو الوقت؟

د.: قل لي ما هو!

بجوان: الوقت مجرد فكرة ووحدها الحقيقة توجد. أياً ما تفكر بأنه يكون فإنه سيبرز ليكون، إذا ما سميتَه وقتاً فسيكون وقتاً، وإذا سميتَه وجوداً فسيكون وجوداً وهكذا دواليك. بعد أن تسميه بالوقت، فأنت تُقسمه إلى أيام وليالي، أشهر وسنين، ساعات ودقائق وهلم جره. إن الوقت لا يهتم على طريق المعرفة، ولكن بعض هذه القواعد والضوابط مُفيدة للمبتدئين.

د.: هل يُوصي بجوان بأي وضعية جسمانية خاصة للأوروبين؟  
بجوان: الأمر يعتمد على العتاد الفكري للفرد، لا يوجد قوانين صعبة وسريعة.

د.: هل يجب القيام بالتأمل بعينين مفتوحتين أم مُغلقتين؟  
بجوان: يمكن القيام به بأي من الطريقتين؛ الذي يهتم هو توجيه العقل نحو الداخل وأن يظل مُتابراً خلف مُبتغاه.

كان يحدث في بعض الأحيان وذلك عندما تكون العينان مُغلقتان أن تتدافع الخواطر الكامنة للخارج بحماسة عظيمة، ومن ناحية ثانية فإنه قد يكون من الصعب توجيه العقل إلى الداخل بعينين مفتوحتين، فالأمر يتطلب قوة من العقل. إن العقل صافٍ بطبعه ولكنه تشوبه الشوائب بآبوائه للمحسوسات، وأعظم شيء يمكن فعله هو إبقاء العقل نشطاً في مسعاه بدون إيواء أية انطباعات خارجية أو التفكير بأشياء أخرى.

رغم أن المهاريشي، كما سيظهر الفصل القادم، قد وافق على طرائق متعددة وأجاز بها عندما كانت تلائم السالك، إلا أنه كان حريصاً على أن لا يتم خلط هذه الطرائق بالطريقة المباشرة للاستفهام عن الذات. على سبيل المثال، ثمة طرق غير مباشرة تُتَمي بشكلٍ دؤوب فضائل متعددة، ولكن عندما كان يُسئل عن هذا،

كان بجوان يجيب ببساطة بأنه لا ضرورة لتقنية كهذه على الطريق المباشر للاستفهام عن الذات.

د.: تذكر بعض الكتب بأنه على المرء أن يُنمي كل الخصال الحميدة واللاهوتية وذلك كي يهيء نفسه لإدراك الذات.

بجوان: جميع الخصال الحميدة واللاهوتية تحتويها المعرفة الروحية، وكل الخصال المذمومة أو الشيطانية هي مُحْتَوَاة ضمن الجهالة. عندما تهل المعرفة، فإن الجهالة تولي الأدبار وهنا تبرز كل الخصال الإلهية تلقائياً. إذا كان الإنسان مُدركاً للذات فإنه لا يمكن أن يتفوه بكذبة أو أن يرتكب خطيئة أو أن يفعل أي خطأ. لا شك أنه يُقال في بعض الكتب بأنه على المرء أن يُنمي الخصال الحميدة الواحدة تلو الأخرى وهذا يهيء لبلوغ الإدراك المطلق؛ لكن ولأولئك الذين يتبعون *نيانا مارجا* (طريق المعرفة) فإن الاستفهام عن الذات يكفي لاكتساب كل الخصال الحميدة، وهم لا يحتاجون لفعل أي شيء آخر.

بشكل عام، فقد وافق بجوان على استخدام التسابيح من قِبل أولئك الذين وجدوها مُفيدة لهم، ولكنه كان مُصرّاً على أن الاستفهام عن الذات لا يجب أن يتحول إلى مانترا.

د.: أرجوك قل لي كيف لي أن أدرك الذات؟ هل علي أن أحيل عبارة "من أكون أنا؟" إلى مانترا؟

بجوان: كلا، ليس المقصود أن يتم استخدامها كـ *مانترا*.

على كل حال فإن الطريقة الأكثر عرضةً لخلطها بطريقة الاستفهام عن الذات هي التأمل في "أنا أكون هو"، ولهذا فقد حذر بجوان مراراً من هذا الخط.

الاستفهام عن الذات هو طريقة مختلفة عن التأمل في "أنا أكون شيئاً" أو "أنا أكون هو"؛ بدوري أفضل التشديد على معرفة الذات لأنك أولاً معني بذاتك قبل أن تغذ السير لمعرفة العالم وربّه. إن التأمل في "أنا أكون هو" أو "أنا أكون برّمان" هو تأمل فكري نوعاً ما بينما البحث عن الذات الذي أتحدث عنه فهو طريقة مباشرة وأرفع مقاماً من الأخرى لأنه حالماً تأخذ على عاتقك مهمة البحث وتبدأ بالغوص بشكل أعمق وأعمق، ستجد أن الذات الحقيقية تنتظر هناك لاستقبالك، وعليه سيكون أيّ ما تم فعله، قد تم فعله من قبل شيء آخر وليس لك يد فيه. خلال سير هذه العملية يتم التخلي تماماً وتلقائياً عن كل الشكوك وذلك كالذي ينام فينسى كل أعبائه أثناء النوم.

رغم أن النصوص المقدسة تنادي بـ "أنت تكون ذاك"، فإن هذا ليس سوى دليل على ضعف التأمل في "أنا أكون ذاك، ليس هذا"، وذلك لأنك للأبد ذاك. الذي يجب فعله هو التحري عما يكونه المرء حقاً والبقاء في ذلك.

فقط في حال تبادرت خاطرة "أنا أكون جسداً"، فإن التأمل في "أنا لست هذا، أنا أكون ذاك" سيساعد المرء لأن يستقر به الحال على أنه ذاك؛ عدا عن ذلك فلم عليك أن تفكر على الدوام بـ "أنا أكون ذاك"؟ هل من الضروري للمرء أن يفكر في "أنا أكون إنساناً"؟ ألسنا ذاك دوماً؟

قدّم شخص بنجابي نفسه للـ مهاريشي على أنه مُرسَل إلى هنا من قبل سنكراتشاريا لـ كاماكوتي بيتتا من جاليشوار قرب بوري-

جاغانات، وهو رَحالة يجوب العالم؛ وبينما كان يمارس الـ *هاتا يوغا* وبعض التفكير في "أنا أكون برّمان"، حدث وأن عمّ فراغ وبدأ دماغه يسخن ومن ثم أصابه الهلعُ من الموت. لذا فهو يطلب إرشاداً من الـ مهاريشي.

بجوان: من يرى الفراغ؟

د.: أعلم أنني أنا الذي أراه.

بجوان: إن الوعي المُراقب للفراغ هو الذات.

د.: هذا لا يكفي، فأنا لا أستطيع إدراكها.

بجوان: الخوف من الموت ينبعث فقط عندما تنبعث خاطرة الـ

"أنا"؛ موت من تخاف؟ بمن حلّ الخوف؟ طالما أن هناك تماهياً للذات مع الجسد فسيكون هناك خوف.

د.: لكنني لست واعياً بجسدي.

بجوان: من يقول أنه ليس واعياً؟

د.: لا أفهم.

(طُلب منه لاحقاً بأن يشرح طريقته في التأمل فقال: أهام

برّماسمي "أنا أكون برّمان".)

بجوان: "أنا اكون برّمان" هي مجرد خاطرة، لكن من يلفظها؟

برّمان ذاته لا يلفظ هذا. ما الحاجة لديه للفظها؟ ولا حتى يمكن للـ "أنا"

الحقيقية أن تقول مثل هذا، لأن "أنا" دائماً تستوطن كـ برّمان، لذا فهي

مجرد خاطرة. خاطرة من هي؟ كل الخواطر تنبثق من الـ "أنا"

غير الحقيقية، أي خاطرة الـ "أنا". إبقَ بدون تفكير، فطالما أن هناك

خاطرة، سيكون هناك خوف.

د.: عندما أمضي بالتفكير في هذه العبارة، فإن النسيان يعقب

هذا؛ الدماغ يصبح ساخناً وأغدو خائفاً.

بجوان: نعم، العقل متمركز في الدماغ وبالتالي فأنت تشعر بالسخونة هناك، هذا سببه خاطرة "أنا". طالما أن هناك تفكير فسيكون هناك نسيان. عندما يكون هناك خاطرة "أنا أكون برّمان"، فإن النسيان يحدث على حين غرة، ومن ثم فإن خاطرة "أنا" تتبع وتبعث ومعها ينبعث الخوف من الموت في آنٍ معاً:

النسيان والتفكير يخلان فقط على خاطرة "أنا".

قَم بِتَحْرِي هَذَا وَمِنْ ثَمَ فَإِنَّهَا سَتَحْتَفِي كَشَبْحٍ، وَالَّذِي يَبْقَى هُوَ الـ "أنا" الحقيقية، هذه هي الذات. إن خاطرة "أنا أكون برّمان" قد تكون وسيلة مساعدة للتركيز باعتبار أنها تُبقي الخواطر الأخرى بعيداً وتحتّ السير بمفردها، لكن عليك أن تسأل لاحقاً: خاطرة من هي؟ وأذاك ستجد أنها مُنبثقة عن الـ "أنا" ولكن من أين تنبثق خاطرة الـ "أنا"؟ أسبر أغوارها وعندئذٍ ستتلاشى، والذات الأسمى ستسطع بنفسها. لا حاجة لبذل جهد أكثر. عندما تبقى الـ "أنا" الواحدة الحقيقية بمفردها، فلن يكون هناك حاجة لقول "أنا أكون برّمان". هل يكرر الإنسان القول "أنا إنسان"؟ إذا لم يطعن أحدٌ في صحة هذا، لمَ عليه أن يصرح بأنه إنسان؟ هل يحسب أي أحد نفسه حيواناً مما يستوجب عليه أن يقول "كلا، أنا لست حيواناً بل أنا إنسان"؟ على نحوٍ مشابه، وحيث أن برّمان أو "أنا" وحدها تكون، فإنه لا يوجد أحد ليعترض عليها، وبالتالي فإنه لا حاجة لتكرار "أنا أكون برّمان".

تم خلال هذا الفصل الحديث عن الاستفهام عن الذات كرياضة روحية أو "تأمل" يجب ممارسته في أوقات مُحددة. نعم فالأمر حقيقةً يبدأ هكذا وطالما أن بذل الجهد مطلوب، فإن رَصَدَ أوقاتِ كهذه للنهوض بالتأمل المُكثف تستمر في كونها أمراً مفيداً ولكن هذا ليس كافياً. إن الوعي بالذات الذي تبدأ معاشته أثناء تأملٍ كهذا يجب تنميته في أوقاتٍ أخرى أيضاً، ومن ثم يبدأ في الحقيقة بالإفاقة بشكلٍ عقوي مُشكلاً تياراً تحتياً لجميع نشاطات المرء، فالهدف هو جعله أكثر

استمرارية. سيرى القارئ بأن هذا يُفسّر إيعاز بجوان، المُشار إليه في الفصل الثالث، لأن يضطلع المرء ببحثه الروحي وهو مُخرطٌ في الحياة الدنيا وأن لا يعتزل في صومعة.

د.: هل التأمل المُنتظم ضروري لتقوية العقل؟

بجوان: ليس إذا ما أُبقيت دائماً قبالتك الفكرة القائلة بأن هذا ليس عملك. في البداية فإن بذل الجهد مطلوبٌ لتُذكر نفسك بهذا، ولكن لاحقاً فإن الفكرة تغدو طبيعية ومُتواصلة، والعمل سيستمر من تلقاء نفسه وسكينتك ستبقى بلا اضطراب. إن التأمل هو طبيعتك الحقيقية، أنت تسميه الآن تأملاً لأن هناك خواطر أخرى تُشتتكَ، ولكن عندما يتم تبديد هذه الخواطر، فإنك تبقى وحيداً - هذا في حال التأمل، الخالي من الخواطر، وهذه هي طبيعتك الحقيقية التي تحاول الآن أن تتركها عبر إقصاء الخواطر الأخرى جانباً. هذا الإقصاء للخواطر الأخرى هو ما يُسمى الآن بالـ "تأمل"، ولكن عندما يصبح التمرن متيناً، فإن طبيعتك الحقيقية تُبرز ذاتها كتأمل حقيقي.

لأجل السبب المذكور في الفصل السابق، فإن الـ جورو غالباً ما يتحفظ على تقنية الرياضة الروحية كسرٍ ييوح به فقط لأولئك الذين يراهم جديرين بحمل هذا السر ويلقنهم إياه بشكلٍ شخصي. على كل حال، فإنه ما من حاجةٍ لاحتياطٍ كهذا في طريقة الاستفهام عن الذات كما علمها بجوان، حيث أن درجة فهم المرء هي من يفتح له أبواب هذه الطريقة، كما يمكن لقلّة فهمه أن تغلقها.

د.: هل لي أن أطمئن بأنه ما من مزيدٍ لأتعلّمه فيما يتعلق

بتقنيات الرياضة الروحية عدا عن ما هو مُدَوّن في كتب بجوان؟ أسأل هذا

لأنه في جميع الأنظمة الأخرى يتحفظ الـ جورو على بعض التقنية السرية والتي يكشفها لتلميذه وقت التلقين.

بجوان: ما من مزيد لتعرفه أكثر من ذلك الذي تجده في الكتب. ليس هناك تقنية سرية، والمسألة كلها سر مفتوح في هذه الطريقة.



## الفصل السادس

### الطرائق الأخرى

د.: أي طريقة هي الأفضل؟

بجوان: هذا يعتمد على طبيعة الفرد، فكل شخص يُولد بـ *سَمسكاراز* (سمات أو نوازع) من حيواته السابقة؛ وعليه فإن طريقة ما ستكون سهلة لشخصٍ وأخرى لآخر، لا يمكن أن يكون هناك قاعدة عامة.

يشير بجوان في المقطع التالي إلى الغرض من كل الطرائق وإلى الهدف الذي تصبو إليه.

توجد طرائق عديدة، فقد تمارس الاستفهام عن الذات سائلاً نفسك "من أكون أنا؟"، وإذا لم يَرُقْ لك هذا فقد تتأمل في "أنا أكون برمان" أو في موضوع آخر، أو قد تُركز على *مانترا* ما أو تقوم بابتهاالٍ ما. وهنا فإن الغاية من كل طريقة تَصيير العقل أحادي الوجهة، أي جعله يركز على خاطرة واحدة وبالتالي يُقصي الخواطر الأخرى العديدة. إذا قمنا بفعل هذا، فإن الخاطرة الواحدة سترحل بالنتيجة وسيُخدم العقل في مكمّنه.

قام الدكتور ماسالولا بوضع رسالة بين يدي بجوان كان قد استلمها من صديقه في. كي. أجغاونكار، وهو سيد في الـ 52 من عمره (وهو أحد أنصار نينانشوار مَهارج) الذي يُقال بأنه قد بلغ الـ *نيانا* في سنه الـ 28. يقول نص الرسالة: "أنت تسميني *بورنا*، من هو ليس *بورنا* في هذا العالم؟ وافق بجوان على هذا ومتابعاً بنفس المنوال الذي تحدثت به هذا الصباح (15-3-46) قال: "نحن نقيد أنفسنا في البداية وثم ننشد أن

نصبح غير محدودين، أي كما نحن عليه في الواقع دوماً. إن جميع جهودنا تصب في التخلي عن مفوم أننا محدودين..."

مضت الرسالة تقول: "إن رَمَنَا مهاريشي مُفسرٌ لعقيدة *أجاتا* للـ *أدفايتا فِدانتا*، وبالطبع فإن الأمر صعب إلى حد ما." هنا علق بجوان على هذا قائلاً: "البعض قد نقل له هذا، ولكني لا أعلم عقيدة *أجاتا* فقط، بل أقر بجميع المدارس، فالحقيقة ذاتها يجب التعبير عنها بطرق مختلفة لتلائم استطاعة السامع. إن عقيدة *أجاتا* تقول: "لا شيء يوجد عدا الحقيقة الواحدة، فلا ولادة ولا موت، لا إسقاط ولا انكفاء، لا جهد، لا مرید، لا خلاص، لا قيد ولا حرية. وحدها الوحدة الواحدة توجد للأبد". لأولئك الذين وجدوا الأمر صعباً لفهم هذه الحقيقة ويسألون: "كيف يمكننا تجاهل هذا العالم المادي الذي نراه من حولنا؟"، تم توضيح تجربة الحلم وقيل لهم "إن كل ماترونه يعتمد على الرائي، وبمعزل عن الرائي فلا شيء مرئي"، وهذا يُسمى *درشتي-سرشتي-فادا* أو الجدل بأن المرء يقوم أولاً بخلق كل شيء من عقله، ومن ثم يقوم برؤية ما قد خلقه عقله. لذلك فإن الذي لا يمكنه فهم حتى هذا والذي يمضي في جداله قائلاً: "إن تجربة الحلم جداً قصيرة، بينما العالم يوجد على الدوم؛ فتجربة الحلم كانت مُقتصرة علي أنا، أما العالم فقد تم الشعور به ورؤيته ليس من قبلي أنا فقط بل من قبل العديدين ولا نستطيع تسمية عالم كهذا بأنه غير موجود". تم تناول الجدل المُسمى بـ *سرشتي-درشتي-فادا* وقيل لهم: "الله أولاً خلق هذا وذلك عن طريق العنصر هذا وذلك، ومن ثم شيء آخر" وهكذا دواليك؛ وهذا لا شيء آخر سيُرضي هذه الفئة وإلا فإن عقلهم لن يقنع وسيسألون أنفسهم: "كيف يمكن أن تكون كل الجغرافيا، كل الخرائط، كل العلوم، النجوم، الكواكب، والقوانين النازمة أو المتعلقة بها، أن يكون كل هذا غير

حقيقي؟" لهذا فإنه من الأفضل القول لأولئك: "نعم، لقد خلق الله كل هذا وبالتالي فأنت تراه."

إعترض الدكتور مآسالولا قائلاً: "لكن لا يمكن أن تكون كل هذه التعاليم حقيقية، لا بد وأن تكون عقيدة واحدة فقط هي الحقيقية." بجوان قال: "كل وجهات النظر هذه وُجِدت فقط لتتواءم مع إمكانيات المتعلم، أما المُطلق فلا يمكن أن يكون إلا واحداً فقط."

من ناحية ثانية ورغم أن بجوان أقر بالطرق الأخرى لأولئك الذين لم يستطيعوا اتباع الاستفهام عن الذات، إلا أنه قال للكاتب الحالي: "كل الطرق الأخرى تقود إلى الاستفهام عن الذات"، وكان ما إذا وجد أحد المؤمنين به طريقة ما أخرى، طريقة أقل مباشرة ولكنها تفيد بشكل أفضل، فإن بجوان كان يُرشده فيها إلى أن يستطيع بالتدرج أن يجلبه إلى الاستفهام عن الذات.

في حديثه عن الطرق التي لا حصر لها لمريدي الله على اختلافهم، فإن بجوان قال: "يجب السماح لكل امرئ بأن يمضي في طريقه، في الطريقة التي ربما صُممَ وحده لأجلها، فما الفائدة من أن تُحوّله لطريق آخر بالعنف. إن الـ جورو سيسير مع المريد في طريقه وبالتدرج يوجهه نحو الطريق الأسمى عندما يحين الوقت. لنفترض أن هناك سيارة تسير بأقصى سرعتها، فإن إيقافها وتحويل مسارها على الفور قد يتسبب بحادث اصطدام."

ليس بالضرورة أن تخلو الطرائق الأخرى من الاستفهام عن الذات. في الواقع، فإن بعض هذه الطرائق قد يكون متآلفاً مع طريقة الاستفهام عن الذات بشكل ممتاز.

## سات ساتك

إن أعظم وسائل المساعدة لإدراك الذات هي حضرة رجل مدرك، وهذا يسمى *سات ساتك* ما يعني حرفياً "صُحبة الكينونة". حتى هنا، فإن بجوان كان يشرح في بعض الأوقات أن "الكينونة" الحقيقية هي الذات ولهذا فإنه لا حاجة لهيئة جسمانية للـ *سات ساتك*. رغم ما سبق، فإنه لطالما أسهب في ذكر فوائدها.

إن الاختلاط بالحُكماء الذين أدركوا الحقيقة يزيل التعلقات المادية، ومع زوال هذه التعلقات، تهلك تعلقات العقل أيضاً. أولئك الذين تهلك تعلقاتهم العقلية يضحون واحداً مع ذلك عديم الحركة، ويحرزون الخلاص بينما هم أحياء. إقبض على الاختلاط بحكماء كهؤلاء.

إن تلك الحال الأسمى التي يتم بلوغها هنا والآن كنتيجة لمعاشرة الحكماء، والمدركة من خلال التأمل العميق للاستفهام عن الذات بالاتصال مع القلب، لا يمكن اكتسابها بمساعدة الـ جورو أو من خلال المعرفة بالنصوص المقدسة، أو عبر حَسنة روحية أو عبر أي وسيلة أخرى.

إذا ما تم للمرء مُخالطة الحكماء، فما الفائدة من الطرائق المتعددة لضبط الذات؟ قل لي بماذا تفيد المروحة عندما تهب الريح الباردة الجنوبية العليلية؟ إن احترار الهيجان الفكري والبدني يهدأ بواسطة (أشعة) القمر؛ الفاقة والتعاسة تزولان عبر شجرة *كالبكا*؛ الذنوب تجرفها مياه نهر الغانج المقدسة، إلا أن كل هذه البلايا مُجمعة تُطرد بمجرد *درشن* (رؤية) الحكيم الذي لا ند له.

لا يمكن لمياه الحج المقدسة ولا لتمثيل الآلهة المجبولة من فخار وحجارة أن تُقارن بنظرة الحكيم الخيرة، فأولئك يطهرون المرء بعد أيام لا عد لها من المنة؛ أما الحكيم فما أن يغمز أحدهم بنظرته الرؤوفة حتى يتطهر على الفور.

يجب التنويه بأن هذه الآيات الخمس لم يتم تأليفها حقيقة من قبل بجوان بل تمت ترجمتهما من السنسكريتية لإدراجها في كتابه (ملحق الآيات الأربعين). إن العبارة في الآية الثانية التي تقول أن مينة كهذه لا يمكن نيلها بمساعدة الـ جورو تستخدم كلمة "جورو" بمعناها الأدنى أي "معلم"، ولو كان الأمر على خلاف ذلك، لكان سيكون لها ذات المعنى كـ "حكيم" وعندئذ ستكون المقارنة عديمة الجدوى.

## التحكم بالنفس

يمكن للتحكم بالنفس أن يحمل العديد من المعاني، فقد يعني حبس النفس أو ضبط التنفس وفق إيقاع ثابت، أو مجرد مراقبة التنفس والبقاء منتبهاً له. مهاريشي حول غالباً باستخدام التحكم بالتنفس ولكنه لم يُحدّد قاعدة للشكل الذي عليه أن يأخذه، ربما لأن أولئك الذين طلبوا منه إجازة استخدامه كانوا يمارسون أحد أشكاله التي كانت قد وُصفت لهم من قبل جورو ما، وأرادوا أن يعرفوا فقط إذا ما كان باستطاعتهم المواظبة على ذلك الشكل. رغم أن بجوان نفسه كان أهلاً لترخيص أية رياضة روحية، إلا أنه لم يُعلم أو يصف الأشكال الأكثر تقنية للتحكم بالنفس.

حيث أن هناك طُروحات مُسهبة حول مبادئ *أشتانجا يوغا* فقد تم هنا عرض الضروري منها فقط، وعلى أي امرىء يرغب في معرفة المزيد أن يلجأ إلى يوغى مُتمرس ذو باع وخبرة وأن يتعلم منه بالتفصيل.

وحدها مراقبة النَّفس كانت الشكل الذي يوصى بجوان عادةً بممارسته لدى حديثه عن التحكم بالنَّفس، وهو النوع الأقل إيذاءً إذا ما تمت ممارسته بدون إرشاد من جورو مُتخصص في هذا النوع من الطريق التقني واللامُبَاشِر.

قام السيد براساد بالسؤال عما إذا كان الشكل المُنتظم من التحكم بالنَّفس هو الأفضل حيث يقوم المرء بالشهيق، يحبس النفس، يقوم بالزفير وفق إيقاع 2:4:1، فجاء رد بجوان على النحو الآتي: "جميع هذه الإيقاعات يتم ضبطها في بعض الأوقات ليس بالبعد ولكن بتريديد الـ *مانتراز* والتي تُعد وسائل للتحكم بالعقل: هذا هو كل ما في الأمر. مراقبة النَّفس هي أيضاً أحد أشكال التحكم بالنَّفس، إلا أن حبس النفس يُعد أكثر عنفاً وقد يكون مؤذياً عندما لا يتوافر هناك جورو كفو لإرشاد المتدرب في كل خطوة من خطواته، لكن مجرد طريقة مراقبة النفس أسهل وغير محفوفة بأية مخاطرة.

لقد كان الـ مَهَارِيشى مُتأنياً في الترخيص لممارسة التحكم بالنَّفس فيشرح الحاجة لاستخدامه قائلاً - بأنه مفيد ببساطة كخطوة تجاه التحكم بالعقل.

إن المبدأ الذي يُشكل الأساس لنظام الـ يوغا هو مصدر الخاطرة والذي هو أيضاً مصدر النَّفس والطاقة الحيوية، لذا فإذا ما تم التحكم بفعالية بأيٍّ من هؤلاء فإنه تلقائياً يتم التحكم بالآخر.

مصدر العقل هو نفسه مصدر النَّفس والطاقات الحيوية؛ إنه تنوع الخواطر ذلك الذي يُكوّن العقل، وخطرة الـ أنا هي الخطرة الأولية للعقل وهي نفسها الأنا المغرورة. لكن النَّفس أيضاً لديه منشأه في نفس الموضوع الذي تتبعث منه الأنا المغرورة. لهذا، وعندما يخبو العقل، فإن النَّفس والطاقات الحيوية تخبو أيضاً؛ والعكس صحيح، فعندما يخبو الأخير، يخبو الأول كذلك.

وُصف النَّفس والقوى الحيوية أيضاً على أنها تجليات كثيفة للعقل، فإلى أن تجيء ساعة الموت، يصون العقل هذه القوى السارية في الجسد الفيزيولوجي ويدعمها؛ وعندما تخدم الحياة فإن العقل يُغلفها ويحملها بعيداً. من ناحية ثانية، فإن القوى الحيوية أثناء النوم تواصل العمل رغم أن العقل لا يكون مُتجلياً، وهذا يحدث وفق القانون الإلهي الذي غايته حماية البدن ودرء أي شك مُحتمل عما إذا كان المرء حياً أو ميتاً وهو نائم. ولولا هذا التنسيق القائم من قبل الطبيعة لكانت الأجساد النائمة أحرقت غالباً وهي لا تزال حية. إن الحيوية الظاهرة في التنفس تُترك من قبل العقل كـ "مراقب"، أما في حالة اليقظة والـ سُمادي، عندما يخبو العقل، فإن النَّفس أيضاً يخبو. لهذا السبب (لأن العقل يتمتع بصلاحيته الإعالة والتحكم بالنفس والقوى الحيوية، وبالتالي فهو يقع في الجانب الأقصى لاثنيهما) فإن تمرين التحكم بالنفس يُعد مجرد تمرين مساعد في تهدئة العقل لكنه لا يستطيع الإجهاز عليه بشكل نهائي.

يلي هذا الكلام أن التحكم بالنفس المُصرح به من قبل شري بجوان، ضروري فقط لأولئك الذين لا يمكنهم التحكم بالعقل بشكل مباشر.

.. هل من الضروري أن يتحكم المرء بنفسه؟

بجوان: التحكم بالنفس هو فقط وسيلة مساعدة للغوص في الباطن. يمكن للمرء أيضاً أن يغوص عبر التحكم بالعقل، وبالتحكم بالعقل فإنه يتم تلقائياً التحكم بالنفس. ليس هناك حاجة لممارسة التحكم بالنفس، فالتحكم بالعقل يكفي. يوصى التحكم بالنفس لذلك الشخص الذي لا يستطيع التحكم بعقله بشكل مباشر.

هذا يقتضي ضمناً أن شري بجوان لم يُرخص مزاولة التحكم بالنفس كتقنية مستقلة، ولكن فقط كطريقة نحو التحكم بالعقل، حيث أنه قد حذر بأن آثار هذه الطريقة ليست دائمة.

لإخماد العقل فإنه ما من وسيلة ناجعة وملائمة كوسيلة الاستفهام عن الذات، فحتى لو خبى العقل عبر وسائل أخرى، فإن هذا سيكون ظاهرياً فقط وسرعان ما ينهض من جديد.

على سبيل المثال، يمكن للعقل أن يخبو بوسائل التحكم بالنفس إلا أن خموداً مثل هذا يستمر تحققه فقط طالما أن التحكم بالنفس والقوى الحيوية قائم، أما عندما يتم إطلاقها فإن العقل أيضاً يتم إطلاقه، وعلى الفور وكونه أضحي خارجي الوجهة، فإنه سيتابع التجوال من خلال قوة النوازع الكامنة الدقيقة فيه.

لهذا، يتعين على أولئك الذين يستخدمون وسيلة التحكم بالنفس وفق الشكل الذي وصفه مهاريشي، أن يعلموا أيضاً متى يجب أن يتخلوا عنه.

بجوان: إن التحكم بالنفس وسيلة مساعدة للتحكم بالعقل، ويُنصح به لأولئك الذين يجدون أنه لا يمكنهم التحكم بالعقل بدون بعض المساعدة. أما أولئك الذين بمقدورهم التحكم بعقلهم والتركيز، فإن التحكم بالنفس ليس



ضرورياً لهم. يمكن استخدام التحكم بالنفس في البداية إلى أن يغدو المرء قادراً على التحكم بالعقل، إلا أنه في النهاية يجب التحلي عنه.

ثمة سبب آخر يقف وراء التحذير من اللجوء إلى وسيلة التحكم بالنفس ألا وهو أنه قد يقود إلى الدخول في تجارب دقيقة يمكن لها أن تشتت المرید عن مَطْمَحِهِ الحقيقي. وكما سيظهر في الفصل القادم، فإن بجوان حذر دائماً من إيلاء القوى والتجارب الخارقة الاهتمام أو إبداء الرغبة في الحصول عليها، فكان أن ربط في بعض الأوقات بين هذا التحذير بالتحديد واستعمال وسيلة التحكم بالنفس.

بجوان: التحكم بالنفس هو وسيلة مُساعدة أيضاً، فهو إحدى تلك الطرائق المتعددة المعنية بمساعدتنا لبلوغ *إيكاراتا* أو العقل الأحادي القطبية. نعم يمكن للتحكم بالنفس أن يساعد أيضاً في التحكم بالعقل الجوال وأن يبلغ هذه الوجهة الأحادية ولهذا يمكن استخدامه، لكن على المرء أن لا يتوقف هناك، فما أن يتم للمرء التحكم بالعقل عبر التحكم بالنفس، يتوجب عليه أن لا يقنع بأي تجربة قد يعايشها جراء ذلك، بل عليه تسخير العقل الملجوم لطرح السؤال "من أكون أنا؟" وهذا إلى أن يمتزج العقل بالذات.

## آسناز

جرت العادة أن يجلس أشياع بجوان قبالة متصالي الأرجل في وضعية تأمل، ولم تكن تُمارس وضعيات يوغية أو *آسناز* أكثر تعقيداً. وكما تم

الشرح في الفصل السابق، فإن وضعيات كهذه هي أقل أهمية في طريقة الاستفهام عن الذات من الطريق اليوغي.

د.: لقد تم ذكر عدد من الـ *آسناز*، أيها الأفضل؟

بجوان: العقل الأحادي الوجهة هو الوضعية الأفضل.

## هاتا يوغا

بجوان: تدعي الـ *هاتا يوغا* أنها تبقى البدن لائقاً مما قد يضع الاستفهام موضع التنفيذ دون عقبات، ويقولون أيضاً أنه يجب إطالة أمد الحياة مما قد يُمكن الاستفهام من الوصول إلى نهاية ناجحة. علاوة على هذا، يوجد هنالك أولئك الذين يتناولون عقاقير شتى (*كايالكالبا*) لأجل هذه الغاية، ومثالهم المفضل أن نسيج القنب يجب أن يكون سليماً قبل أن يبدأ الصبغ. أجل، لكن من النسيج ومن الصبّاغ؟ بالنسبة لهم فإن البدن يقوم مقام القنب والاستفهام عن الذات مقام الصبّاغ، ولكن أليس البدن نفسه صورة منقوشة على نسيج الذات؟

د.: لكن يكثر الحديث عن الـ *هاتا يوغا* كوسيلة مساعدة.

بجوان: نعم، حتى الفقهاء العظام المتبحرين في الـ فيداننا تراهم يستمرون بمزاولتها وإلا فإن عقلهم لن يخبو. لذا يمكنك القول أنها مفيدة لأولئك الذين لا يستطيعون تسكين العقل بدونها.

## التحديق في النور

د.: لمَ ليس على المرء أن يتبنى وسائل أخرى، كالتحديق في النور مثلاً؟

جوان: التحديق في النور يخدر العقل ويصيب الإرادة بإغماءٍ في ذلك الوقت، لكنه لا يحدث فائدة دائمة.

## التركيز على الصوت

ثمة أولئك الذين يركزون على النقاط صوتٍ آتٍ من العالم الأثيري وليس أي صوت فيزيائي. لم ينكر الـ مهاريشي عليهم سلوك هذه الطريقة لكنه ذكرهم بالاعتصام بالذات وأن يلتقطوا ذاك الذي يسمع ذلك الصوت. إن التركيز الذي يتم تحقيقه من خلال ذلك أمر جيد لكنه بحد ذاته لا يقود إلى ما هو أبعد، لذا فإن الاستفهام مطلوب أيضاً.

سيدٌ غوجاراتي قال أنه كان يركز على النقاط صوت (نادا) وأراد أن يعرف إذا ما كانت الطريقة صحيحة.

جوان: التأمل في نادا هو إحدى الطرق المتعددة المُعترف بها، فمناصريها يقولون بحسنات خاصة جداً لها، وبالنسبة لهم فهي الطريقة الأسهل والأكثر مباشرةً. كما هو الحال مع هدهدة الطفل لينام بغناء تهويدة له، كذلك نادا فهي تُسكن المرء لبلوغ مقام الـ سمادي. تماماً مثل ملك يرسل موسيقيي الدولة لاستقبال ابنه العائد من رحلة طويلة، كذلك نادا

تسافر بالمُتعبِد إلى منزل المولى بطريقة مُحبِبة إلى النفس. تساعد نادا على التركيز، ولكن بعد أن يتم البدء بالشعور بها، فإنه لا يجب ممارسة التمرين على أنه الغاية بحد ذاتها؛ فنادا ليست هي الهدف، يجب الإمساك بشدة بموضوع البحث وإلا فإن فراغاً سينتج جرّاء ذلك. رغم أن موضوع البحث موجود دائماً حتى في حالة الفراغ فإنه على المرء أن يتذكر ذاته هو. إن نادا أوباسنا (تأمل الصوت) أمر جيد، ولكنها إذا ما صُوحت بالاستفهام عن الذات فسيكون الأمر أفضل.

## التركيز على القلب أو

### ما بين الحاجبين

التركيز على النقطة التي ما بين الحاجبين هو تمرين يوعي كان بجوان قد أدرك فعاليته خصوصاً عندما يتم الجمع بينه وترديد الـ مانتراز، لكنه أوصى بالتركيز على القلب الكائن في الجانب الأيمن من الصدر كونه أكثر سلامة وفعالية.

ثمة سيدة من مَهَارَشْتِرا في متوسط العمر، كانت قد درست نينيشورِي وفيتشارا سَجارا، كما كانت تُمارس رياضة التركيز على ما بين الحاجبين، ولكن خوف اعترافها وارْتِعاد حَلِّ بجميع أجزاء جسدها وعليه لم تُحرز أي تقدم، وبالتالي فقد طلبت النصح والإرشاد من الـ مَهَارِيشِي. أخبرها الـ مَهَارِيشِي بأن لا تنسى الناظر، فالمنظر قد تم تشبيته بين الحاجبين، لكن الناظر لم يتم إبقائه ضمن مرمى الرؤية. إذا ما تم تذكر الناظر على الدوام فالأمر سيكون حسناً.

قال زائر: يُطلب منا أن نركز على الموضوع الذي على الجبين ما

بين الحاجبين، هل هذا صحيح؟

بجوان: كل امرئ واع بأنه هو ذاته يوجد إلا أنه يتجاهل هذا

الوعي ويجول باحثاً عن الله. ما الفائدة من أن يُثبت المرء انتباهه على ما

بين الحاجبين؟ إن الهدف من نصيحة كهذه هو مساعدة العقل كي يقوى

على التركيز، فهي إحدى الطرائق القسرية لمُعَاينة العقل ومنعه من اللهو

وذلك بتوجيه العقل عُنوةً في قناة واحدة الأمر الذي يشكل عوناً لبلوغ

التركيز، ولكن طريقة الإدراك هي الاستفهام "من أكون أنا؟". إن الإشكالية

الراهنة تؤثر على العقل ويمكن إزالتها فقط عبر العقل.

..: شري بجوان يتحدث عن القلب كمقرٍ للوعي وتمامه مع

الذات، ما الذي تعنيه بالضبط كلمة "القلب"؟

بجوان: إن السؤال عن القلب يتبادر لأنك مُهتم بالسعي خلف

مصدر الوعي. بالنسبة لأصحاب العقول ذات التفكير العميق فإن الاستفهام

عن الـ "أنا" وطبيعتها لديه جاذبية لا تقاوم. سمّه بأي إسم: الله، الذات،

القلب أو مقر الوعي، فجميعها ذات الشيء والنقطة التي يجب فهمها هي

أن القلب يعني صميم الصميم لكيئونة المرء، المركز الذي بدونه لا يوجد

شيء على الإطلاق.

..: لكن شري بجوان قد حدد موضعاً معيناً للقلب ضمن الجسم

الفيزيولوجي - وهو في الصدر، إصبعان إلى يمين المستقيم المتوسط

للصدر.

بجوان: نعم، هذا هو مركز التجربة الروحية وفق شهادة

الحكماء، لكن مركز القلب الروحي مختلف تماماً عن العضو العضلي

الذي يضخ الدم والمعروف بذات الإسم، فمركز القلب الروحي ليس

عضواً في الجسد. كل ما تستطيع قوله عن القلب بأنه صميم كيانك والذي

أنت به مُتماهٍ حقاً (كما تعني حرفياً الكلمة في السنسكريتية) سواءً كنت يقظاً أو نائماً أو تحلم، سواءً كنت منهمكاً في عمل أو غارقاً في الـ سمادي.

د.: في هذه الحالة، كيف له أن يتمركز ضمن أي جزء من الجسد؟ فتحديد موضع للقلب يقتضي ضمناً تحديد قيود فيزيولوجية لذلك الذي هو أبعد من المكان والزمان.

بجوان: هذا صحيح، لكن الشخص الذي يطرح السؤال عن موضع القلب يعتبر نفسه موجوداً في الجسد أو به. بينما تضع السؤال الآن، هل يمكنك القول بأن جسدك وحده هنا أما أنت فتتحدث من مكان آخر؟

كلا، فأنت تقبل بوجودك الجسماني، وبناءً على وجهة النظر هذه تتم الإشارة إلى الجسم الفيزيولوجي. في حقيقة الأمر، فإن الوعي الخالص مُتجانس، فلا أجزاء له، ولا هيئة أو شكل له، لا داخل ولا خارج، لا يمين ولا شمال... إن الوعي الخالص - الذي هو القلب - يشمل الكل، ولا شيء خارجه أو بمعزل عنه. هذه هي الحقيقة المطلقة.

د.: كيف لي أن أفهم مقولة بجوان بأن تجربة مركز القلب يتم مُعايشتها في موضع محدد في الصدر؟

بجوان: الوعي الخالص مُنفصلٌ ككل عن الجسد المادي، والسمو فوق العقل هو مسألة مُعايشة مباشرة. إن الحكماء في يقينهم بوجودهم اللاجسماني السرمدية هو تماماً كيقين الرجل اللامُدرِك بوجوده الجسماني، لكن مُعايشة الوعي الخالص يمكن لها أن تتم بوعي جسماني كما يمكن أن تتم بدونه. في حالة المُعايشة اللاجسمانية للوعي الخالص فإن الحكيم يسمو فوق المكان والزمان، ولا سؤال حول موقع القلب على الإطلاق يمكن أن يتبادر آنذاك. وبما أنه على كل حال لا يمكن للجسد المادي أن

يحيا (بحياة) بمعزلٍ عن الوعي، لذا فإنه يجب المحافظة على الوعي الجسماني من قبل الوعي الخالص؛ إن السابق بحكم الطبيعة محدود ولا يمكن أن يتواجد إلى جانب اللاحق الذي هو غير محدود وسرمدي. الوعي الجسماني هو مجرد انعكاسٍ مُنمّن للوعي الخالص الذي أدرك الحكيم به هويته؛ لهذا فإن الوعي الجسماني بالنسبة له مجرد بصيصٍ مُنعكس عن الوعي الساطع بذاته اللامحدود، والذي هو ذاته هو. وفق هذا المعنى فقط، يكون الحكيم واعياً بوجوده الجسماني.

د.: بالنسبة لأناسٍ أمثالي، الذين لم يُعاشوا القلب مباشرة ولا يحضرهم بالتالي استذكارٌ له، فإن المسألة تبدو عَصِيَّةً على الفهم بعض الشيء. لعل علينا أن نعتمد على بعض التخمين فيما يتعلق بموقع القلب نفسه.

بجوان: إذا كان تحديد موقع القلب يجب أن يعتمد على التخمين حتى في حالة المرء اللامُدرك، فإن السؤال بكل تأكيد لا يستحق ذلك الاعتبار. كلا، ليس عليك الاعتماد على التخمين، بل على الحدس السديد.

د.: من لديه الحدس؟

بجوان: كل الناس.

د.: هل أفهم من هذا بأن بجوان يُقر بأن لدي معرفة حدسية

بالقلب؟

بجوان: كلا ليس بالقلب ولكن بموقع القلب فيما يتعلق بهويتك.

د.: هل شري بجوان يقول أنني أعلم بالحدس موقع القلب ضمن

الجسد المادي؟

بجوان: لمَ لا؟

د.: (مشيراً إلى نفسه بسببأبته) هل يشير بجوان إليّ بشكل

شخصي؟

بجوان: أجل، هذا هو الحدس! كيف أشرت إلى نفسك للتو؟ ألم تضع سببائك على الجهة اليمنى من الصدر؟ هذا بالضبط هو موضع مركز القلب.

د.: هل عليّ إذن الاعتماد على هذا الحدس في ظل غياب المعرفة المباشرة عن مركز القلب؟

بجوان: وما الخطأ بهذا؟ عندما يقول لك تلميذ مدرسة: "إنه أنا الذي حللت المسألة الحسابية بشكل صحيح"، أو عندما يسألك: "هلأ جريت وأحضرت لك الكتاب"، أترأه يُشير إلى رأسه الذي حلّ المسألة أم إلى ساقيه اللتان ستحضران لك الكتاب بسرعة؟ كلا، ففي كلا الحالتين ستراه يوجه إصبعه بشكل فطري بالكامل نحو الجانب الأيمن من الصدر، مما يعطي تعبيراً بريئاً عن الحقيقة العميقة بأن مركز الـ "أنوية" في داخله يوجد هناك. إنه ذلك الحدس السديد الذي يجعله يشير إلى نفسه، إلى القلب الذي هو الذات، بهذه الطريقة؛ وهذه الحركة لا إرادية وعالمية كلياً، ما يعني القول، بأنها هي الشيء ذاته في حالة كل فرد. أي دليل أقوى من هذا يُحدد موقع مركز القلب داخل الجسد المادي تريد؟

د.: ولكن السؤال هو: أيهما الأصح بين الاثنين وبالتحديد: (1) بأن مركز التجربة الروحية هو الموضع الذي بين الحاجبين، (2) أو القلب.

بجوان: لدواعي التمرن، فإنك قد تركز على الموضع الذي بين الحاجبين إذا أحببت، وحينها سيكون هذا ما يُسمى: *بافانا* أو التفكير التخيلي للعقل، في حين أن المقام الأسمى لـ *أنوبافا* أو الإدراك والذي تغدو متماهياً معه ككل، والذي تتحل به شخصيتك الفردية بالكامل، يسمو فوق العقل. ومن ثم، فإنه لا يمكن أن يكون هناك مركز بعينه لمعايشته من قبلك كفاعلٍ متمايزٍ ومنفصلٍ عنه.



د.: أود أن أصيغ سوالي بكلمات مختلفة قليلاً؛ هل يمكن القول أن الموضوع الذي ما بين الحاجبين هو مقر الذات؟

بجوان: أنت توافق على أن الذات هي المصدر المطلق للوعي وأنها توجد على حدٍ سواء أثناء جميع الحالات الثلاث للعقل، لكن أنظر ما الذي يحدث عندما يُداهم النوم شخصاً جالساً في حالة تأمل. كأمرأة أولية على النوم، فإن رأسه يبدأ بالانحناء الأمر الذي لا يمكن له الحدوث لو كانت الذات مُتموضعةً في ما بين الحاجبين؛ لا يمكن تسمية ذلك المركز مقراً لها بدون أن نعني أن الوعي غالباً ما يهجر موضعه، الأمر الذي يُعد عبثياً. في الواقع، فإن الـ سادكا قد يعايش تجربته الروحية في أي مركز أو تشكراً يُركز عليه أو عليها عقله، لكن هذا لا يجعل من ذلك المركز مقراً للذات...

د.: بما أن بجوان يقول بأن الذات قد تعمل في أي من المراكز أو الـ تشكراز بينما مقراً يوجد في القلب، بالتالي أليس من الممكن وعبر التدريب على التركيز المكثف أو النهوض بالـ *ديانا* في ما بين الحاجبين، أن يتحول هذا المركز نفسه إلى مقر للذات؟

بجوان: طالما أن الأمر مجرد مرحلة تدريب للتركيز وذلك كي تتحكم بوضع انتباهك على بؤرة واحدة، فإن أي اعتبار عن مقر الذات قد يظل مجرد تنظير. أنت تعتبر نفسك الفاعل، المشاهد، وبالتالي فإن المكان الذي تُثبت انتباهك عليه يصبح الشيء المرئي، وهذه *بافانا* لا غير. أما وبالعكس، أي عندما ترى المشاهد نفسه، فأنت تندمج بالذات وتصبح واحداً معها، هذا هو القلب.

د.: هل يُنصح إذن بالتدريب على التركيز في ما بين الحاجبين؟  
بجوان: إن النتيجة النهائية للتدريب على أي نوع من أنواع الـ *ديانا* هي انتفاء وجود الموضوع الذي يُثبت المرید عقله عليه كشيء

متمايز ومنفصل عنه؛ فالفاعل والمنفعل فيه يُصبحان ذاتاً واحدة، وهذا هو القلب. إن التدرّب على التركيز على المركز الذي ما بين الحاجبين هو إحدى طرائق التمرن والتي من خلالها يتم التحكم بالخواطر بفعالية، والسبب هو أن جميع الخواطر تُعدّ نشاطاً خارجياً للعقل، والخطرة في الوهلة الأولى تتبع البصر فيزيولوجياً أو ذهنياً. لهذا فإنه من المهم على كل حال أن يتم مُصاحبة هذا النوع من التمرين - القائم على تثبيت المرء لانتباهه على ما بين الحاجبين - بترديد الـ *ماتراز*، لأن ما يلي من حيث الأهمية لعين العقل هو أذن العقل (التصور الذهني للكلام) وذلك إما للتحكم بالعقل وبالتالي تقويته أو لتشتيته وبالتالي إبادته. لهذا، وبينما يتم تثبيت عين العقل على مركز ما، لنقل ما بين الحاجبين على سبيل المثال، فإنه عليك أيضاً أن تردد اللفظ الفكري للإسم الإلهي أو الـ *ماتراز*، وإلا فإن موضوع التركيز سرعان ما سيُفقد من قبضتك. هذا النوع من التمرين يقود إلى تماهي الإسم، الكلمة أو الذات - أيّاً كان الإسم الذي تُسمّه بها - مع المركز الذي تم اختياره لغرض التأمل. إن الوعي الخالص، الذات أو القلب هو الإدراك النهائي.

## الـ سَهَاسِرَارَا

تُعلّم الطرق الـ *تاتتريّة* الانحلال التدريجي للـ *كُنداليني* أو التيار الروحي الذي يربض داخل الإنسان، فحالما يتم حلّ الـ *كُنداليني* صاعدة للأعلى، فإنها تُحرر معها سلسلة من طاقات الـ *تشكراس* أو المراكز الروحية في الجسد، والتي يشرع كل منها بإضفاء قواه ومداركه الخاصة عليها إلى أن تبلغ الذروة في الـ *سهاسرارا* أو اللوتس ذات الألف بتلة المتربعة في الدماغ أو تاج الرأس.

وحين كان يُسئل عن هذا، كان بجوان يجيب بأنه أياً كانت التجربة، فإن المقر المطلق للذات، وبالتالي مقر الإدراك، هو القلب.

د.: لم لا يقوم شري بجوان بتوجيهنا للتدرب على التركيز على مركز مُحدد ما أو تشكراً مُحددة؟

بجوان: تقول الـ *يوغا شاستراز* بأن الـ *سهاسرارا* أو الدماغ هو مقر الذات، وتُخبر الـ *بوروشا سوكتا* بأن القلب هو مقرها. ولتجنب المرید أي شك ممكن، أقول له أن يمكك بخيط أو دليل الـ "أنوية" وأن يتتبعها إلى مكنها. لأنه أولاً يستحيل على أي شخص أن يحتفي بأي شك يساوره حول مفهوم الـ "أنا" هذا؛ ثانياً، أياً كانت الوسائل المُتبناة، فإن الهدف النهائي هو إدراك مصدر أنا أكون الذي تنطلق منه في تجربتك. لهذا فإنك إذا مارست الاستفهام عن الذات، ستصل إلى القلب الذي هو الذات.

د.: هل الـ *جيفانادي* (العمود العصبي الدقيق) يوجد حقاً أم هو مجرد ضربٍ من ضروب الخيال؟

بجوان: يقول الـ *يوغيون* بأن ثمة *نادي* يُسمى *جيفانادي*، *آتمانادي* أو *برانادي*، والـ *أوباناشادز* تتحدث عن مركزٍ يُفزع عنه ألف *نادي*. البعض حدّد هذا المركز في الدماغ والبعض الآخر في مواضع أخرى. تقوم الـ *جرابوباناشاد* بتقصي تشكل الجنين ونموه في الرحم، فتري أن الأنا المغرورة تدخل إلى الجنين من خلال نافوخ الرأس في الشهر السابع من نموه، ولإثبات صحة هذا القول فقد تم التوضيح بأن نافوخ الرأس يكون غصّاً لدى المولود كما يمكن رؤيته وهو ينبض، وهو يأخذ بعض الأشهر لكي يتحجر. وبما أن الأنا المغرورة تنزل من الأعلى، تدخل من خلال نافوخ الرأس وتعمل من خلال الألف *نادي* المُتشعبة في

جميع أنحاء الجسد، لهذا فإنه يتعين على مريد الحقيقة أن يركز على الـ *سهاسرارا*، أي الدماغ، كي يعود إلى مصدره. يُقال أن التحكم بالأنفس يساعد الـ *يوغي* على استنهاض طاقة الـ *كُنداليني-شاكُتي* التي تترقد ملتفة في الضفيرة الشمسية، حيث تنهض الـ *شاكُتي* من خلال عَصَبٍ يُسمى *سُوشُمَنه* وهو مغروس في صُلْب الحبل الشوكي ويمتد إلى الدماغ.

إذا ما ثبت المرء تركيزه على الـ *سهاسرارا* فما من شك بأن نشوة الـ *سمادي* ستعقب ذلك. على كل حال فإن الـ *فَسَناز* والتي هي الكمونيات، لم تفن، لهذا فإنه مُحتمٌ على الـ *يوغي* أن يَفِيق من حال الـ *سمادي* لأن الانعتاق من القيد لم يتحقق بعد، وعليه أن يَعكف على محاولة استئصال الـ *فَسَناز* كي لا تقوم النوازع الكامنة والمتأصلة فيه بإرباك سَكِينة الـ *سمادي* خاصته. لذا فهو يمر نزولاً من الـ *سهاسرارا* إلى القلب من خلال ما يسمى الـ *جيفانادي*، والتي هي مجرد تنمّة للـ *سُوشُمَنه*، وبالتالي فإن الـ *سُوشُمَنه* عبارة عن مُنحنى يبدأ من الضفيرة الشمسية، ويصعد من خلال الحبل الشوكي إلى الدماغ ومن هناك ينعطف إلى الأسفل لينتهي في القلب. عندما يكون الـ *يوغي* قد وصل القلب فإن حال الـ *سمادي* تغدو دائمة، وعليه فنحن نرى أن القلب هو المركز النهائي.

بعض الـ *أوبانِشادز* تتحدث أيضاً عن مائة *نادي* و*نادي* تنتشر من القلب، وأحدها هو الـ *نادي* الحيوي. إذا ما نزلت الأنا المغرورة من الأعلى وانعكست في الدماغ، كما يقول الـ *يوغي*، فلا بد أن يكون هناك سطح عاكس والذي يجب أن يكون أيضاً قادراً على تقييد الوعي اللامحدود بحدود الجسد. باختصار، فإن الكينونة الكونية تصبح محدودة على أنها مغرورة. إن وسيطاً عاكساً كهذا هو مؤثث بمجموع الـ *فَسَناز* للفرد، ويعمل كالماء في الجرة الذي يعكس على صفحته جسماً ما،

فإذا كانت الجرة خالية من الماء فلن يكون هناك أي انعكاس، والشيء الموجود سيبقى بدون أن يكون مُنعكساً. الشيء الموجود هنا هو الوعي الوجودي الكوني الساري في كل شيء ولهذا فهو باطني لدى الجميع، ولا حاجة لإدراكه عبر الانعكاس فقط، فهو متألق بذاته، لذا فإن هدف المرید يجب أن يرمي إلى استفاد الـ فسناز من القلب وعدم تمكين أي وسيطٍ عاكس بأن يُعكّر نور الوعي الأبدي. وهذا يتم إنجازه بالبحث عن أصل الأنا المغرورة وعبر الغوص في القلب. هذا هو الطريق المباشر لإدراك الذات الذي إذا ما تبناه المرء فلا حاجة له لأن يقلق حيال الـ *ناديز*، الدماغ، *سوشمنه*، *كنداليني*، التحكم بالنفس والمراكز الـ *يوغية الستة*.

الذات لا تأتي من أي مكان ولا تدخل أي جسد من خلال تاج الرأس، إنها كما هي، مُتألّفة دوماً، ثابتة دوماً، لا تتحرك ولا تتغير، وتلك التغيرات التي يتم ملاحظتها هي ليست مُتألّفة في الذات، حيث أن الذات تستوطن في القلب وهي ساطعة بذاتها مثل الشمس، والتغيرات يتم رؤيتها في ضوءها. العلاقة بين الذات والجسد أو العقل قد يتم مقارنتها بذلك البلّور الصافي وخلفيته، فإذا ما تم وضع البلّور مُقابل زهرة حمراء فإن البلور سيُشع باللون الأحمر، أما إذا وُضع مُقابل لون أخضر، فسيشع باللون الأخضر، وهكذا دواليك. الفرد يحصر نفسه ضمن حدود الجسد المتغير أو العقل الذي يستمد وجوده من الذات اللامتغيرة. كل ما هو ضروري هو أن يتم التخلي عن هذه الهوية الخاطئة، وبالقيام بهذا، فإن الذات المُشرقة أبداً سيتم إصاها كحقيقةٍ أودية لا ثنوية.

## الصمت

لم يوافق الـ مهاريشي على نذور الصمت إجمالاً، حيث أنه إذا قُبِض للمرء التحكم بالعقل، فإن الكلام العديم الفائدة سيتم تجنبه، لكن تجنب الكلام بحد ذاته لن يَهْدِي العقل، فالمَعْلُول لا يمكن أن يحدث العِلَّة.

د.: ألا يُعد نذر النفس على الصمت أمراً مفيداً؟

بجوان: النذر هو مجرد نذر، فقد يساعد في التأمل إلى درجة ما، لكن ما الفائدة من إبقاء الفم مغلقاً وترك العقل يجري مُشاغِباً؟ إذا ما كان العقل منهمكاً في التأمل فما الحاجة هناك للكلام؟ لا شيء ينفع كالتأمل. ما الفائدة من نذر النفس على الصمت إذا كان المرء مُخرطاً في نشاطٍ ما؟

## الحمية الغذائية

رغم تعليقه بشكلٍ عام أهمية ضئيلة على الوسائل الجسمانية للتأمل، فإن الـ مهاريشي كان مُصرّاً على الإشادة بمزايا أن يحصر المرء نفسه بـ غذاء *ساتفك*، أي غذاء نباتي غير مُهَيَّج.

إن الانتظام في الحمية وحصرها بطعام *ساتفك* يتم تناوله بكميات مُعتدلة، هو أفضل قواعد السلوك والأكثر قيادة إلى تطور خواص العقل (النقية) *ساتفك*، والتي بدورها تساعد المرء في نهوضه بالاستفهام عن الذات.

فيما يلي خلاصة كتاب "الاستفهام عن الذات"، وهو أول الكتب التي كتبها بجوان.

بمقدورنا أن نتبنى حمية بسيطة ومغذية، كما أنه بمقدورنا باجتهاد جاد ومتواصل أن نستئصل الأنا المغرورة - سبب كل الشقاء - وذلك عبر إيقاف كل الأنشطة الفكرية الناجمة عن الأنا المغرورة. هل يمكن للهواجس أن تتبعث بدون الأنا المغرورة، أو هل من الممكن أن يقوم وهمّ بمعزلٍ عن خواطر كهذه؟

وعندما كان يُسئل من قبل الأشياخ، فقد أكد بجوان أيضاً على هذا.

د.: هل من أية وسيلة لـ (1) بلوغ التركيز و(2) التخلص من

التشتت؟

بجوان: جسمانياً، فإن الأعضاء الهضمية والأعضاء الأخرى يجب إبقاؤها بلا تهيج، لهذا فإن الطعام يجب أن يكون منتظماً كما ونوعاً. فلا يجب تناول المهيجات، كما يجب تجنب الفلفل الحار وتجنب الإفراط في تناول الملح، البصل، الخمر، الأفيون وإلى ما ذلك. تجنّب الإمساك، الخمول والإهتياج وكل ما يؤدي إلى ذلك من الأطعمة. أما ذهنياً، فكن مهتماً بشيء واحد وركز العقل عليه، دع هذا الاهتمام يكون مغرقاً للنفس إلى درجة استقصاء كل شيء آخر سواه، هذا هو التجرد (فايراكيا) والتركيز.

السيدة بيجوت عادت من رحلة إلى مدرّاس لتقوم بزيارة أخرى إلى بجوان وطرحت أسئلة تتعلق بالحمية.

السيدة بي: أي الحمية أفضل للشخص المنهمك في الرياضة الروحية؟

بجوان: طعام *ساتفك* بكميات معتدلة.

السيدة بي: أي طعام هو *ساتفك*؟

بجوان: الخبز، الفواكه، الخضروات، الحليب ومواد كهذه.

السيدة بي: بعض الناس في الشمال تأكل السمك، هل هذا يجوز؟

لم يُجب بجوان على هذا السؤال، فقد كان دائماً عازفاً عن انتقاد الآخرين وهذا السؤال كان يدعوهُ إما إلى فعل هذا أو إلى تغيير أقواله.

السيدة بي: نحن الأوروبيون معتادون على حمية معينة وتغيير الحمية يؤثر على الصحة ويُضعف العقل. أليس من الضروري المحافظة على الصحة الجسمانية؟

بجوان: ضروري كلياً، فكلما كان الجسد أضعف كلما نَمى العقل.

السيدة بي: في ظل غياب حميتنا المعتادة فإن صحتنا تعاني والعقل يفقد قوته.

يُلاحظ أن بجوان والسيدة بيجوت كانا يستخدمان مصطلح "قوة العقل" بدلالاتٍ مختلفة، ف بجوان كان يعني به "صعب المراس"، بينما السيدة بيجوت كانت تعني به "فَعَال". لهذا فإن السؤال التالي قد مكنها من طرح وجهة نظرها بشكل أفضل.

بجوان: ما الذي تعنيه بـ "قوة العقل"؟

السيدة بي: القوة التي تستبعد التعلق الدنيوي.



بجوان: نوعية غذاء المرء تؤثر على العقل، فالعقل يتغذى على الطعام الذي يتم تناوله.

السيدة بي: حقاً! لكن كيف للأوروبيين أن يُكيّفوا أنفسهم مع طعام **ساتفك**؟

بجوان: (مُستديراً إلى السيد إيفانز-ونترز) لقد كنت تتناول طعامنا، هل وجدته غير مريح على الإطلاق؟  
إي.دبليو.: كلا، لأنني مُعتاد عليه.

بجوان: الاعتياد هو مجرد تكيف مع البيئة، وما يهم هو العقل. الحقيقة هي أن العقل قد تُربّ على استساغة أطعمة بعينها. القيمة الغذائية الضرورية يتم تحصيلها من الغذاء النباتي وغير النباتي كذلك، وحده العقل يرغب في نوع الغذاء المُعتاد عليه والذي يعتبره لذيذ الطعم.

السيدة بي: هل هذه القيود تنطبق على المرء المدرك أيضاً؟  
بجوان: المرء المُدرك، راسخ ولا يتأثر بالطعام الذي يتناوله.

رغم أنه كان يجب بشكلٍ حازمٍ على أسئلة تتعلق بالحمية، فقد كان مميزاً جداً أن بجوان لم يُلزم أياً من أتباعه الذين لم يطالبوه بأي حمية نباتية بأي شيء من هذا. وقد كان من المميز أيضاً في بعض الأوقات، بفعل تأثير فيضه الصامت، بأن ذلك الذي لم يُطالب بأية حمية، يبدأ تدريجياً بالشعور بالتقرّز تجاه الطعام القائم على اللحم ويُظهر ميلاً للتحوّل إلى حمية أكثر نقاءاً.

وكما أن بجوان لم يشجب كل التطرفات، فهو كذلك لم يشجب الصوم.

..: هل يمكن للصوم أن يساعد على الإدراك؟

بجوان: نعم، لكنها مساعدة مؤقتة فقط، بينما الصوم الذهني هو المساعدة الحقيقية. الصوم ليس غايةً بحد ذاتها، فلا بد وأن يحدث تطور

روحي بالتوازي معه؛ فالصوم الصيرف يُضعف العقل أيضاً ويذكر بلا قوة كافية للنهوض بالبحث الروحي، لهذا كل باعبدال وتابع البحث.

د.: يقولون أنه بعد عشر أيام من الصوم لمدة شهر، يغدو العقل صافياً ومُستقراً ويبقى هكذا للأبد.

بجوان: نعم ولكن ذلك فقط في حال تمت المواظبة على الاضطلاع بالبحث الروحي بشكل صحيح أثناء مدة الصوم.

## العزوبية

ما من حاجة لقول الكثير عن العزوبية حيث أنه قد تم تناولها في فصل سابق. من الطبيعي في الهند أن تجد جميع أولئك الذين لم يعتزلوا الحياة الدنيا ليسلكوا حياة الـ *سادوز* متزوجين، ولكن بجوان أصراً دائماً على أن الـ *برماتشاريا* تعني العيش بشكل متواصل في برّما، فلم يحث على التبني الرسمي للزي الزعفراني (*سَيَاسَا* خارجي)، ولم يحض على العزوبية ولم يردع أحداً عنها رغم أنه كان يُبدي بعض الأحيان اهتماماً بالولادات والزيجات التي تتم بين أشياعه.

## باكتي

نأتي الآن على باكتي مارغا، طريق العشق والتفاني، العبادة والاستسلام، الطريق الذي يُعتبر عادةً النقيض التام للاستفهام عن الذات كونه يعتمد على التسليم بالثنوية، أي العابد والمعبود، العاشق والمعشوق، في حين أن

الاستفهام عن الذات يُسَلَّم باللاتنوية. لهذا فإن المُنظرين مِيلون إلى التسليم بأنه إذا كان أحدهما يعتمد على الحقيقة فلا بد أن الآخر يعتمد على باطل، وعندما يقومون بشرح إحداها كانوا غالباً ما يستكرون الأخرى أيضاً. وهنا، فإن بجوان لم يعترف فقط بهذه الطرق، بل أرشد أتباعه على سلوك كليهما، فكان غالباً ما يقول: "يوجد طريقتان: إسأل نفسك "من أكون أنا؟" أو استسلم." وعليه فإن العديد من أتباعه إختار الطريق الأخير.

د.: ما هو الاستسلام اللامشروط؟

بجوان: إذا ما استسلم المرء بالكامل، فلن يعود هناك أحد لي طرح أسئلة أو ليؤخذ بعين الإعتبار؛ فإما أن يتم استبعاد الخواطر عبر التمسك بالخاطرة الجذرية "أنا"، أو أن يستسلم المرء بشكل غير مشروط إلى القوة الأعلى، وهذان هما الطريقتان الوحيدتان للإدراك.

الاستفهام عن الذات يُذِيب الأنا المغرورة وذلك عبر البحث عنها والتوصل إلى أنها غير موجودة؛ في حين أن العبادة تقوم بتسليمها، لهذا فإن كلا الطريقتين يُفضيان إلى الهدف نفسه الخالي من الأنا المغرورة، وهذا هو كل المطلوب.

بجوان: ثمة طريقتين فقط لتقهر القدر أو لتكون مُستقلاً عنه؛ الأول أن تستفهم: قَر من هو هذا؟ وأن تكتشف بأن الأنا المغرورة فقط هي المُقيدة به وليس الذات، وأن الأنا المغرورة غير موجودة أصلاً. الطريقة الأخرى هي قتل الأنا المغرورة عبر الاستسلام الكلي إلى المولى مُدركاً المرء عجزه مُردداً طوال الوقت: "ليس أنا بل أنت، وا مولاي!"، ومتخلياً عن كل إحساس بالـ "أنا" و"لي" وتسليم الأمر إلى المولى ليفعل بك ما يشاء. الاستسلام لا يمكن اعتباره كُلياً أبداً طالما أن العابد يريد هذا

أو ذاك من المولى. إن الاستسلام الحقيقي هو حُب الله لغاية الحُب ولا لشيءٍ آخر، ليس حتى لغاية الخلاص. بكلماتٍ أخرى، فإن المحو الكامل لأننا المغرورة أمر ضروري للتغلب على القدر، سواءً حققت هذا المحو عبر الاستفهام عن الذات أو من خلال باكتي-مارغا.

إن شرارة المعرفة الروحية (نيانا) ستلتهم كل الموجودات وكأنها جبال قطن منفوشة، فبما أن جميع العوالم التي لا عد لها ولا حصر ترتفع على الأساسات الواهية أو غير الموجودة لأننا المغرورة، فإنها جميعاً تنهار ما أن تسقط فوقها قنبلة المعرفة الذرية. جميع الكلام عن الاستسلام هو مثل سرقة سُكَّر من تمثال صُنِع من السكر لـ *غانيشا* ومن ثم تقديمه كقربانٍ لـ *غانيشا* ذاته. أنت تقول أنك تقدم جسدك وروحك وكل متاعك كقربان إلى الله، ولكن هل كانوا لك يوماً حتى تقدمهم كقربان؟ يمكنك القول في أحسن الأحوال: "لقد تصورت بهتاناً إلى الآن بأن كل هؤلاء الذين هم لك، كانوا لي؛ أما الآن فأنا أدرك بأنهم لك، وعليي أن لا أتصرف بعد الآن كما ولو أنهم كانوا لي." وهذه المعرفة التي تقول بأنه لا شيء سوى الله أو الذات يوجد، بأن الـ "أنا" و"لي" لا توجد، هي ما يُسمى *نيانا*.

من ناحية ثانية، فقد شرح بجوان غالباً بأن التفاني الحقيقي هو نذر النفس للذات، ولهذا فهو كما الإستفهام عن الذات يقود إلى الشيء ذاته.

يكفي أن يُسَلَّم المرء نفسه، فالاستسلام هو نذر النفس إلى السبب الأصلي لكيثونة المرء. لا تُضَلَّل نفسك بالتصور بأن هذا المصدر هو إله ما يوجد خارجك، فمصدر المرء يوجد داخل نفسه، سَلَّم نفسك إليه، ما يعني أن تسعى خلف المصدر وأن تمتزج به. لأنك تتصور نفسك كائناً

يقع خارجه، فأنت تطرح السؤال "أين هو المصدر؟" يزعم البعض بأنه كما السكر لا يستطيع هو ذاته أن يتذوق حلاوته لأنه لا بد من أن يكون هناك أحد ما لتذوقه والتلذذ به؛ كذلك الفرد لا يستطيع أن يكون هو المطلق وأن يتلذذ بنعيم تلك الحال كليهما معاً، لهذا فإن الشخصية الفردية يجب المحافظة عليها مُنفصلة عن الله لجعل التلذذ أمراً ممكناً، ولكن السؤال هل الله مادة عديمة الإحساس مثل السكر؟ كيف للمرء أن يُسَلِّم نفسه وأن يتحفظ على شخصيته الفردية ليذوق اللذة المطلقة؟ علاوة على ذلك، فهم يقولون أيضاً بأن الروح بوصولها إلى الملكوت الألوهي وبقاءها هناك، تقوم على خدمة الكينونة الأسمى. هل يمكن لصوت كلمة "خدمة" أن يخدع المولى؟ أو لا يعلم هو؟ هل ينتظر هو خدمة هؤلاء الناس؟ أَلن يقوم - الوعي الخالص - بدوره بطرح السؤال: "مَن تكون أنتَ المُستقل عني والذي تفترض بأنك تقوم على خدمتي؟"

من ناحية أخرى، فإذا ما امتزجت بالذات فلن يبقَ هناك شخصية فردية، بل ستصبح المصدر ذاته. في هذه الحالة، ما هو الاستسلام؟ من هو المُستسلم ولمن؟ هذا يُشكّل التفاني والحكمة والاستفهام عن الذات. في أوساط الـ *فيشنافيين* أيضاً، يقول القديس *نمّالوار*: "لقد كنت في متاهة مُتعلقاً بـ "أنا" و"لي"، أخذت أتجول هنا وهناك بدون معرفة ذاتي، ولكن بإدراكي لذاتي أفهم أن ذاتي هي أنت، وأن "لي" (أي متاعي) هي لك فقط." عليه، فأنت ترى بأن التفاني لا شيء سوى معرفة الذات، ومذهب الأحدية المشروطة يُقر بهذا أيضاً. مع هذا، مُلتزمين بعقيدتهم التقليدية، فإنهم لا يزالون يُصرون على التأكيد على أن الشخصيات الفردية هي مُستقلة عن المطلق - كما لو أنها كانت فروعاً عنه. تقول عقيدتهم التقليدية أيضاً بأن الشخصية الفردية يجب تصييرها نقية، ومن ثم جعلها تستسلم للمطلق، وبالتالي فإن الأنا المغرورة تضيع والمرء يذهب إلى ملكوت

فيشئو بعد الموت، وفي النهاية يكون هناك التلذذ بالمطلق (أو اللامحدود). أن يقال بأن المرء مُستقل عن المصدر الأولي فهذا بحد ذاته إهداء، وأن يُضاف على هذا القول بأن المرء المُجرد من الأنا المغرورة يغدو نقياً ويظل محتفظاً بشخصيته الفردية وذلك فقط لكي يتلذذ بالمُطلق أو يقوم بخدمته فإن هذه خدعة جوفاء. أي ازدواجية هذه -أولاً أن يستحوذ على ما هو له حقاً، ومن ثم يدعي بمعايشته أو القيام بخدمته! ألا يعلم هو بكل هذا؟

من الجلي أن الاستسلام وفق المفهوم الشامل الذي لا مساومة فيه والذي طالب به بجوان ليس أمراً سهلاً.

كلما حاول المرء أن يستسلم فإن الأنا المغرورة ترفع رأسها وهنا ينبغي على المرء أن يحاول قمعها. الاستسلام ليس أمراً سهلاً، قتل الأنا المغرورة ليس أمراً سهلاً. إنه فقط عندما يستميل الله العقل بفضل منته إلى الباطن، يمكن لذلك الاستسلام المطلق أن يتم.

سأل الدكتور سايد بجوان: ألا يقتضي الاستسلام المُطلق أو الكلي التخلي حتى عن الرغبة في الخلاص أو الرغبة في الله؟  
بجوان: الاستسلام الكامل يقتضي بأن لا تكون لديك رغبة من عند نفسك، وأن مشيئة الله وحدها هي مشيئتك وأن لا مشيئة لديك من عندك.

د. إس: الآن وأنا راضٍ عن هذه النقطة، أريد أن أعلم ما هي الخطوات التي يمكنني بها أن أحقق الاستسلام؟  
بجوان: ثمة طريقتين، الأولى هي النظر في مصدر الـ "أنا" والامتزاج بذلك المصدر، الأخرى هي أن يراودك الشعور القائل "أنا

عاجز بنفسه والله وحده هو الكلي القدرة، وبدون الارتفاء عليه بالكامل فإنه ما من وسيلة أخرى لي للنجاة"، وبالتالي القيام تدريجياً بتطوير الفعالة القائلة بأن الله وحده يوجد وأن الأنا المغرورة لا تُحتسب. كلا الطريقتين تؤديان إلى الهدف ذاته، والاستسلام الكامل ما هو إلا إسم آخر لـ **نينا** أو الخلاص.

على كل حال، فإن الاستسلام الجزئي يمكن أن يحلّ أولاً وأن يصبح أكثر كمالاً بالتدريج.

د.: أجد الاستسلام شيئاً مستحيلاً.

بجوان: الاستسلام الكامل مستحيل في البداية، لكن الاستسلام الجزئي أمر ممكن للجميع. ومع مرور الزمن، فسيفقد هذا إلى الاستسلام الكامل.

عل كل حال فقد يعترض الثوبون قائلين بأن طريق التفاني المعتمد من قبل بجوان ليس هو ذاته الذي في عقولهم، حيث أن تفانيهم يفترض مسبقاً الثوبية الدائمة لله والعاابد. وفي حالات كهذه، كما في الجملة الأخيرة من الحوار الآتي، فإن بجوان كان يرفع من سوية النقاش إلى ما فوق النظرية، داعياً إياهم أولاً إلى تحقيق الاستسلام لإلهٍ منفصل كما يتحدثون، ومن ثم النظر فيما إذا كان يساورهم المزيد من الشك.

إن المقام التي نُسَميها إدراكاً تعني ببساطة أن يكون المرء ذاته، فلا يعلم أي شيء ولا يصبح أي شيء. إذا ما أدرك المرء الذات، فإنه عندئذٍ يكون ذلك الذي هو وحده يكون والذي وحده كان دوماً؛ وهو لا يستطيع وصف هذا المقام، يمكنه أن يكون فقط ذلك. بالطبع فنحن نتكلم

باستفاضة عن إدراك الذات راغبين بمصطلح أفضل، لكن كيف للمرء أن يدرك أو أن يُصير حقيقياً ما هو وحده حقيقي؟ ما نقوم بفعله جميعاً هو "الإدراك" أو اعتبار ذلك اللاحقيقي حقيقياً. يجب أن نكف عن هذه العادة. كل الرياضات الروحية ضمن كل الأنظمة تصب في هذه الغاية فقط. عندما نكف عن اعتبار ما هو غير حقيقي حقيقياً، فإن الحقيقة وحدها ستبقى وسنكون ذلك.

رد الـ سوامي قائلاً: "هذا الشرح ممتاز ضمن إطار اللاثنوية، ولكن ثمة مدارس أخرى لا تُصر على اختفاء ثالث (العارف، المعرفة والمعروف) كشرط لإدراك الذات، فهناك مدارس تؤمن بوجود كيانيين بل ثلاث كيانات أبدية. هناك الـ باكتا على سبيل المثال، فلكي ينهض بالعبادة لا بد وأن يكون هناك إله".

بجوان: من هو ذا الذي يعترض على أن يكون لديه إله منفصل لعبادته طالما أنه يحتاج واحداً؟ من خلال التفاني فإنه يتطور إلى أن يشعر بأن الله وحده يوجد، وأنه هو نفسه لا يتم احتسابه، فيأتي على مرحلة عندما يقول: "ليس أنا بل أنت، ليست إرادتي بل إرادتك"، وعندما يتم الوصول إلى هذه المرحلة التي تُسمى الاستسلام الكامل في باكتي مارغا، فإن المرء يجد أن محو الأنا المغرورة هو بلوغ الذات. لا نحتاج للمقارعة عمّا إذا كان هناك كيانيين أو أكثر أو كيان واحد فقط، فإنه حتى وفق الثنويين أي وفق باكتا مارغا، فلا بد من الاستسلام الكامل. قم بهذا أولاً ومن ثم أنظر بنفسك ما إذا كانت الذات الواحدة توجد أو ما إذا كان هناك اثنتان أو أكثر.

بجوان أضاف قائلاً: "أياً ما قد يُقال ليتلائم مع قدرات الناس المختلفة، فالحقيقة هي أن مقام إدراك الذات لا بد أن يكون ما وراء ثالث



(العارف، المعرفة والمعروف). الذات هي الذات، هذا كل ما يمكن أن يُقال حول هذا.

ثم سأل الـ *سوامي* عما إذا كان باستطاعة الـ *نياني* المحافظة على جسده بعد بلوغ إدراك الذات، وأضاف: "يُقال أن أثر إدراك الذات قوي للغاية بحيث أن الجسد المادي الضعيف لا يستطيع أن يحتمله لأكثر من واحدٍ وعشرين يوماً على أبعد حد". فرد بجوان قائلاً: "ما هو تصورك عن الـ *نياني*? أهو الجسد أو شيء مختلف؟ إذا كان شيئاً مُستقلاً عن الجسد فكيف له أن يتأثر بالجسد؟ الكتب تتحدث عن أنواع مختلفة للخلاص: *فيديها موكتي* (بدون جسد) و*جيفان موكتي* (بجسد). قد يكون هناك مراحل مختلفة على الطريق لكن ليس هناك درجات للخلاص.

كان يُسأل بجوان في بعض الأحيان كيف يمكن لطريقي الحب والمعرفة أن يكونا الشيء ذاته، وخصوصاً أن الحب يُسلم جدلاً بالثنوية.

د.: الحب يُسلم جدلاً بالثنوية؛ كيف يمكن للذات أن تكون

موضوع الحب؟

بجوان: الحب ليس شيئاً مختلفاً عن الذات. إن حُبَّ شيءٍ ما هو حُبٌّ من نوع مُتدنٍ ولا يمكن له أن يدوم، في حين أن الذات هي الحب، الله هو الحب.

أقر. مهاريشي بإقامة العبادة الشعائرية والتي عادة ما تصحب طريق التفاني لأولئك الذين كان طبعهم وحال تطورهم الروحي يتطلب ذلك.

قال زائر لـ بجوان: "يصف الكهنة شعائر وطقوساً متعددة للعبادة ويُقال للناس بأنها خاطئة إن لم يتم المحافظة عليها. هل هناك أي حاجة لإقامة عبادة شعائرية كهذه؟

بجوان: نعم، عبادة كهذه هي ضرورية أيضاً. ربما لا تساعدك أنت، لكن هذا لا يعني بأنها ليست ضرورية لأي أحد وليست جيدة على الإطلاق، فما هو ضروري لطفل ليس ضرورياً لخريج الجامعي، إلا أنه حتى الخريج عليه أن يرجع إلى الأبجدية التي تعلمها في صف الطفولة، فهو يعلم فائدتها الكلية وأهميتها.

قد تتخذ العبادة أيضاً شكل التركيز على أحد الآلهة الهندوسية، وهذه إحدى الطرق التي يتصور بها الهندوس الله.

د.: ما هي خطوات التدريب العملي؟

بجوان: هذا يعتمد على مؤهلات وطبيعة كل مريد.

د.: أنا أعبد صنماً.

بجوان: استمر في فعل هذا، فإنه يقود إلى تركيز العقل. كن أحادي الوجهة، وكل شيء سيكون على ما يرام في النهاية. الناس تعتقد بأن الخلاص (موكشا) تقع في مكان ما خارجاً عنهم وأنه بالتالي يجب السعي خلفها، وهم مخطئين في اعتقادهم هذا، فمعرفة الذات توجد في داخلك فقط، ركز وسوف تحصل عليها. إنه عقلك هو دوامة الموت والولادة من جديد (سَمسارا).

د.: إن عقلي غير مُستقر للغاية، ما الذي عليّ صنعه؟

بجوان: ثبت انتباهك على شيء مُفرد بعينه وحاول أن تمسك به،

ومن ثم كل شيء سيصبح على ما يرام.

د.: أرى التركيز عملية صعبة.

بجوان: إستمر في التدريب وسيصبح تركيزك سلساً كما التنفس، سيكون هذا تاج إنجازاتك.

على كل حال، فإن بجوان لم يكن مع الرغبة في إِبصار رؤى - أو في الواقع، أية رغبة على الإطلاق، حتى الرغبة في بلوغ الإدراك المُستعجل.

السيدة أوما ديفي، سيدة بولندية اعتنقت الهندوسية، كانت قد خَصَّت شري بجوان بالآتي: لقد قَصَصْتُ ذات مرة على شري بجوان الرؤية التي رأيت فيها *شيفا* في الوقت الذي اعتنقت فيه الهندوسية. ثمة تجربة مماثلة مررت بها في كورتالام. هذه الرؤى عابرة ولكنها عامرة بالنعيم. أريد أن أعرف ما الوسيلة لإحالة هذه التجارب إلى تجارب دائمة ومستمرة، فالحياة من حولي لا معنى لها بدون *شيفا*. تغمرني سعادة فائقة عندما أفكر فيه. أرجوك أخبرني كيف لي أن أجعل من رؤيته أمراً متواصلًا.

بجوان: أنت تتحدثين عن رؤية شيفا، لكن الرؤية تُسَلَّمُ جدلاً دائماً بمُنْفَعَلٍ فيه، وهذا يقتضي ضمناً وجود فاعل، فقيمة الرؤية نفسها من قيمة الرائي، ما يعني القول أن طبيعة الرؤية تكون في نفس مستوى الرائي. الظهور يقتضي ضمناً الاختفاء أيضاً، لهذا فإن الرؤية لا يمكن أن تكون أبدية، ولكن *شيفا* أبدي. رؤية *شيفا* تقتضي ضمناً وجود عينين لرؤيته، وجود ذهن خلف المشهد وفي النهاية وجود وعي يُشكّل الأساس للرائي. هذه الرؤية ليست حقيقية كما يتخيل المرء، فهي ليست حَمِيمية ولا مُتَأَصِّلَة، ليست شخصية، إنها نتيجة أطوار مُتتَابِعَة مُتعددة للوعي. الوعي وحده لا يتفاوت، فهو أبدي، إنه *شيفا*. الرؤية تقتضي ضمناً وجود شخصٍ

ما لرؤيتها، لكن هذا الشخص لا يستطيع إنكار وجود الذات. ليس هناك من لحظة لا توجد فيها الذات كوعي، ولا يستطيع الرائي أن يبقى بمعزل عن الوعي. هذا الوعي هو الكينونة السرمدية والوحيدة. الرائي لا يستطيع رؤية نفسه، ولكن هل يُنكر وجوده لأنه لا يستطيع رؤية نفسه كما يرى رؤية ما؟ كلا، لذا فإن الرؤية الحقيقية لا تعني إبصار رؤية بل الشعور بـ كينونة. أن تكون أي أن تدرك - وبالتالي "أنا أكون تلك الأنا أكون". أنا أكون هي *شيفا*، فلا شيء آخر يمكن أن يكون بدونه، كل شيء يستمد وجوده من *شيفا* وبسبب *شيفا*، لهذا إستفهمي: "من أكون أنا؟" غُوصي عميقاً في الداخل واستوطني في الذات. هذا هو *شيفا* ككينونة. لا تتوقعي أن تحصلي على رؤى مُتكررة له. ما الفرق بين الموجودات التي ترينها و*شيفا*؟ هو الفاعل والمُنْفَعَل فيه كليهما، لا يمكنك أن تكوني بدون *شيفا*، فـ *شيفا* دائماً مُدرك، هنا والآن. في حال كنتِ تظنين بأنك لم تدركينه فأنتِ مخطئة وتلك هي العقبة القائمة على طريق إدراكه. تخلي عن هذه الخاطرة أيضاً وعندئذ يكون الإدراك هناك.

د.: أجل، لكن كيف لي أن أُسرّع من وتيرته بأسرع ما يمكن؟  
 بجوان: هذه عقبة أخرى على طريق الإدراك. هل يمكن أن يكون هناك فرد بدون *شيفا*؟ حتى الآن فهو أنتِ. لا سؤال عن الوقت لأنه عندما تكون هناك لحظة ينعدم فيها الإدراك فإن السؤال عن الإدراك قد يتبادر، ولكنك لا يمكن أن تكونين بدونه. إنه مُدرك أصلاً، مُدرك للأبد وليس غير مُدرك على الإطلاق. إستسلمي له وامنتلي لمشيئته ظهر أم تلاشى، إنتظري مرضاته. إذا طلبتِ منه فعل ما يَسرك، فلن يكون ذلك استسلاماً بل أمراً. لا يمكنك الفوز به بإخضاعه لك ومن ثم تظنين بأنك استسلمت له. إنه يعلم الأفضل ومتى وكيف؛ وكَلِيه بكل شيء فالععب

عبئه، ولا أعباء عليك بعد الآن، كل أعباؤك أعباؤه. هذا هو الإستسلام، هذا هو باكتي.

د.: إن رؤية الله لشيء مَجِيد.

بجوان: رؤية الله هي مُجرد رؤية الذات تم صَوغها بشكل مَحسوس على صورة إله مُعتقدك المحدد. كل الذي ينبغي عليك فعله هو أن تعرفي الذات.

لطالما سُمع بجوان وهو يقول: "أن تعرف الله يعني أن تحب الله، لهذا فإن طريقي نيانا وباكتي (المعرفة والتفاني) ينتهيان إلى ذات الشيء.

## جَبَا

إن جَبَا أي ترديد تسابيح وابتهالات للإسم الإلهي، واحدة من أكثر تقنيات الرياضة الروحية انتشاراً، وهي على صلة وثيقة بطرق باكتي للحب والتفاني. كان الـ مهاريشي قد حَبَّذها، ولكن بالطبع أن تكون رهن الشرط الموضح في قصة الملك ووزيره في الصفحة 116، أي أن لا يُردد الشخص تسبيحةً ما دون أن يتم الترخيص له بذلك وفق الأصول من قبل جورو مؤهل. وحدث أنه هو نفسه قد رَخَّص أحياناً بترديد الابتهالات، ولكن بشكل نادرٍ للغاية.

المسألة تكمن في إقصاء كل الخواطر ما عدا خاطرة واحدة ألا وهي: أوم أو رام أو الله، وكل الأذكار والابتهالات تساعد في فعل هذا.

كلما كان التفاني في سبيل هذه الأذكار أكبر كلما كان الأداء أفضل، وبالتالي سيكون أثر الذكر أكثر فعالية.

د.: عندما أقوم بالتضرع إلى الإسم الإلهي لمدة ساعة من الزمان أو أكثر فإنني أقع في حالة مشابهة للنوم، وعندما أستيقظ أتذكر بأن تواتر أذكري قد انقطع، لهذا أعود وأحاول من جديد.

بجوان: "مشابهة للنوم"، هذا صحيح، هذه هي الحال الطبيعية، ولأنك تماهي نفسك الآن مع الأنا المغرورة، فأنت تنظر إلى الحال الطبيعية على أنها شيء يُعرقل سيرورة عملك، لذا عليك أن تكرر التجربة إلى أن تدرك بأنها حالك الطبيعية، ومن ثم ستجد أن الذكر أمر دخيل إلا أنه سيستمر تلقائياً. إن ريبتك الحالية راجعة إلى المماهة الزئفة لذاتك مع العقل الذي يقوم بترديد الذكر. إن ما يعنيه الذكر حقاً هو: "التثبث بخاطرة واحدة لاستبعاد كل الخواطر الأخرى"، فهذا هو الغرض منه. إنه يقود إلى الاستغراق الذي يصب في النهاية في إدراك الذات أو *نيانا*.

د.: كيف علي أن أقوم بترديد الذكر؟

بجوان: على المرء أن لا يردد إسم الله بشكل آلي وسطحي دون أن يخالجه ذلك الشعور بالخشوع. لا بد أن يُذكر إسم الله بتحرق واستسلام له بدون تحفظ، وبعد تسليم كهذا ليس إلا، يغدو إسم الله مع الإنسان باستمرار.

في مراحلها المبكرة، فإن الأذكار قد يتم مُصاحبتها بتخيل لهيئة الـ جورو أو هيئة أسطورية لله.

د: لقد كانت رياضتي الروحية تتمثل في ترديد أسماء الله بشكل مُتتابع حين الشهيق وأسماء *ساي بابا* حين الزفير، وبالتزامن مع، هذا فإنني أضع صورة *بابا* في ذهني دائماً. حتى في شخص بجوان فإنني أرى *بابا*، فالملامح الخارجية مُتشابهة هي أيضاً إلى حد بعيد، فـ بجوان نحيل

وبابا كان بديناً قليلاً. هل أستمر في هذه الطريقة أو لعلي يجب أن أغيرها؟ شيء ما في داخلي يقول لي بأني إذا تمسكت بالإسم والصورة، فلن أصل أبداً إلى ما هو أبعد منهما، ولكني أجهل ما الذي علي فعله إن رغبت عنهما. هلأ أفادني بجوان؟

بجوان: بوسعك أن تتابع المسير في طريقك الحالية. عندما تصبح الـ جباً متواصلة، فإن كل الخواطر الأخرى تنقطع ويكون المرء في طبيعته الحقيقية التي هي الذكر أو الاستغراق. نحن نوجه عقولنا إلى الخارج نحو الأشياء الدنيوية ولهذا تجدنا غير واعين بطبيعتنا الحقيقية التي هي دوماً الابتهاال. عندما نقوم بردع عقولنا عن التفكير في أشياء أخرى عبر بذل جهد واعٍ أو تضرع أو تأملٍ كما نسميه، فإن ما يبقى حينها هو طبيعتنا الحقيقية والتي هي الابتهاال. طالما أنك تعتقد أنك إسم وصورة، فلن تستطيع الهرب منهما أثناء الابتهاال. عندما تدرك أنك لست إسماً ولا صورة، حينها سيسقطان من تلقاء نفسيهما ولا جهد آخر ضروري. الابتهاال أو التأمل سيقودان إليها من الطبيعي كشيء متوقع. إن الابتهاال الذي يُعتبر وسيلة الآن، سيتم إيجاده على أنه الهدف، فما من فرق بين الله وإسمه.

كما يبين المقطع أعلاه، فإن التسبيح يمتزج بـ *نَيَاتنا*، والتي تُعتبر كلمة "تأمل" هي أفضل ترجمة لها. لهذا السبب، فإن التسبيح الصامت أفضل من ذلك اللفظي كونه أكثر باطنيةً.

د.: ألا يُعد الابتهاال الذهني أفضل من ذلك الشفهي؟

بجوان: التسبيح الشفهي يتألف من أصوات، وهذه الأصوات تتبعث من الخواطر، فعلى المرء أن يفكر قبل أن يعبر عن خواطره

بكلمات. الخواطر تُشكلُ العقل، لهذا فإنَّ الابتهاال الذهني أفضل من الشفهي.

د.: ألا يتوجب علينا أن نتفكر في الابتهاال وأن نردده شفهيّاً أيضاً؟

بجوان: عندما يصبح الابتهاال ذهنياً فأين الحاجة للصوت؟ وبِغُدُوهِ ذهنياً يصبح تفكراً. التفكر والتأمل هما الشيء ذاته. عندما تكف الخواطر عن أن تكون مُشوِّشة وتُصرِّحَ خاطرة واحدة على استبعاد الخواطر الأخرى، يُقال أن هذا تفكراً. إن الغاية من الابتهاال أو التأمل هي إقصاء الخواطر المُتنوعة والتفوق في خاطرة واحدة، ومن ثم فإن هذه الخاطرة أيضاً تتلاشى في مصدرها، والذي هو وعيٌ خالصٌ أو الذات. في البداية ينهمك العقل في الابتهاال ومن ثم يغرق في مصدره الخاص.

هذا أكيد: العبادة، الأذكار والتأمل يتم أدائها بالجسد، الصوت والعقل على التوالي، وفي هذا فهم في ترتيب تصاعدي القيمة. يمكن للمرء أن يعتبر هذا الكون الثماني الطيات تجلياً لله، وأياً كانت العبادة التي يتم أدائها فيه هي ممتازة كعبادة الله.

إن ترديد إسمه بصوت عالٍ أفضل من الثناء عليه، والأفضل من ذلك حتى هو التمتمة الخفيضة، لكن الأفضل هو التردد بالعقل - وهذا هو التأمل، المشار إليه أعلاه.

ما هو أفضل من خواطر تومض بشكل مُتقطع كهذا (التأمل)، هو تأمل يتدفق بثبات وتواصل كتدفق زيت أو تدفق تيار متواتر.



## كارما مارغا

لا نحتاج هنا إلى قول الكثير عن كارما مارغا، طريق العمل، حيث أنه قد تم تناولها في فصل سابق. قام الـ مهاريشي بشجب الأعمال غير الضرورية من ناحية والمحاولة لاعتزال العمل من ناحية أخرى، مُلزماً بأداء الأنشطة الروتينية الضرورية للحياة بطريقة متجردة بالتزامن مع ممارسة الاستفهام عن الذات.

د.: سوامي، كيف يمكن التخفيف من إحكام قبضة الأنا المغرورة؟

بجوان: عبر عدم إضافة فسَناز جديدة (نوازع متأصلة) إليها.

د.: كيف يمكن للعمل أن يساعد؟ أُن يزيد من الحِمل الثقيل الموجود أصلاً والذي يجب إزالته؟  
بجوان: الأفعال التي يتم فعلها بدون خاطرة الأنا المغرورة تُظهر العقل وتساعد على تثبيته للتأمل.

د.: لكن لنفترض أن أحداً ما يتأمل بدون انقطاع وبلا حركة؟

بجوان: جرب وسترى، فنوازعك المتأصلة لن تدعك تفعل هذا. إن التأمل (نَيانا) يأتي فقط خطوة خطوة مع إضعاف النوازع المتأصلة بواسطة منة الـ جورو.

## تصنيف الطرائق

رغم أن الـ مهارشي قد اعترف بكل الطرائق، إلا أنه صنفها كطرائق أكثر أو أقل مباشرةً وفعاليةً، وذلك كما هو مُوضح أعلاه في الاقتباس من الآيات 4-7 من كتاب *دَ ايسنس أوف إنستركشن (جوهر التعليمات)*، كما أن الشرح التالي يوضح هذا أيضاً.

إن فحص الطبيعة الفانية للأشياء الظاهرية يقود إلى التجرد (*فايراكيا*)، وبالتالي فإن الاستفهام هو أول وأكثر الخطوات أهمية، وعندما يصبح تلقائياً ستجده يقود إلى عدم الاكتراث تجاه المال، الجاه، الرفاهية، المتعة وخلافه. إن خاطرة الـ "أنا" يتم اقتفاء أثرها إلى مصدر الـ "أنا" الكائن في القلب، والذي هو الهدف النهائي.

على كل حال، إذا لم يكن المرید مُهيئاً بطبيعته للنهوض بالاستفهام عن الذات، فعليه أن يطور حسّ التفاني تجاه الله أو الـ جوور أو البشرية عموماً أو القوانين الأخلاقية أو حتى تجاه مثل أعلى في البهاء. عندما يستحوذ عليه أيّ من هؤلاء فإن التعلقات الأخرى تغدو أو هن وسمة التجرد تتطور. إن التعلق بموضوع التفاني يأخذ بالنمو إلى أن يستولي عليه كلياً، ومعه ينمو التركيز (*إيكاكراتا*) وذلك بروى وإعانات مباشرة أو بدونها.

إذا لم يرق له طريق الاستفهام عن الذات ولا طريق التفاني، فباستطاعته نيل السكينة عبر التحكم بالنفس، وهذه هي طريق الـ يوغا، فإذا كانت حياة الإنسان في خطر، فإن كل اهتمامه يتركز حول نقطة واحدة ألا وهي إنقاذها، وعليه فإذا تم حبس النفس فإن العقل لا يعود بوسعه القفز خارجاً تجاه ما يحب من الموجودات الظاهرية، وبالتالي فهو لا يفعل ذلك. لهذا، فإن سكينة العقل تظل قائمة طالما أن حبس النفس ظل قائماً، وبما أن انتباه المرء كله مُرتكز على النفس، فإن الاهتمامات

الأخرى يتم الانصراف عنها. ومن ثم فإن أي شغف سينتج عنه تنفس غير منتظم، فنوبة الفرح في الحقيقة مؤلمة كما نوبة الحزن، فكلاهما يؤديان إلى تنفس مضطرب. إن السكينة الحقيقية هي السعادة، والملاذات لا تجلب السعادة.

إذا لم يكن المرید مهياً لاتباع أي من الطريقتين الأوليتين بحكم طبيعته، كما أنه غير مهيء لاتباع الطريقة الثالثة وذلك بسبب تقدمه في السن أو تردي صحته، فعليه أن يحاول سلوك كارما مارغا، طريق الأفعال الصالحة والخدمة الاجتماعية، وعليه فإن غرائزه الأكثر نبلاً تأخذ بالتطور ويستمد سعادته الشخصية من أفعاله، فتصبح أناه المغرورة أقل إصراراً كما يصبح وجهها الحسن قابلاً للتطور، ومع مرور الوقت يصبح المرء مهياً لاتباع واحدة من الطرق الثلاثة السابقة، أو لربما قد يتطور حدسه عبر الـ كارما مارغا بمفردها.

## الفصل السابع

### الهدف

المريد: ما الهدف من إدراك الذات؟

بجوان: إدراك الذات هو الهدف النهائي وهو ذاته الغرض.

المريد: أعني القول ما فائدته؟

بجوان: لم تسأل عن إدراك الذات؟ لم لا تهناً بالاً بحالك الحالية؟

من الواضح أنك غير راضٍ واستياؤك هذا سينتهي إذا ما أدركت الذات.

كان من النادر أن يُطرح السؤال أعلاه، لأن أولئك الذين قَيموا إلى مهاريشي كانوا غالباً قد فهموا على الأقل بأن الجهالة الروحية (أو كما تسميها المسيحية: الإنسان الساقط) هي حال غير مرغوب فيها وأن إدراك الذات هو الهدف الأسمى. في الحوار الآتي فإنه قد تم طرح السؤال عن الغرض من إدراك الذات من مُنطلق أكثر فهماً ولهذا فإن الجواب أيضاً مضمي بشكل أكثر عمقاً.

المريد: ما الهدف من هذه العملية؟

بجوان: إدراك الحقيقي.

المريد: ما طبيعة الحقيقة؟

بجوان: أ) الوجود بدون بداية أو نهاية - سرمدي.

ب) الوجود في كل مكان، بلا نهاية - غير محدود.

ج) الوجود الذي يُشكّل الأساس لكل الصور، كل

التغيرات، كل القوى، كل مادة وكل روح.

الدود يتغير ويفنى في حين أن الواحد يبقى دائماً.

(د) الواحد يَحِل محل ثالث (العارف، المعرفة والمعروف)، فالثالوث مُجرد ظُهورات ضمن زمان ومكان، في حين أن الحقيقة تكمن ما وراءها وخلفها. فهذه الظهورات مثل سَرابٍ يتجلى فوق الحقيقة، وهي نتيجة التوهم.

المريد: إذا كنت "أنا" وهماً أيضاً، فمن يتخلص من هذا الوهم؟  
 بجوان: الـ "أنا" تتخلص من وهم الـ "أنا" ومع هذا تبقى "أنا"،  
 هذه هي مفارقة إدراك الذات؛ لكن المُدرك لا يرى أي تناقضٍ في هذا.

من المفاجيء أن نرى كم من الفلاسفة والمُنظرين قد فشلوا في فهم المعنى المُضمر في إدراك الذات فقاموا بتحريفه بل حتى هاجموا أو قتلوا من شأنه. كل ما يعنيه إدراك الذات، كما شرح بجوان في المقطع المُقتبس للتو، إدراك الحقيقة، إدراك ما يكون، فالحقيقة تبقى الشيء ذاته، سرمدية وغير متغيرة سواءً أدركها المرء أم لم يدركها. بالطبع فإنه بوسع المرء أن يفهم الإنزعاج والإحباط الذي يكتنف الفلاسفة الراغبين في استيعاب كل شيء بواسطة العقل عندما يُقال لهم بأن الحقيقة تكمن ما بعد وما وراء ثالث العارف-المعرفة-المعروف، والذي هو أي هذا الثالث مثل سرابٍ يتجلى فوق الحقيقة، لأنه وبكل وضوح لا يمكن للسراب أن يتخلل في ذلك الذي يُشكل الأساس له. لهذا فإنه لا يمكن إعطاؤهم جواباً سهلاً. في الحقيقة، فإن بجوان لم يقبل أبداً بالأسئلة التي تدور حول معنى وطبيعة الإدراك، لأن هدفه كان مساعدة السائل وليس إشباع فضوله الفكري، فكان عادةً ما يُذكر الناس بأن المطلوب هو بذل الجهد لبلوغ إدراك الذات، وعندما يتم بلوغ هذا، فإن الأسئلة لن تتبادر.

بعض الناس الذين يأتون إلى هنا تجدهم لا يسألونني عن أنفسهم بل عن الـ جيفانموكتا، أي بلوغ الخلاص بينما لا يزال المرء متجسداً. هل يرى العالم؟ أهو خاضع للقدر؟ هل يمكن للمرء أن يغدو حراً طليقاً

فقط بعد طرح الجسد أو بينما لا يزال حياً فيه؟ هل يقوم جسد الحكيم بالتحلل إلى نورٍ أو أنه يختفي عن الأنظار بطريقةٍ غامضة؟ هل يستطيع المرء الذي يُخلف وراءه جثةً عند الموت أن يُصيب الخلاص؟ لا نهاية لأسئلتهم. لم القلق حول كل هذه الأشياء؟ هل الخلاص يكمن في معرفة الجواب على هذه الأسئلة؟ لذا أقول لهم: "لا تُعيروا الخلاص انتباهكم، إبحثوا أولاً عما إذا كان هناك يوجد شيء كالقيد، تحقّقوا من أنفسكم أولاً."

كان يوضح في بعض الأوقات بأنه حتى الحديث عن إدراك الذات وهم - هروب وهمي من سجن وهمي.

بجوان: التحدث عن إدراك الذات وهم، وهذا هو محصول الكلام. وحيث أن الناس تلبث تحت تأثير الوهم القائل بأن غير الذات هي الذات وأن اللاحقيقي هو الحقيقي، كان لا بد من إيقاف مفعول هذا التأثير عبر الوهم الآخر المُسمى إدراك الذات، لأن الذات في الواقع هي دائماً الذات ولا يوجد ما يُسمى إدراكها. من هنالك ليُدرك ماذا وكيف عندما يكون كل ما يوجد هو الذات ولا شيء آخر سوى الذات؟

ثمة أمر واحد يعترض سبيل الفهم، خاصة عند المُنظرين، وهو التناقض بين مفاهيم إدراك الذات والقداسة والاعتقاد الخاطيء بأن هذا قد يُمثل هُوةً بين التقاليد الدينية المتعددة، فهذا يعمل جاهداً لنيل القداسة وآخر لنيل الإدراك. هذه الفكرة غير معقولة تماماً. لقد كان هناك قديسين في كل ديانة، في الهندوسية والديانات الأخرى أيضاً، وهم يتفاوتون بشكل كبير بين أنفسهم بالصفات الفردية، من ذلك الجنل إلى الهادىء، من الصارم إلى الرقيق الحاشية، من الفيلسوف الدقيق إلى ذي العقل البسيط؛ وأيضاً في درجة الإحراز، فبعضهم يستحوذ على كراماتٍ خارقة للطبيعة، والبعض مأخوذ بنعيم النشوة، والبعض

يُفني نفسه في سبيل الخدمة العظيمة للبشرية، فالجميع يتمتعون ببقاء أبعد بكثير مما لدى الناس العاديين. قد تسمى حالهم سماوية حتى وهم على الأرض؛ ومع هذا فإن كل هذا يُنقص من إدراك الذات، فكل هذا يوجد في حال التثوية، حيث أن الله أو الذات هو الآخر، وهنا تكون الصلاة ضرورية، وحدث الكشف أمر ممكن. بنظرية حازمة فإنهم أبعد من البعد نفسه عن إدراك الذات كما الإنسان العادي، لأنه لا مقياس بين المطلق والمشروط، اللامحدود والمحدود. لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يكون المليون أقرب إلى اللامحدودية من المائة. وهذه الثغرة توضحها القصة البوذية التي تتحدث عن الرجل الذي جال أصقاع الأرض باحثاً عن جوهرة مفقودة والتي كانت توجد طوال الوقت على حاجبه، وعندما أُخبر بهذا في نهاية المطاف، فإن كل السنين التي أمضاها في البحث والتجوال لم تجعله أقرب إليها، وفي المقابل، فإنه إذا لم يكن قد ذهب باحثاً عنها فما كان سيجدها أيضاً. وفي حقيقة الأمر فإن القديس يمكن اعتباره أقرب إلى الإدراك الذات من الأناس العاديين، تماماً كما أن الإنسان العادي أقرب لبلوغ الإدراك من الكلب، رغم أن كلاهما مقيد بوهم الكيان الفردي.

تماماً كما أن هناك هَرَمِيَّةٌ للسموات، فهناك مراحل لبلوغ الإدراك عند القديسين؛ وكلاهما أي تلك المراحل والسموات يستجيبان إلى درجات التلقين في الطرق الروحية اللامباشرة. كان بجوان يتكلم عن هذا الموضوع وذلك عندما يتم سؤاله عنها بالتحديد، لكنه لم يتحدث فيه عادةً، حيث أن غرضه لم يكن لرفع أتباعه من درجة إلى درجة للحقيقة الجلية بل توجيههم نحو الحقيقة الواحدة، الأبدية، الكونية.

المريد: هل ندخل **سوارجا** (الجنة) كنتيجة لأفعالنا هنا؟

بجوان: الجنة حقيقية كحقيقة حياتك الراهنة. اكن إذا ما سألنا من

نكون نحن واكتشفنا أننا الذات، فما الحاجة هناك للتفكير في الجنة؟

المريد: هل **فايكونتا** (الجنة) تقع في الذات الأسمى؟

بجوان: أين هي الذات الأسمى أو الجنة إن لم يكونوا فيك؟

المريد: لكن الجنة قد تظهر للمرء لا إرادياً.  
 بجوان: هل هذه الدنيا تظهر بشكل لا إرادي؟

على نحو مشابه كان يُقرّ باختصار بدرجات تطور الفرد لكنه لم يكن يستفيض بالكلام عنها.

المراكز الـ يوغية بدءاً من الأسفل للأعلى، هي سلسلة من المراكز الواقعة في الجهاز العصبي، كل منها لديه قوته وعلمه الخاص.

عندما أخبره أحدهم عن قديس معاصر يُقال عنه بأنه كان على الدوام مُلهماً بتجسد الله كما كان يتحدث فقط كشخص رباني التسيير، سأله عما إذا كان هذا صحيحاً أم لا، أجاب:

حقيقي كحقيقة ذلك الذي تراه من حولك.

تماماً كما أن العدد الكبير ليس أعظم شأناً من العدد الضئيل عندما يتعلق الأمر بالعدد اللامتناهي ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الذات فلا هذا العالم المادي ولا أي عالم أعلى منه هو من الحقيقة بمكان.

قد يصيب القيس مكانة عالية بدون حتى أن يتصور الحقيقة المطلقة للأحدية أو من خلال تذوقه لشذرات نشوة منها، إلا أن هذا لا يهم، فقوة عفته وتطلعه سيجرفانه في نهاية المطاف إلى الأمام إما في هذه الحياة أو ما بعدها.

فيما يتعلق بذلك الذي يتصور الهدف الأسمى ويسعى جاهداً نحوه، فليس هناك من مراحل يتدرج فيما بينها، فإما هو مُدرك أو غير مُدرك، وعن هذا تحدث بجوان بملء إرادته وعلى نحو بَيّن، لأن هذا الطريق كان هو الطريق الذي ألزم به.



ليس هناك من مراحل للإدراك أو موكتي، ليس هناك من درجات للخلاص.

المريد: لا بد أن يكون هناك مرحلة تليها مرحلة للتقدم قبل بلوغ المطلق، هل من مستويات مختلفة للحقيقة؟  
 بجوان: ما من مستويات مختلفة للحقيقة، بل هناك فقط مستويات للتجربة الفردية وليس للحقيقة. إذا كان من الممكن نيل أي شيء لم يكن هناك سابقاً، فهذا يعني بأنه يمكن فقده أيضاً فيما بعد؛ في حين أن المطلق أبدي، هنا والآن.

من ناحية ثانية، رغم أنه لا يوجد هناك مراحل لإدراك الذات فإن هناك ما يمكن تسميته "شهادات"، لمحات والتي لم يستقر بها الحال أو لم تصبح دائمة بعد. في الحقيقة، فإن هذه اللمحات قد تتبدى لأولئك الذين لم يمارسوا رياضةً روحيةً على الإطلاق في حياتهم الراهنة. ما أن يقلّ غموض الأنا المغرورة لدى المريد بالتدرب على نُكران النفس فإنه يصبح أكثر عرضةً لهذه اللمحات. حتى الفلاسفة الباطنيين العظام أمثال بلوتينوس أو مبيستر إيكارت باعتمادهم عليها وذلك باعترافهم، لم يبلغوا الحال الدائمة للتتابع التي كان بجوان يُعلم من منطلقها.

هل يمكن لامرئٍ أن يغدو موظفاً مرموقاً بمجرد رؤيته لأحد الموظفين المرموقين؟ لكنه قد يصبح أحدهم في حال عمل جاهداً وجهّز نفسه لتبوأ المنصب. على نحو مماثل، هل يمكن للأنا المغرورة الكائنة في قيدٍ كما هو العقل أن تغدو الذات الإلهية وذلك لمجرد أنها قد لمحت لمرةً بأنها الذات؟ أليس هذا مستيحلاً بدون فناء العقل؟ هل يمكن للمتسول أن يصبح ملكاً وأن ينادي نفسه ملكاً بمجرد أن يزور ملكاً؟

المريد: هل من الممكن فقدان إدراك الذات بعد أن تم بلوغها؟  
 بجوان: الإدراك يأخذ وقتاً ليرسّخ نفسه. إن الذات بكل تأكيد  
 تكمن داخل كل معايشة مباشرة لكل فرد ولكن ليس بالطريقة التي يتخيلها  
 الناس، يمكن للمرء أن يقول فقط بأنها تكون كما تكون. تماماً كما الـ  
 مانتراز أو الوسائل الأخرى يمكنها أن تمنع النار من إحراق إنسان في  
 حين أنه يكون بمقدورها أن تفعل ذلك، كذلك الـ *فَسَنَاز* (النوازع الكامنة  
 التي تدفع المرء لاشتهاه شيء ما والإعراض عن آخر) يمكن لها أن تلقي  
 حجاباً على الذات في حين أنها تكون جلية. نتيجة تقلبات الـ *فَسَنَاز*، فإن  
 الإدراك يستغرق وقتاً كي يُثبت نفسه. إن الإدراك المُتقطع ليس كافياً كي  
 يمنع المرء من أن يُولد من جديد، لكنه لا يستطيع أن يصبح دائماً طالما  
 أن هناك *فَسَنَاز*. بِحَضرة مُعلِّمٍ عظيم، فإن الـ *فَسَنَاز* تتوقف عن الحركة  
 والعقل يصبح ثابتاً مما ينتج عنه الـ *سَمَادِي* (الاستغراق في الإدراك)،  
 وذلك تماماً كما أن تواجد المُعدات اللازمة يمنع النار من أن تقوم  
 بالإحراق. وبالتالي فإن التلميذ ينهل المعرفة الحقيقية والتجربة الصحيحة  
 في حضرة المعلم. لكن إذا أُريد ترسيخ هذا بشكل أمضى فإن بذل الجهد  
 ضروري، ومن ثم سيعرفه على أنه كينونته الحقيقية وبالتالي يكون  
 مُتحرراً بينما لا يزال حياً يُرزق.

قد ادعى بعض النقاد النظريين بأن البحث عن إدراك الذات فعلٌ  
 متعطرس ووقح ولا يَنم عن تواضع ولا عن قَداسة مَحَو الذات. ولكنهم إذا ما  
 اضطلعوا، بدلاً عن التنظير— بمهمة اجتثاث الـ *فَسَنَاز*، والتي هي جنور الأنا  
 المغرورة، لكانوا سيرون عمّا قريب. في الواقع إن البحث عن إدراك الذات أمرٌ  
 أبعد من الفطرسة والتواضع كليهما معاً، أبعد من كل أزواج المتضادات، فهو  
 ببساطة ما يكون. إن البحث عن إدراك الذات لا يقتضي مجرد إتضاع الأنا  
 المغرورة بل تصفيتها بشكل كامل.

أنت الذات الآن أيضاً، لكنك تخط وبعك الراهن أو الأنا المغرورة بالوعي المطلق أو الذات. هذا التماهي الزائف ناجم عن الجهل، والجهل يخنفي هو والأنا المغرورة معاً. قتل الأنا المغرورة هو الشيء الوحيد الذي يجب فعله. الإدراك قائم أصلاً، فلا حاجة للقيام بأية محاولة لإحرازه فهو ليس شيئاً خارجياً أو جديداً لاكتسابه، إنه موجود دائماً وفي كل مكان - هنا والآن أيضاً.

المريد: تبدو لي هذه الطريقة أسرع من الطريقة المعتادة لتنمية فضائل يُزعم أنها ضرورية لحصول لإدراك.

بجوان: أجل، فكل السيئات تتركز حول الأنا المغرورة. عندما تكون الأنا المغرورة ميتة، فإن الإدراك يحدث بشكل طبيعي.

بالحديث عن القديس والفيلسوف الباطني، بينبغي المرور على أولئك المؤمنين بالقوى الخفية أيضاً، أي الشخص الذي يروم الإدراك لغاية نيل الكرامات التي قد تأتي معها، وهنا قام بجوان دائماً بالردع عن هذا. أي نعم قد يجلب الإدراك معه قوى ما، فالأعلى يتضمن الأدنى، إلا أن الرغبة في نيل هذه القوى سوف تعترض سبيل الإدراك، حيث أن البحث عن الحال الأدنى يُلغي الأعلى. إذا كان الهدف هو إضفاء قوى جديدة على الأنا المغرورة، كيف يمكن أن يكون الهدف أيضاً تصفية الأنا المغرورة؟ شخص كهذا لم يفهم ما الذي يعنيه الإدراك بعد.

المريد: ما هي قوى الأناس الخارقين؟

بجوان: سواءً كانت القوى عُلّيا أو دُنّيا، عقليةً أو تفوق العقل، فإنها توجد فقط بالرجوع إليه ذلك الذي يستحوذ عليها. جد أولاً من يكون هذا.

بجوان: على ذلك الذي يستوطن في الذات أن لا يَحيدُ أبداً عن انتباهه الأحادي الوجهة المُنصرف إلى الذات أو الكينونة الخالصة التي يكونها هو إذا انزلق أو حادَ بعيداً عن هذه الحال، فقد يتم مشاهدة أنواع عديدة من الرؤى الملققة من قبل العقل، إلا أنه على المرء أن لا يَنخدع بِرؤى كهذه - والتي قد تكون رؤى نور أو فضاء - ولا بالـ *نادا* أو الأصوات اللطيفة التي يمكن سماعها، ولا بروى لله مُتجسداً، سواءً تم رؤيته في داخل المرء أو خارجه، كما ولو أن لها حقيقة موضوعية. على المرء أن لا يحسب أي من هذه الأشياء على أنها الحقيقة. عندما يكون منشأ التفكير ذاته، الذي يتم به إدراك هذه الرؤى أو الإحساس بها، زائفٌ ووهمي، كيف إذن لهذه المُدركات، ناهيك عن أن يتم الإحساس بها، أن تكون حقيقية؟

ثمة بعض الأشخاص الحمقى الذين لا يدركون أنهم هم أنفسهم مُسَيَّرين من قبل قوة إلهية، يسعون خلف إحراز كل القوى الخارقة للطبيعة، مثلهم مثل الرجل الأعرج الذي قال: " بإمكانني التخلص من العدو في حال قام شخص ما بإسنادي على ساقيي."

حيث أن سكينه العقل حالٌ دائمة عند الخلاص، كيف لهم أولئك الذين يربطون عقولهم بنير القوى الخارقة- والتي لا يمكن إحرازها إلا من خلال النشاط العقلي - أن يصبحوا ممتزجين في نعيم الخلاص الذي يُخمد فوران العقل؟

المريد: هل يمكن للـ *يوغى* أن يعرف حياته السابقة؟

بجوان: وهل تعرف حياتك الراهنة بشكلٍ جيد حتى تريد أن تعرف الماضي؟ جد الحاضر أولاً ومن ثم فإن الباقي سيتبع ذلك. إنك

تعاني كثيراً حتى بمعرفتك الحالية المحدودة، لمَ عليك أن ترهق نفسك بالمزيد من المعرفة؟ هل الغاية أن تعاني أكثر؟

المريد: هل يستخدم بجوان قوىً سحرية كي يجعل الآخرين يدرِكوا الذات، أم أن مجرد حقيقة إدراك بجوان كافية لهذا؟

بجوان: القوة الروحانية لإدراك الذات أقوى بكثير من استخدام أية قوى سحرية. باعتبار أن الأنا المغرورة لا وجود لها لدى الحكيم، فإنه لا "آخرين" لديه. ما الخدمة الأسمى التي يمكن أن تُسدى إليك؟ إنها السعادة، والسعادة مولودة من السكينة. يمكن للسكينة أن تسود فقط حين لا يكون هناك بلبلة والتي تحدث نتيجة الخواطر التي تتبادر للذهن. عندما يكون العقل نفسه غائباً، فسيسود هناك سكينة تامة. إذا لم يقم الشخص بإبادة العقل فإنه لن ينعُم بالسكينة ولن يكون سعيداً. وإذا لم يكن هو نفسه سعيداً، فلن يستطيع أن يمنح السعادة للـ "الآخرين". وعلى كل حال بما أنه لا "آخرين" لدى الحكيم الذي لا ذهن له، فإن مجرد حقيقة إدراكه للذات هي بحد ذاتها كافية لأن تجعل "الآخرين" سعداء.

عندما كان يُسئل عما إذا كان بالإمكان نيل قوى سحرية (سِيز) مع الحال الإلهية (إيشواراتفا) وذلك كما هو مذكور في الآية الأخيرة من نكشيانامورتي ستوترا، فإن الـ مهاريشي قال:

"قلبيتم تحقيق الحال الإلهية أولاً، ومن ثم قد تتبادر الأسئلة الأخرى".

لا قوى يمكن أن تستطيل لتصل إلى إدراك الذات، فكيف لهم إذن أن يصلوا إلى ما بعدها؟ إن أولئك الذين يرومون القوى غير مُكتفين بتصورهم عن الوعي الخالص، فهم ميالون إلى إغفال السعادة الأسمى للإدراك مقابل تلك القوى، وهم في بحثهم عنها يسلكون ممرات فرعية مخاطرين بالنتية في طريقهم بدل السير على الطريق السريع، ولأجل

إرشادهم على نحو صحيح وإيقاءهم على الطريق السريع، فقد تم إخبارهم بأن القوى تصاحب الإدراك. في واقع الأمر فإن الإدراك يحوي كل شيء، والإنسان المدرك لن يُهدر خاطرة حول القوى. دع الناس أولاً ينالون الإدراك ومن ثم يسعون خلف تلك القوى في حال ظلوا راغبين في ذلك.

قد تنشأ القوى قبل أو بعد بلوغ الإدراك أو قد لا تنشأ وذلك وفق طبيعة كل شخص، إلا أنه لا يجب تقييمها أو السعي خلفها، فغيابها أو غياب رؤى أو تجارب أخرى مماثلة لا يجب أخذها كعاملٍ لتثبيط الهمة على الطريق.

المريد: أليس من الضروري أو من المفيد على الأقل تصيير الجسد خفياً كعلامةٍ على التقدم الروحي للمرء؟  
 بجوان: لم تفكر في هذا؟ هل أنت الجسد؟  
 المريد: كلا، لكن الروحانية المتقدمة يجب أن تُحدث تغييراً في الجسد، ألا يجب عليها هذا؟

بجوان: ما التغيير الذي تصبو إليه في الجسد ولماذا؟  
 المريد: أليس الاختفاء دليل على الحكمة المتقدمة (نيانا)؟  
 بجوان: في هذه الحالة فإنه يجب اعتبار كل أولئك الذي تحدثوا وكتبوا وعاشوا حياتهم على مرأى من الآخرين جهلةً (أنيانيز).  
 المريد: لكن الحكيمين فسيسثنا وفالميكبي قد حازا على قوى كهذه.

بجوان: قد يكون الأمر قدرهم (برارابدا) أن يُطوروا قوى كهذه (سدّيز) جنباً إلى جنب مع حكمتهم (نيانا). لم عليك استهداف هذا الذي هو غير أساسي بل الميل لأن يكون عقبه على طريق الحكمة (نيانا)؟ هل الحكيم (نياني) يشعر بالغبُن كون جسده مرئي؟

المريد: كلا.

بجوان: المُنوّم المغناطيسي يستطيع إخفاء نفسه، هل يُعتبر بهذا

حكيمًا؟

المريد: كلا.

بجوان: الرؤية والتخفي تعود إليه إلى ذلك الذي يرى. من هو ذلك؟ قُم بالإجابة على هذا السؤال أولاً، ومن ثم فإن الأسئلة الأخرى ليست مهمة.

زائر أمريكي كان مُحبطاً كونه لم يُحرز أية قوى، فسأل بجوان الآتي:

المريد: ما يربو على العشرين عاماً وأنا أشد همتي في الماورائيات، ولكني لم أعيش أي تجارب غير مألوفة كما يدّعي العديد من الآخرين. ليس لدي قوى الاستبصار، حدة السمع وخلافه. أشعر بأنني مُحجّزٌ في هذا الجسد، لا شيء آخر.

بجوان: هذا حسنٌ. الحقيقة واحدة فقط وهي الذات، وكل الأشياء الأخرى هي مجرد ظواهر فيها ولها وبها، فالرائي والرؤية والمرئي جميعهم الذات فقط. هل يستطيع أي أحد أن يرى أو يسمع بدون الذات؟ ما الفرق الذي يُحدثه إذا كنت ترى أو تسمع أي أحدٍ عن قُرب أو عن بُعد؟ إن أعضاء البصر والسمع يتم الحاجة إليها في كلتا الحالتين، كذلك هو العقل. فلا أحد منهم يمكن الاستغناء عنه. في أي من الحالتين فأنت مُتكلِّ عليهم. لمَ إذن ينبغي أن يكون هناك أي رونق حول الاستبصار أو السمع الحاد؟ علاوةً على هذا، ما يتم اكتسابه سيتم فقده أيضاً في الوقت اللازم، فلا يمكن أن يكون دائماً أبداً. الشيء الوحيد الدائم هو الحقيقة والتي هي الذات. أنت تقول "أنا أكون"، "أنا ذاهب"، "أنا أتحدث"، "أنا أعمل"، وهكذا

دواليك. قُم بوصول الـ "أنا أكون" بهذه الجُمْل جميعاً. عليه: "أنا أكون"، هذه هي الحقيقة الثابتة والأساسية. قام الله بتعليم هذه الحقيقة إلى موسى: "أنا أكون تلك الأنا أكون"، "كن ساكناً واعلم أنني أنا أكون الله"، بالتالي فإن "أنا أكون" هي الله.

يمكن الاستنتاج مما قيل إلى حد الآن بأن إدراك الذات هو الشيء الأبسط والأكثر طبيعية، بل الشيء الوحيد البسيط والطبيعي حقيقةً، فهو ببساطة حال الكينونة تلك التي تكون، ومع هذا فهي حال من النُدرة بمكان، غير معروفة لدى القديسين وقد تم لمحاها من قِبل المتصوفين. " بين الآلاف قد يكون هناك واحد يعمل جاهداً ليتبوأ مرتبة الكمال، وبين الآلاف الذين يعملون جاهدين ليتبوؤوا مرتبة الكمال ربما يكون هناك واحد يعرفني كـ "أنا أكون". (بِكفاد كيبنا، VII-3) للأسف فهذه إشارة لزماننا بأن بلوغ هذه الحال الأسمى أصبح يتم ادعائها بشكل باطل من قبل العديد؛ لذا فعلى المرید أن يميز. حالما يتم بلوغه، فإن المقام الأسمى يجب أن يكون هو الشيء ذاته وذلك أياً كان الطريق والديانة التي تم سلوكها واعتناقها للتقرب إليه، كونه بحكم طبيعتها فوق التمييز.

حالما يتم بلوغه، فإن مقام إدراك الذات هو نفسه أياً كانت الطريق وأياً كانت الديانة المُتبعة. وفق تقرب المرء إلى الإدراك، فثمة ثلاثة أقانيم لله، وهي: سات (الكينونة)، تشيت (الوعي)، أناندا (النعيم). لقد تم التأكيد على أقنوم الكينونة من قِبل الـ نيانيز الذين يُقال بأنهم يرقدون في روح الكينونة بعد بحث دؤوب وقد ضاعت هوياتهم الفردية في المطلق.



أما أفنوم الوعي فيتم الدنو منه من قبل الـ *يوغيزر* الذين يجتهدون في التحكم بأنفسهم لكي يثبتوا العقل ومن ثم يُقال أنهم يرون مجد الله (وعي الكينونة) كنورٍ واحد يشع في كل الاتجاهات.

أما أفنوم السعادة البالغة فيتم الدنو منه من قبل العابدين الذي يصبحون ثملين برحيق حب الله ويفقدون أنفسهم في تجربة عامرة بالنعيم. عازفين عن ترك هذا، فإنهم يبقون للأبد مُمتزجين بالله.

الـ *مارغاز* الأربعة، *كارما*، *باكتي*، *يوغا* و*نيانا* كلٌ منها يشتمل على الآخر، وقد تم وصفها بشكلٍ مستقل في أعمالٍ كلاسيكية وذلك فقط لنقل فكرة عن الأفنوم الملائم لله مما يروق بيُسرٍ للمريد وفق استعداده.

تجربة الإدراك معروفة على أنها *سمادي*، وغالباً ما يُفترض أن الـ *سمادي* يتضمن الإنخراط الروحي، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك. فمن الممكن أيضاً أن يكون المرء غارقاً في الـ *سمادي* بينما يكون محافظاً على استحواذ كامل على القدرات البشرية. في الواقع، إن الحكيم المدرك للذات أمثال الـ *مهاريشي* يقيمون دوماً في هذه المقام. حتى تلك اللمحات السابقة للإدراك والتي تم الحديث عنها سابقاً فإنها لا تتضمن بالضرورة حدوث غشبية أو انخراطٍ روحي.

قام زائر *سنِّياسي*، *سوامي لوكساناندا*، بطرح سؤال عن الـ

**سمادي:**

1. التمسك بالحقيقة هو *سمادي*.
2. التمسك بالـ *سمادي* بجهد هو *سافيكالبا سمادي*.
3. الامتزاج في الجهالة والبقاء بشكل غير واعٍ بالعالم

هو نوم.

4. البقاء في الحال البدائية الخالصة والطبيعية بدون جهد

هو سَهَاج نيرفيكالبا سمادي.

سَهَاج	كيفالبا	النوم
(1) الذهن ميت	(1) الذهن حي	(1) الذهن حي
(2) مُتَحَلل في الذات	(2) غارق في النور	(2) غارق في الغفلة
(3) مثل نهر يلفظ نفسه في المحيط وقد فقد هويته	(3) مثل دلو مربوط بحبل ومُلَقَى على صفحة مياه البئر	
(4) النهر لا يمكن إعادة توجيهه من المحيط.	(4) يتم سحبه من الطرف الآخر للحبل	

سأل السيد العجوز بجوان عما إذا كان من الضروري المرور في نيرفيكالبا سمادي أولاً قبل بلوغ الـ سَهَاج سمادي، فرد بجوان قائلاً: "عندما تكون لدينا نوازح نحاول أن نتخلى عنها، أي عندما لا نزال غير كاملين وعلينا القيام بجهد واع لإبقاء العقل أحادي الوجهة أو خالياً

من الخواطر، فإن الحال الخالية من الخواطر والتي نبلغها هي نيرفيكالبيا سمادي. عندما، ومن خلال التدريب، نكون دائماً في هذه الحال، فلا ندخل في الـ سمادي ونخرج منه ثانية، هذه هي حال الـ سهاج. في حال الـ سهاج، يرى المرء الذات فقط ويرى العالم كصورة قد تم اتخاذها من قبل الذات.

إن السؤال عن طبيعة الـ سمادي يستدعي السؤال عن النشاط البدني، فالمحاولة بلا جدوى لتخيل ما يكون عليه الـ سمادي أو ما يتضمنه الإدراك بدل العمل بجد لبلوغه، يجعل الناس تضع نظريات حول ما إذا كان بإمكان المرء المُدرك أن يكون نشطاً أو لا.

المريد: هل يستطيع الإنسان الذي بلغ الإدراك أن يتحرك ويعمل ويتكلم؟

بجوان: لمَ لا؟ هل تفترض أن الإدراك يعني أن تكون خاملاً كصخرة أو أن تصبح لا شيء؟

المريد: لا أعرف، لكنهم يقولون أن الحال الأعلى هو الإنسحاب من كل حركات الحواس والخواطر والتجارب، أي في الواقع إنقطاع الحركة.

بجوان: كيف إذن سيختلف عن النوم العميق؟ ومهما كان سامياً فسيكون عندئذٍ حالاً يجيء ويمضي وبالتالي سيكون غير طبيعي وحالاً عادية، لذا كيف يمكن أن يُمثل الحضور الأبدي للذات المطلقة والتي تدوم عبر كل الحالات وتصمد فيها؟ صحيح أن هناك حالٌ كهذه وقد يكون من الضروري لبعض الناس أن يمروا فيها، فقد تكون مرحلة عابرة أثناء البحث أو قد تدوم حتى نهاية حياة الإنسان إذا ما كانت المشيئة الإلهية أو

قدر الإنسان كذلك؛ ولكنك لا تستطيع أن تسميها الحال الأعلى في أي حالة، ولو كانت كذلك، لكان عليك أن تقول بأنه ليس الحكماء فقط لم يبلغوا الحال الأسمى، بل الله نفسه لم يبلغ الحال الأسمى، فليس الحكماء المدركين وحدهم نشطون للغاية بل الإله الشخصي (إيشوارا) نفسه لا يقيم وبكل وضوح في هذه الحال اللانشطة إطلاقاً، فهو يترأس العالم ويوجه كل تحركاته.

المريد: ما هو الـ *سمادي*؟

بجوان: يُستخدم المصطلح في الـ *يوغا* ليشير إلى نوع من الغشبية وهناك أنواع عدة للـ *سمادي*، لكن الـ *سمادي* الذي أتحدث لك عنه مختلف، إنه *سهاجا سمادي*. في هذه الحال فأنت تبقى هادئاً مُتزنأ أثناء العمل. فأنت تدرك أن ذاتاً حقيقية أعمق في الداخل تقوم بتحريكك وأنك غير متأثر بما تفعله أو تقوله أو تفكر به. لا ينتابك قلق، مخاوف أو أعباء، لأنك تدرك أنه لا شيء ينتمي لك كالأنسا المغرورة وأن كل شيء يتم فعله من قبل شيء أنت وإياه في اتحاد واعٍ.

بعد الإدراك، قد يواصل المرء عيش حياة بأفعال دنيوية أو قد لا يفعل، فهذا الأمر سيان في حاله.

سأل زائر: يقوم الأناس المدركين عموماً بالانسحاب من الحياة النشطة وينصرفون عن الأفعال الدنيوية.

بجوان: قد يقومون بهذا وقد لا يقومون، فالبعض حتى بعد الإدراك يستمر في تجارة أو عمل أو حُكم مملكة، والبعض ينسحب إلى بقاع معزولة ويعزف عن مزاوله كل ما يتعدى أمر الحفاظ على الحياة في الجسد. ليس بوسعنا تعميم أي قاعدة حول المسألة.

عدم القدرة على استيعاب السكون الجلي للحكيم هو أحد الصعوبات التي يواجهها العديد من الكتاب الغربيين. مُقتنعين بشدة بأن المسيح كان مخطئاً في قول أن ماري قد اختارت الطريق الأفضل؛ فإن المسيحيين العصريين يميلون إلى تصوير مارتا، المرء النشط خارجياً، على أنه أسمى ويتوجهون لإنقاذ الحكيم لما يعتبرونه خمولاً.

عندما سُئل من قِبَل مُريد عما إذا كان إدراكه في حال بلوغه قد يساعد الآخرين، فقد كان معروفاً عن بجوان بأن يجيب على النحو الآتي:

أجل، وهو المساعدة الأفضل التي باستطاعتك ربما أن تقدمها لهم.

ولكنه أضاف:

"إلا أنه في الحقيقة لا آخرين لمساعدتهم."

قد تم ادعاء نفس المفارقة في البوذية حيث نجد على سبيل المثال في الـ *دياموند سوترا* بعد الحديث عن الرحمة، نجد *بوذا* يفسر بأنه لا يوجد آخرين في الحقيقة لتكون رحيماً بهم، ثم استطرد قائلاً: "إياك أن تظن، *سويهوتي*، أن الـ *تاتاغاتا* (على سبيل المثال الـ بوذا) قد يقول في قرارة نفسه: أنا سأقوم بتخليص الكائنات البشرية، فهذه ستكون خاطرة مُهينة. لماذا؟ لأنه حقاً ليس هناك من كائنات ذات حسٍ ليتم تخليصها من قبل *تاتاغاتا*. فلو كان هناك أي كائنات حسية ينبغي تخليصها من قبل الـ *تاتاغا*، لكان هذا سيعني أن الـ *تاتاغاتا* يُكنّ في داخل عقله مفاهيم اعتباطية لظواهر أمثال: ذات المرء، ذوات الآخرين، الكائنات الحية والذات الكونية. حتى عندما يشير الـ *تاتاغاتا* إلى نفسه، فهو بهذا لا يتحفظ في داخل عقله على أية خاطرة اعتباطية. وحدهم الكائنات البشرية

الأرضية يفكرون في الشخصية الفردية كونها متاع شخصي. *سوبهوتي*، حتى مصطلح "الكائنات الأرضية" كما استخدم من قبل *تاتاغاتا* لا يعني بأن هناك كائنات أخرى، وإنما تم استخدامه فقط كتعبير مجازي".

غالباً ما يقول الناس أن المرء المُدرِك عليه أن يجول مبشراً برسالته، فيسألون كيف يمكن للمرء أن يبقى ساكناً في مقام الإدراك بينما يوجد الشقاء أيضاً. لكن ما هو المرء المُدرِك؟ هل يرى الشقاء خارج نفسه؟ يريدون أن يقرروا حاله بدون أن يدركوها بأنفسهم. إن زعمهم يقود إلى الآتي من وجهة نظره: أحدهم يرى حُلماً فيه عدد من الأشخاص، وعندما يستيقظ يسأل "هل الناس الذين في الحلم قد استيقظوا أيضاً؟" هذا مُثير للضحك! من جديد، فقد تسمع رجلاً صالحاً يقول "لا يهم حتى إذا لم أبلغ الإدراك، عساني أكون آخر من يبلغه فأتمكن من مساعدة كل الآخرين كي يدركوا الذات قبل أن أفعل هذا." هذا تماماً مثل الحالم الذي يقول: "دع كل أولئك الناس في الحلم يستيقظوا قبل أن أستيقظ أنا". إنه لن يكون عبثياً أكثر من هذا الفيلسوف الوديع.

وللمفارقة، فإن الحكيم نشط للغاية رغم أنه قد يبدو خاملاً.

ثمة مقولة لـ *لاوتسي* من الـ *تاو تي تشينغ* كانت تُتلى في القاعة: "بسكونه، فإن الحكيم يحكم الكل." وهنا علق شري بجوان قائلاً: "الجمود حركة غير منقطعة، والحكيم مُتصف بحراكٍ أبدي وغير منقطع، وثباته مثل الثبات الظاهري لرأسٍ سريع الدوران، فتراه يدور بسرعة بالغة أكثر مما تستطيع العين أن تلاحظه، لذا يظهر وكأنه ثابت. ومع هذا

فهو يدور؛ كذلك هو الجمود الظاهري للحكيم. لا بد من توضيح هذه المسألة لأن الناس عموماً تحسب سكونه خمولاً، والأمر ليس كذلك.

بنفس القدر من هذا الانشغال الكامل بالحركة، كان السؤال عما إذا كان المرء المُدرك مُقيد بالقدر كثيراً ما يُطرح. حقاً فإنه لا معنى للسؤال، فجسده مُقيد بالقدر ولكن بما أنه لا يماهي نفسه مع الجسد، فإن قدر الجسد لا يستطيع أن يقيده. كونه واحد مع الذات الأبدية في الداخل، والذي هذا الجسد وحياته والعالم يمر كظهورات لها، فلا يمكن له أن يتقيد بأي شيء.

قال زائر لـ بجوان هذا الصباح: "بما أن المرء المُدرك لا كارما له، ليس مُقيداً بقدر؛ لمَ عليه إذن أن يستبقي الجسد؟"  
 بجوان: من يسأل هذا السؤال - شخص مدرك أم غير مدرك؟ لمَ القلق حيال ما يفعله المرء المدرك أو التساؤل لماذا يقوم بفعل أي شيء؟ من الأفضل أن تفكر بنفسك.

ثم لبث صامتاً، وبعد وقت قصير قام بإعطاء مزيد من الشرح قائلاً: "أنت تحت تأثير الانطباع بأنك تكون الجسد، لذا فأنت تظن أن الشخص المُدرك لديه جسد أيضاً، ولكن هل يقول هو بأن لديه جسداً؟ قد يبدو لك أن لديه جسد، ويقوم بأشياء به كما يقوم الآخريين. قد يبدو الرماد المحروق لحبلٍ مثل حبل، لكن لا فائدة من ربط أي شيء به. طالما أن المرء يماهي نفسه بالجسد فسيكون كل هذا صعباً فهمه. لهذا فإنه في بعض الأوقات يُقال في جواب على أسئلة كهذه بأن جسد الشخص المدرك يستمر في الوجود إلى أن يستهلك قدره نفسه بنفسه، ومن ثم فهو يسقط. يُضرب في بعض الأوقات مثال على هذا بأن السهم الذي خرج من القوس (القدر) يجب أن يتابع سيره وأن يصيب العلامة، وذلك حتى لو تحرك الحيوان الذي كان واقفاً وحل مكانه حيوان آخر (أي تم بلوغ الإدراك).

لكن الحقيقة هي أن الشخص المدرك قد سمى فوق كل القدر، وهو غير مُقيد بالجسد ولا بقدر الجسد.

كان يطرح بالتساوي مع هذه النقطة السؤال عما إذا كان يمكن للمرء المدرك أن يشعر بالألم أو اللذة ( أو باللذة ثم الألم لأن الاثنين متلازمين، فهما زوج لمتضادين).

الشعور عام لدى المرء المدرك وغير المدرك؛ الفرق هو أن المرء غير المدرك يماهي نفسه بالجسد الذي يشعر به، بينما الرجل المدرك يعلم أن الكل هو الذات، الكل هو برّمان. إذا كان هناك ألم، فليكن هذا، فالألم أيضاً جزء من الذات والذات تامة.

أو عما إذا كان بإمكانه ارتكاب الآثام. إن مجرد طرح هذا السؤال يتضمن العجز عن فهم المقصود بـ "إدراك الذات". الخطيئة هي حركة الأنا المغرورة أو الكائن الفردي في مصالحه الخاصة ضد التناغم الكوني أو مشيئة الله؛ لكن حينما لا يكون هناك أنا مغرورة، حين لا يكون هناك سوى الذات الكونية، من يقوم إذن بشيء ما ضد من؟

إن الشخص اللامُدرك يرى الشخص المُدرك ويطابقه مع الجسد، ولأنه لا يعرف الذات ويحسب الجسد هي الذات، فإنه يسحب ذات الخطأ على جسد الشخص المدرك، لهذا يُنظر إلى الأخير عبر الهيئة البدنية. من جديد، فإن الشخص اللامُدرك رغم أنه في الحقيقة ليس مؤلّد حركاته، فهو يتوهم نفسه على أنه ذلك ويعتبر حركات الجسد حركاته هو، ولهذا تجده يظن أن الشخص المدرك يتحرك بنفس الطريقة لأن جسده فاعل. لكن الأخير يعرف الحقيقة ولا تتطلي عليه الخدع. لا يمكن فهم حاله من قبل



الشخص اللامدرك ولهذا فإن السؤال عن حركاته تتعب الأخير رغم أن السؤال لا يتبادر له.

**نيانا** (الاستنارة الروحية) تشمل كل الخصال اللاهوتية، وكل الخصال السيئة أو الشيطانية تشمله **أنيانا** (الظلمة الروحية). عندما تجيء **نيانا** فإن كل الـ **أنيانا** تروح، وبالتالي كل الخصال اللاهوتية تأتي تلقائياً. إذا ما كان الفرد **نياني** فإنه لا يستطيع التفوه بكذب أو ارتكاب أي إثم.

إن العبارة التي مفادها أنه لا وجود لأنا مغرورة أو أن العقل ميت، تقود في بعض الأوقات إلى بعض سوء الفهم. المقصود ببساطة هو أن العقل أو الأنا المغرورة كخالق أو مؤلّد ظاهري للخطط والأفكار ميت، أما الوعي المشع الخالص فيبقى.

المريد: هل يسعنا التفكير بدون عقل؟

بجوان: يمكن للخواطر أن تستمر مثل أي نشاطات أخرى، ولكنها لا تزعج الوعي المطلق.

الناس تُخمن وجود العقل الخالص لدى الـ **جيفانموكتا** والإله الشخصي، فتسمعهم يسألون كيف له أن يعيش ويتحرك، لكن هذا مجرد تنازل بالجدال. في واقع الأمر فإن العقل الخالص وعي مطلق، المشهود والشاهد يندمجان معاً في النهاية ووحده الوعي المطلق يبقى. إنها ليست حال فراغ أو جهالة بل هي الذات المطلقة.

في بعض الأوقات كان يُقارَن عقل المرء المُدرك بالقمر في النهار.

القمر يضيء بانعكاس نور الشمس على سطحه، وعندما تغرب الشمس يغدو القمر مفيداً لإبراز الأشياء. أما عندما تشرق الشمس، فلا أحد

يحتاج للقمر رغم أن قرصه ظاهر في السماء؛ كذلك هو الأمر مع العقل والقلب. العقل مفيد بالنور المنعكس عليه حيث يُستخدم لرؤية الموجودات، أما عندما يتم توجيهه للباطن فهو يمتزج بمصدر الإنارة الذي يشع من تلقاء نفسه، ومن ثم فإن العقل يُمسي مثل القمر في النهار.

كان الناس في بعض الأحيان يعبرون عن مخاوفهم لدى طرح فكرة التخلي عن الأنا المغرورة، لكن بجوان ذكرهم بأنهم يفعلون هذا في كل وقت يذهبون فيه للنوم.

يخشى الناس من أنه عندما يُقتل العقل أو الأنا المغرورة، فإن النتيجة قد تكون مُعاشة مجرد فراغ لا سعادة. ما يحدث حقاً هو أن المُفكر وموضوع الفكرة والتفكير جميعهم يمتزجون في المصدر الواحد والذي هو وعي ونعيم بحد ذاته، وبالتالي فإن هذه الحال ليست حالاً هامة ولا فارغة. أنا لا أفهم لماذا على الناس التخوف من حال تنتفي فيها كل الخواطر عن الوجود ويُقتل فيها العقل، فهم يُعاشون هذا يوماً أثناء النوم حيث لا عقل أو خاطرة خلال النوم. ومع هذا فإنه عندما ينهض المرء من النوم تجده يقول "لقد نمتُ جيداً".

علاوةً على هذا، فإنهم يُسلمون الأنا المغرورة أثناء النوم كي يستغرقون في فراغ ليس إلا، في حين أن الإدراك هو الامتزاج بوعي صافٍ والذي هو النعيم المُطلق.

في جواب على أحد الزوار، قام بجوان بإدلاء الملاحظة الآتية: يمكنك أن تحوز على أعلى أنواع السعادة المُمكن تصورها، بل أنت نفسك ستكونها. إن جميع أنواع السعادة الأخرى والتي قد تحدثتَ عنها كـ

"متعة"، "فرح"، "سعادة"، "غبطة"، هي مجرد انعكاسات لـ *أناندا* والتي تكونها أنت في طبيعتك الحقيقية.

من المستحيل وصف الـ *سمادي* حيث أنه مقام يسمو فوق العقل، يمكن معاشته فقط.

سيدة أمريكية قامت بسؤال بجوان عن طبيعة معاشته للـ *سمادي*. وعندما اقترح عليها بأن تروي تجاربها الروحية وأن تسأل عن مدى صحة تلك التجارب، ردت بأن تجارب شري بجوان هي التي ينبغي أن يعرفها الناس لأنها صحيحة بينما تجاربها لم تكن بذى أهمية. أرادت أن تعرف ما إذا كان بجوان قد شعر بسخونة أو برودة تسري في جسده أثناء الـ *سمادي*، وعمّا إذا كان قد قضى السنوات الثلاث الأولى من إقامته في *تيروفتنامالاي* في صلاة وما إلى ذلك.

بجوان: الـ *سمادي* يسمو فوق العقل والكلام ولا يمكن وصفه، فحالة النوم العميق لا يمكن وصفها فما بالك بمقام الـ *سمادي*.  
المريد: لكني أعلم أنني كنت غير واعية أثناء النوم العميق.  
بجوان: الوعي واللاوعي هي أنماط عقلية، بينما الـ *سمادي* يسمو فوق العقل.

المريد: مع هذا، يمكنك أن تقول لي كيف يكون.  
بجوان: سوف تعلمين فقط عندما تكونين في الـ *سمادي*.

في بعض الأحيان أشار إلى شاشة السينما كمثال توضيحي.

المريد: إذا كان المدرك واللامدرك يدركون العالم حسياً على حد سواء، ما الفرق بينهما إذن؟

بجوان: عندما يرى المرء المدرك العالم فهو يرى الذات التي هي قوام كل ما هو مرئي، أما غير المدرك فسواء رأى العالم أم لم يره فهو جاهل بكيئونه الحقيقية: الذات. خذ مثلاً على ذلك فيلمٌ يُعرض على شاشة السينما، ما الذي تراه هنالك أمامك قبل أن يبدأ عرض الفيلم؟ الشاشة فقط، وعلى تلك الشاشة فأنت تشاهد العرض بأكمله، والصور تبدو حقيقية لكل الحضور، لكن إذهب وحاول أن تمسك بها، ما الذي ستمسك به حينها؟ ستمسك بالشاشة التي تظهر عليها تلك الصور على أنها حقيقية. بعد العرض وعندما تختفي الصور، ما الذي يبقى؟ الشاشة من جديد. كذلك هو الأمر مع الذات، فهي وحدها توجد، الصور تجيء وتمضي أما إذا ما تمسكت بالذات، فإنك لن تتخدد بظهور الصور ولن يهم على الإطلاق إذا ظهرت أو اختفت.

حالما يتم إحراز سَهاج سَمادي دائماً وبشكل غير مُتذبذب، فهذه هي حال مُوكتي أو الخلاص. الناس تتحدث عن جيفانمُوكتي وفيديهاموكتي، أي الخلاص بينما لا يزال المرء حياً والخلاص بعد الموت، لكن بجوان شرح أن الفرق يوجد فقط من وجهة نظر المراقب، أما بالنسبة للمرء المدرك فالأمر عنده سيان سواء كان يتقمص جسداً أم لا.

السيد بانيرجي سأل بجوان عن الفرق بين جيفانمُوكتي وفيديهاموكتي.

بجوان: ليس هناك فرق. لأولئك الذين يسألون يُقال أن الشخص المدرك في الجسد هو جيفانمُوكتا وأنه يبلغ فيديهاموكتي عندما يطرح

الجسد؛ لكن هذا الفرق يوجد فقط للناظر وليس له، فحالها هي ذاتها قبل طرح الجسد وبعده. نحن نظنه بهيئة بشرية أو أنه بذلك الشكل، لكنه يعرف أنه الذات، الحقيقة الواحدة داخلياً وخارجياً كليهما معاً، والتي هي ليست مُقيدة بأية هيئة. ثمّة آية في الـ *بكواتا* (وهنا اقتبس بجوان الآية بالتاميلية) تقول: كما الإنسان الثمل لا يلحظ ما إذا كان يرتدي لفاعه أو وقع من عليه، كذلك المرء المدرك فإنه بالكاد يكون واعياً بجسده والأمر عنده سيات سواء بقي الجسد أو مات.

ليس هناك من مراحل في الإدراك أو موكتي، لا توجد درجات للخلاص، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك مرحلة واحدة للخلاص بالجسد وأخرى عندما يتم طرح الجسد. المرء المدرك يعرف أنه الذات وأن لا جسده ولا أي شيء آخر يوجد بل الذات. بالتالي ما الفرق الذي يمكن أن يُحدثه وجود أو غياب الجسد لامرئٍ كهذا؟

يُطلق على الإدراك في بعض الأحيان *توريا*، "الحالة الرابعة"، لأنها تشكل الأساس للحالات الثلاث: اليقظة، النوم الحالم والنوم العميق.

عندما دخلت القاعة، كان بجوان يجيب على بعض الأسئلة ووجدته يقول: "لا فرق بين حالتي الحلم واليقظة عدا عن أن الأولى قصيرة والثانية طويلة، فكلاهما مُنتج عقلي. ولأن حالة اليقظة تدوم وقتاً أطول فنحن ننتصّر أنها حالنا الحقيقية، لكن حالنا الحقيقية في الواقع هي ما يسمى في بعض الأحيان الحالة الرابعة، والتي تكون دوماً كما هي، غير متأثرة بيقظة أو حلم أو نوم.

لأننا نسمي هذه "الات" ثلاث فنحن نسمي تلك حالة أيضاً. على أية حال، فهي حقاً الحالة الطبيعية للذات، ومصطلح حالة "رابعة" سيقنضي ضمناً شيئاً نسبياً، في حين أنها حالة فائقة.

ليس هناك قيد في الحقيقة.

الخلاص هو طبيعتنا الحقيقية، ولكننا نتوهم أننا مقيدون ونقوم ببذل جهد جهيد للخلاص بينما نحن طُلُقاء طوال الوقت، وهذا يتم فهمه عندما نصل إلى تلك الحال فقط، ومن ثم فإننا سنتفاجأ لنجد أننا كنا نعمل جاهدين بجنون لبلوغ شيء نحن دائماً كُنَاه ونكونه. سأسوق مثلاً يجعل الأمر واضحاً؛ أحدهم ينام في هذه القاعة فيحلم أنه قد ذهب في رحلة حول العالم، يسافر فوق التلال وفي الوديان، الغابات والسهول، الصحاري والبحار، عبر قارات عديدة، وبعد مُضي عدد من سنين السفر المرهق والمضني، يعود إلى بلده، يصل إلى تيروفنامالاي، يدخل الأشم ويسير إلى القاعة؛ في تلك اللحظة تماماً يستيقظ ويجد أنه لم يتحرك من مكانه على الإطلاق بل كان نائماً حيث كان مُستلقياً، هو لم يعد بعد جهوده العظيمة إلى هذه القاعة، بل كان هناك طوال الوقت. الأمر يقع على هذا النحو بالضبط. وإذا سألت سائل: لماذا، كوننا أحراراً، نتخيل أنفسنا مُقيدين؟ أجيب "لماذا، كوننا في القاعة، نتخيل أنك كنت في رحلة حول العالم، تقطيع التلال والوديان، الصحاري والبحار؟" الأمر كله عقلٌ أو مايا.

8. قد يعبد المرء الحقيقة المطلقة تحت أي إسم أو صورة، فجميعها ليست سوى وسائل لإدراكها تلك التي لا إسم لها ولا صورة. هذا وحده إدراكٌ

حقيقي، والذي به يعرف المرء نفسه بما يتصل بتلك الحقيقة، فيبلغ السكينة ويدرك مويته بها.

9. إن ثرية الفاعل والمفعول، ثالث الرائي والرؤية والمرئي، يمكن لها أن توجد فقط في حال دُعِمَت بالواحد. إذا ما استدار المرء للداخل بحثاً عن تلك الحقيقة الواحدة، فإنها - أي الثنوية والثالث - تتهاوى. أولئك الذين يرون هذا يرون الحكمة، وليسوا أبداً في ريبة.

21. ما حقيقة النصوص المقدسة التي تقول بأنه إذا ما رأى المرء الذات فإنه يرى الله؟ كيف يمكن للمرء أن يرى ذاته؟ إذا كان المرء، وهو كيان فردي لا يمكن له رؤية ذاته، كيف له أن يرى الله؟ فقط عبر الغدو فريسة له.

22. الله يضيء نوراً على العقل ويسطع في داخله. بدون أن يتم توجيه العقل للباطن وترسيخه في الله، فإنه ما من وسيلة أخرى لمعرفته من خلال العقل.

30. إذا استفهم المرء "من أكون أنا؟" في داخل عقله، فإن الـ "أنا" الفردية ستسقط خجلة حالما يصل المرء إلى القلب، وأذاك فإن الحقيقة تتجلى على الفور بعفوية على أنها "أنا-أنا". رغم أنها تكشف نفسها على أنها الـ "أنا"، فهي ليست الأنا المغرورة بل الكينونة التامة، الذات المطلقة.

31. بالنسبة لذلك الغارق في نعيم الذات، المُنبعث من فناء الأنا المغرورة، ما المُتبقى لإحرازه؟ إنه ليس واعياً بأي شيء عدا عن الذات، من يستطيع استيعاب حاله؟

32. رغم أن النصوص المقدسة تنادي بـ "أنت تكون ذاك"، فهذا مجرد إشارة على ضعف العقل للتأمل في "أنا أكون ذاك وليس هذا"، لأنك للأبد ذاك. الواجب فعله هو التحري عما يكونه المرء حقاً والمكوث على أنه ذاك.

33. من المثير للضحك أن تقول "أنا لم أدرك الذات" أو "لقد أدركت الذات"، وهل هنالك ذاتين للمرء بحيث تكون أحدهما هدفاً للأخرى لإدراكها؟ إنها حقيقةٌ ضمن معايشة كل فرد بأن هناك الذات فقط.

34. نتيجة الوهم الناتج عن الجهالة، فإن الناس تخفق في التعرف على ذلك والاستيطان فيه والذي هو دوماً ولكل فرد الحقيقة المتأصلة الساكنة في مركزها الطبيعي: القلب، وبدل ذلك فهم يقومون بالجدال بأنها توجد أو لا توجد، لديها شكل أو ليس لديها شكل، لا ثنوية أو ثنوية.

35. للسعي خلف الحقيقة المُحرزة دوماً والاستيطان فيها هو الإنجاز الوحيد، وكل الإنجازات الأخرى (سلايز) هي كتلك التي تكتسب في الأحلام. هل يمكن لأولئك الراسخين في الحقيقة والأحرار من مايا أن يُخدعوا بتلك القوى؟

38. طالما أن الإنسان هو الفاعل، فهو يجني ثمار أفعاله أيضاً؛ ولكنه حالما يدرك الذات من خلال الاستفهام عن الفاعل، فإن ذلك الشعور بكونه الفاعل ينهار وتنتهي الكارما الثلاثية. هذه هي حال الخلاص الأبدي.

39. فقط طالما أن المرء يعتبر نفسه مقيداً، فإن الخواطر القائلة بالقيود والخلاص تستمر في الوجود. ولكن عندما يستفهم المرء "من هو المقيد؟" يتم إدراك الذات، المُحرزة إلى الأبد، الحرة إلى الأبد. عندما تتوقف خواطر القيد، هل تستطيع خواطر الخلاص أن تصمد؟

40. إذا قيل بأن الخلاص له أنواع ثلاثة، بشكل، بدون شكل، أو مع وبدون شكل في آنٍ معاً؛ دعني أقول لك إذن أن فناء الأنا المغرورة التي تسأل عن شكل الخلاص هو حقيقي، وهو الخلاص الحقيقي الوحيد.



في كتاب تعاليم بحوان شرقي رمنا مهاريشي بكلماته، فإن آرثر لوزبورن قد نجح في تقديم التعاليم الأساسية لـ بحوان بصورة مختصرة وذلك من خلال مختارات قام بانتقالها من حوارات بحوان وأصالة المكتوبة. تم تدوين محتويات الكتاب ضمن مواضيع ذات طابع بارزة، وعليه فإن هذا الكتاب الذي بين يديك ينسج الحاجة إلى ملخص قصير وموثوق يوثق تعاليم شرقي بحوان - والتي كانت فيما مضى متوفرة بأعلىها على هيئة مذكرات يومية، لهذا فإن ملاحظتك الكتاب التي نشرها على مرّ صفحات الكتاب تقع على قدر كبير من الأهمية.

آرثر لوزبورن (1906-70) كان أحد أشهر المتكلمين لـ بحوان، وهو معروف على وجه التحديد بعمله كمحرر مؤسس للمجلة الروحية درب الجبل (The Mountain Path) والتي يُصدرها لثوم رمنا، حيث اشتهر بمهمة محرر لها حتى عام 1970. يحمل لوزبورن إجازة جامعية في التاريخ من جامعة أكسفورد العريقة، وقد عمل محاضراً في إحدى كليات جامعة تشولالونغكورن في بانكوك، ميام. تم اعتقاله من قبل اليابانيين في أربعينيات القرن الماضي (أثناء الحرب العالمية الثانية)، وبعد إطلاق سراحه وحلّاء القوات اليابانية قدم إلى الهند - وبالأخص إلى ثرم رمنا حيث كان أفراد عائلته يقيمون هناك أيضاً. ارتحل إلى قدمي مهاريشي وأصبح تلميذاً مخلصاً له، وكذلك فعل أفراد عائلته.

آرثر لوزبورن هو مؤلف كتاب الأعمال الكاملة لـ رمنا مهاريشي *The Collected Works of Ramana Maharshi* وكذلك كتاب رمنا مهاريشي وطريق معرفة الذات *Ramana Maharshi and the Path of Self-knowledge* الذي يعدّ أيضاً أحد مؤلفاته الشهيرة كما أنّ لديه الكثير من العناوين التي يحمل بها رصيده القمهي.



**SriRamanasramam**